رباعيّاتُ الخيّام

ثلاثُ ترجماتٍ عراقيَّة رَائدة

أحمد الصرّاف: ترجمة حرّة
الزهاوي: ترجمة حرّة + ترجمة موزونة
أحمد الصافي النجفي: ترجمة موزونة

حرّرها وقدّم لها بدراسة:
محمد مظلوم

منشورات الجمل

رباعيّاتُ الخيّام

رباعيّاتُ الخيّام

ثلاثُ ترجماتٍ عراقيَّة رَائدة

أحمد الصرّاف: ترجمة حرَّة
الزهاوي: ترجمة حرَّة + ترجمة موزونة
أحمد الصافي النجفي: ترجمة موزونة

حرّرها وراجعها وقدّم لها بدراسة:

محمد مظلوم

منشورات الجمل

رباعيَّاتُ الخيّام ـ ثلاثُ ترجماتٍ عراقيَّة رَائدة
حرَّرها وراجعها وقدَّمَ لها بدراسة: محمد مظلوم
الطبعة الأولى ٢٠١٥

تلفون وفاكس: ٢٥٣٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

خيمة في الأبديَّة ومرصدٌ مُحترق

دراسة في رباعيات الخيام وترجماتها المتعددة

أكثر من مائة عام مرَّت على أوَّل ترجمة عربية لرباعيَّات «عمر الخيَّام النيسابوري ٤٣٩هـ ـ ٥١٦هـ = ١٠٤٨م ـ ١١٢٢م»[1] ولا يزال الجدل متصلًا بكل شي متعلَّق بهذه الشخصية: حياته القلقة، وعلومه المتعدِّدة، والأهمَّ هنا: رباعيته.

ولأنَّ الأمر يتعلَّق بالرباعيَّات سنجعل هذا المدخل مقتصراً على ذلك، وهو بحدِّ ذاته شأنٌ شائكٌ جداً.

عرفت رباعيَّات الخيَّام في الثقافة الإنسانية استشراقيّاً قبل أن تُعرف مشرقياً، وذلك بعد ترجمتها من قبل الشاعر الانكليزي «إدوارد فيتزجيرالد» في العام ١٨٥٩م. وإن كان عمر الخيَّام نفسه، قد عُرِفَ لدى الباحثين الأوربيين شاعراً منذ مستهلِّ القرن الثامن عشر، بفضل أحد أبرز الأكاديميين بمجال الدراسات الشرقية بجامعة أكسفورد «توماس هايد».

ومنذ ذلك التاريخ فاقت شهرة الرباعيَّات في العالم، شهرة «الشاهنامه» في الآداب العالمية، وإذا كانت الأخيرة ملحمة قومية يتغنى بها الشعب الفارسي، ويرى صورة أبطاله الأسطوريين من خلالها، لما

---

(١) هناك اختلاف بين المؤرِّخين في تاريخ ولادته، وكذلك تاريخ وفاته، يصلُ أحياناً إلى عشر سنوات، اخترنا منها هنا التواريخ الأكثر ترجيحاً.

تمثله من ذلك التاريخ القومي الجماعي البعيد، فإن هذه السيرة للتاريخ الشخصي الروحي اليومي في الرباعيَّات، جعلت الإقبال الفردي المتنوِّع عليها من مختلف ثقافات العالم، نوعاً من المرآة الشخصية الذاتية للإنسان، وانعكاساً لصورة قلقه وحيرته في الوجود.

لقد استقرَّ «فتيزجيرالد» على مائة رباعيَّة ورباعيَّة، في الصياغة الأخيرة لتلك الرباعيَّات، ولعلَّ استقراره على هذا الرقم هنا مقصود، في محاولة لمحاكاة لـ«ألف ليلة وليلة» وأجوائها ومخاطبة المخيلة الأوربية من سحر تلك الأجواء.

كان «فيتزجيرالد» قد حصل على مخطوطتين لرباعيَّات الخيَّام بواسطة صديقه المتديِّن «إدوارد كاول» الذي صوَّرهما بنسخة مكتبة «بودليان» ونسخة أخرى من مكتبة «كلكتا» وأرسلهما لصديقه الشاعر، وما أن بدأ بترجمتها حتى كتب إلى صديقه المتدين «أخشى أنك ستندم في يوم ما لأنك أعطيتني مخطوطات الخيَّام»[(١)]

وبتحريفية مقصودة، جنح بعدد من الرباعيَّات نحو ضفة أخرى، وهكذا فتح باباً موازياً لتأويلات الخيال، فقد عاد المتخيَّل الأوربي عن الشرق، ليفعل فعله في تكريس الصورة القلقة لشخصية الخيَّام، مع «هارولد لام» بروايته «حياة عمر الخيَّام ١٩٣٤» بما تحمله من متخيل إستشراقي، يعتمد الاستيهام والخيال أكثر من رصانة البحث العلمي، وللأسف، فإنَّ هذه المادة الأوربية التخييلية في أجزاء كبيرة منها، أضفت مزيداً من الظلال الكثيفة على هذه الشخصية المحاطة بالألغاز أصلًا، وزادت من تعقيداتها الموجودة في المراجع التاريخية. ومنها تلك الحادثة التراجيدية عن محبوبته «ياسمين» التي أجبرت على

---

(١) «رباعيَّات الخيَّام ـ فتيزجيرالد» ترجمة وتقديم بدر توفيق منشورات أخبار اليوم/ القاهرة ١٩٨٩.

الزواج من تاجر حلبي، واضطرت لمغادرة «نيسابور» معه، ثم طلَّقها بعد أن مرضت وتركها وحيدة، فلحقَ بها الخيَّام واصطحبها عائداً بها إلى «نيسابور» لكنَّها توفيت في الطريق، فدفنها تحت إحدى الأشجار، وراح يكتب رباعيَّاته التي لا نصادف فيها أيَّ أثر لظلال تلك الحكاية المزعومة التي من المفترض أن تكون حاضرة بقوة، وهكذا أصبحت عناصر ذلك المتخيَّل مرجعاً آخر لتأويلات وترميزات شعرية عن حياة الخيَّام وليس فقط الرباعيَّات، وانعكست على الأدب العربي، والعربي الفرانكفوني كذلك، كما هو الحال لدى البياتي في مسرحية «محاكمة في نيسابور» وديوان «الذي يأتي ولا يأتي» واكتشافه الأساسي لرمز «عائشة» التي تعيش في كل العصور. وكذلك راوية اللبناني أمين معلوف «سمرقند» التي تدمج الوثيقة بالخيال لترسم صورةً ما لشخصية الخيَّام.

عربياً، كانت مجلة الهلال «لجرجي زيدان» أوَّلَ من أعادَ الاهتمام بالخيَّام شاعراً، وأطلقت سجالًا ثقافياً حوله، لم يخلُ من ابتسار البدايات، وتلعثم الأسئلة والأجوبة معاً حول شخصية الخيَّام، في سجال كهذا، وذلك عندما نشرت تعريفاً موجزاً بعمر الخيَّام ورأت أن ترجمة حياته وإنجازه في الثقافة العربية، وكذلك الفارسية، قليلة ونادرة بسبب اتهامه بضعف العقيدة. لكنها أكدت على تنويريته وتمردّه، بوصفه «فولتير المشرق» كما سمته[1]

ثم عادت لتجيب على تساؤل حول ترجمة «فيتزجيرالد» لرباعيَّات الخيَّام، وقالت أنَّ «أبو سعيد بن الخير» أول من أسس لهذا النوع من

---

(١) مجلة الهلال «العدد الثامن السنة الحادية عشرة في ١٥/ ١/ ١٩٠٣» رداً على تساؤل لأحد المهتمِّين، من مدينة الإسكندرية ويدعى «أحمد أفندي سليم» الذي يبدو أنه أطلع على الترجمة الانكليزية لرباعيَّات خيَّام وسأل عن الشاعر وترجمته في التراث العربي.

الشعر وأن الخيَّام هو أول من تفنَّنَ في هذا الفن واشتهر به في الشعر الفارسي(١).

وفي العدد السادس ١/٣/١٩١٠ نشرت الهلال أول مقالة موسعة نسبياً، مقارنة بتلك الإشارات السابقة في سطور قليلة، لعيسى اسكندر المعلوف وقَّعها من «زحلة» اللبنانية، وعنوانها: «عمر الخيَّام ما عرفهُ العربُ عنه» وفيها ترجمة لستِّ رباعيَّات، قال أنه ترجمها سنة ١٩٠٤، بعد إطلاعه على مقالة لكاتبة أمريكية يبدو أنها من أصول إيرانية وتدعى عقيلة بورين «w.e boren» كانت نشرتها عام ١٩٠٣ في إحدى المجلات الأمريكية وفيها ترجمة لعدد من تلك الرباعيَّات ونقلها المعلوف بدوره للعربية، في أول ترجمة نظماً للرباعيَّات وهذه الرباعيَّات هي:

ـ ١ ـ

إبذلْ قَصارى الجهدِ في عَمَلِ الذي
تبغيهِ في هذي الدِّيارِ مُشمِّرا
مِنْ قبلِ ما داعي الرَّدى يُبدي الندى
أنتَ الثرى ومن الثرى وإلى الثرى
من غيرِ خمرٍ أو مغنٍ أو غِنا
وبلا انتهاءٍ سوفَ ترقدُ في العرا

(١) في إجابة على تساؤل آخر لأحد المهتمِّين العرب المقيمين في انكلترا ويدعى «محمود أفندي سري» في «العدد الخامس السنة الثامنة عشرة في ١/٢/ ١٩١٠» وفي عدد لاحق «١/٥/ ١٩١٠» نشرت المجلة تعقيباً للشاعر الإيراني محمد تقي، يصحِّح فيه أصل الرباعيَّات مشيراً إلى أنَّ «أبو جعفر الرودكي» هو أوَّل من أسس ذلك الفن وليس «أبو سعيد البخارائي» كما نشرت المجلة خطأ.

- ٢ -

ديـــوانُ أشـــعـــارٍ بـــظـــلٌ حـــديـــقـــةٍ
ورغـيـفُ خـبـزٍ مـعْ نـبـيـذِ الـكـاسِ
وحبيبتي تسبي العقولَ بحسنِها
فــردوسُ عَــدْنٍ ذاكَ بــيــنَ الــنــاسِ

- ٣ -

رأيــتُ ســرورَ عــيــشٍ واكــتــئــابــي
ســواءٌ فــي مَــشِــيــبــي أو شَــبــابــي
فَــمــنْ يــكــشــفْ لــهــذا الــكــونِ ســرّاً
يــجــد أنَّ الــمــصــيــرَ إلــى تــرابِ

- ٤ -

لــــمــــاذا لــــلــغــــدِ الآتــــي تــــذوبُ
وعَــيــشُــكَ لا يــروقُ ولا يــطــيــبُ
إذا مــا كــنــتَ تَــحــسَــبُــهُ بــعــيــداً
«فــإن غــداً لِــنــاظــرِهِ قــريــبُ»
فــلا تــصــرفْ حــيــاتَــكَ فــي مُــحــالٍ
فــربَّ بــقــيَّــةٍ مــنــهــا تــريــبُ

- ٥ -

ومــحــلٌ ضــمَّ ورداً أحــمــرا
دمُ مــلــكٍ فــوقَــهُ قــدْ أُهــرِقــا

ونـــبـــاتٍ فـــيـــه زهـــرٌ أزرقٌ
ذاكَ خـــدٌّ فـــيـــهِ خـــالٌ أشـــرقـــا

- ٦ -

أيـــا خـــيَّـــامُ كـــمْ تـــبـــكـــي بـــكـــاءْ
وتـــنـــدبُ فـــيـــهِ ذنـــبَـــكَ والـــخـــطـــاءْ
فـــلـــســـتَ تـــجـــرُّ نـــفـــعـــاً مـــن عـــويـــلٍ
ولـــو أنَّ الـــعـــويـــلَ مـــلا الـــفـــضـــاءْ
فـــلا تـــقـــنـــطْ ولا تـــجـــزعْ فـــإنِّـــي
أرى الـــرَّحـــمـــن مُـــغـــنـــمَ مَـــنْ أســـاءْ

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن المعلوف لم يُشر في تلك المقالة إلى أنَّها من رباعيَّاته بل اكتفى بالقول أنها من أشعاره، ويلاحظ أنه لم يلتزم تشطيراً واحداً ولا التزم ببحر شعريٍّ موحَّد في المقاطع الستة التي ترجمها.

ثم أعقبتها المجلة بنشرها مقاطع مختارة من ترجمة وديع البستاني[١]، وهي أول ترجمة موسَّعة للرباعيَّات، وقد ترجمها البستاني عن النص الانكليزي لفيتزجيرالد.

ومع أن هناك ترجمة غير موزونة «لأحمد حافظ عوض[٢] ١٩٠١»

---

(١) عددها في ١/٣/١٩١٢، وكانت تلك المقاطع من ترجمة الرباعيَّات الذي كان البستاني قد أصدرها في كتاب ذلك العام.

(٢) هناك محاولات لاستقصاء أول ترجمة عربية للرباعيات، بالذهاب إلى زمن أبعد، إذ يرى عبد الحق فاضل أنَّ ترجمة القاضي نظام الدين الأصفهاني هي أول محاولة في ترجمة الرباعيات إلى العربية. وقد ترجم رباعية واحدة. وكذلك رأى يوسف بكار هذا الرأي.

سبقت ترجمتي البستاني والمعلوف، إلا أنَّ ترجمة البستاني، هي أول ترجمة عربية للرباعيَّات منشورة بكتاب، مما يعيد سؤالًا تقليدياً، حول جدوى ترجمة الشعر نظماً أو حراً وأهمية كلٍّ منهما وقربه من الأصل.

إذن فهو قرن كامل انشغلت خلاله الثقافة العربية بهذه الرباعيَّات، كما لم تنشغل بأيِّ عمل أدبي عربي أو أجنبي، ترجمة ودراسة وتحليلًا.

وإذا كان هناك من يرى كلَّ ترجمة لنصٍّ أدبي «خيانة»[1] فإننا أمام قرن مُتصل من الخيانات النموذجية، ولا تزال تلك الخيانة مستمرة. مزدوجة بمستويين: مستوى فني، لأنَّ كل ترجمة هي تشويهٌ بدرجة ما للأصل الشعري، وربما لا تضاهيه بلاغة ومعنى، وأخرى خيانة للخيَّام نفسه، فهو بريء من عدد كبير من هذه الرباعيَّات المنسوبة إليه، لأسباب شتى.

قرن كامل، ظلت خلاله الدراسات المقارنة للترجمات العربية للرباعيَّات، تتركَّزُ بشكل أساسي، بين الترجمات المنظومة وزناً وقافية، فترجّح واحدة على الأخرى، بينما أقصيت الترجمات الحرة غير الموزونة، إلى حدٍّ كبير، كان ذلك متأتياً من طبيعة ذهنية التفسير التقليدي لمفهوم الشعر التي كانت سائدة خلال النصف الأول من القرن العشرين، واليوم، بعد أن أصبحت ترجمة الشعر بوزن وقافية منحسرة تماماً، أمام الترجمات الحرة ـ وما أكثرها ـ ربما علينا إعادة مراجعة ما علقَ في الذاكرة وكأنه ثوابت، ونضع الترجمات غير الموزونة، في سياق مقارنة فنية ونصية، تنظر إلى الترجمة نظرة أخرى، خارج ثنائية الوزن والقافية التقليدية، طالما أنَّ الخيانات متعدِّدة ومزدوجة كما بيَّنا.

---

(١) من اللافت أنَّ هذه «الخيانة» مترجمة أساساً عن مقولة إيطالية تقوم على جناس لفظي شبه تام، لكن بمعنى مختلف وربما متناقض «traditore: traduttore» وتعني: «المترجم خائن» وشاعت في الثقافة العربية، وكأنها ارتكاب أصيل.

الخيّاميات الجوّالة

استقبلت الرباعيّات،كشأن الأعمال العظيمة في تراث الشعوب، مزيداً من الجرعات الإضافية والنَّحل والتطويل، فأصبحت فضاء نموذجياً لتفريغ المكبوت الجمعي الفارسي في ثلاثة قرون واستيعابه، لذلك لم يكن متاحاً معرفة عددها الحقيقي، وهذا ما يحدث عادةً، بدرجات متفاوتة، في كثير من النصوص الفذّة التي تحرّض الآخرين على الانتساب لها حتى وإن بتهجينها، نلاحظ مثلاً في تراث الشعر العربي، أنَّ قصيدة «مالك بن الريب» في رثاء نفسه كانت في الأصل، تتألف من ثلاثة عشر بيتاً حسب صاحب الأغاني، ولشدة إعجاب الناس بها بلغت بعد أقلّ من قرن أكثر من ستين بيتاً، وكذا الحال في «مرثية الأندلس» لأبي البقاء الرندي وغيرهما من الأشعار الخالدة.

ومن الطبيعي أن تلحق الزيادات والإجراءات الإضافية بهذه الرباعيّات، إذا ما عرفنا أنها بقيت لأكثر من ثلاثة قرون يجري تناقلها شفاهياً في اللغة الفارسية نفسها، قبل أن يجري تدوينها وقد أضحت أضعافاً مضاعفات.

ومن اللافت إن العرب الذين جاوروا الفرس ثقافياً منذ بدء التاريخ،لم يعرفوا الرباعيّات إلا متأخّرين رغم أنهم عرفوا الخيّام شاعراً بالعربية، حيث استشهد جلال الدين القزويني في «الإيضاح في علوم البلاغة» بثلاثة أبيات من شعره بالعربية، إلا أن ابن الأثير في «الكامل» يكتفي بوصفه «بالمنجم» أما البيهقي فيضفي عليه في «تتمة صوان الحكمة» صفات «الحكيم» و«الإمام» و«الدستور الفيلسوف».

وأورد له العماد الأصفهاني في «الخريدة»[1] هذه الأبيات من شعره بالعربية:

---

(١) عماد الدين الكاتب الأصفهاني المتوفى ٥٩٧ هـ «خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء فارس وهراة» تحقيق وتقديم عدنان محمد آل طعمة. طهران ١٩٩٩ ص ٨٥.

إذَا رَضِيتُ نفسي بميسورِ بُلغةٍ
يحصّلها بالكدِّ كفّي وساعِدي[1]
أمنتُ تصاريفَ الحوادثِ كلّها
فَكُنْ يَا زَماني مَوعدي أَوْ مواعدي
أليسَ قضا الأفلاك من دورها بأنْ
تعيدُ إِلَى نحسٍ جميعِ المساعدِ
فيا نفسُ صَبراً عن مَقِيلكِ ريثما
تخرُّ ذراهُ بانقضاضِ القَواعِدِ

ونقلها عنه القفطي لاحقاً[2]

ومع هذا لم يكن الخيّام، قبل اكتشاف الرباعيّات، يحتلُّ هذه المكانة في الشعر الفارسي، كما هو الحال، مع الشّيرازيَيْن: «سعدي وحافظ» أو «جلال الدين الرومي» أو «فريد الدين العطار» وكلُّهم كتبوا الرباعيّات في عصر ازدهارها، بل انَّ مقاطع لهؤلاء، وهم متأخّرون زمنياً عن الخيّام، فرّتْ من عصرها، وظلّتْ متشرّدة إلى أن دخَلَتْ في صميم تلك الرباعيّات، حتى بدتْ وكأنها للخيّام بفعل الذاكرة الشفاهية، لكنَّ شهرة الرباعيّات جعلت منهُ الأكثر شهرةً بينهم جميعاً. ويؤكّد «ويل ديورانت» في قصة الحضارة أنه «يوجد الآن آلافٌ من الرباعيّات الفارسية، معظمها لا يُعرف قائلها، ومنها ١٢٠٠ تُعزى إلى

---

(١) البُلغة: ما يكفي من العيش ولا يزيد. وقد ورد تضمين الشطر الأول من القصيدة في قصيدة للفَخْر الرَّازِي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ ـ ١٢١٠ م) أوردها ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ص ٤٦٨.طبعة مكتبة الحياة بيروت، وشعر الخيام العربي المتوفر بضع مقطوعات، لا تتجاوز كلها ثلاثين بيتاً ولعل هذه القطعة أطولها.

(٢) أخبار العلماء بأخيار الحكماء جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م ص ١٨٧

عمر الخيَّام نفسه، ولكنَّ كثيراً منها يُشكُّ في أنَّها من قوله»[1] مشيراً إلى وجود رباعيَّات أخرى هي «لأبي سعيد بن أبي الخير» إضافة إلى رباعيَّة ثبتت نسبتها فعلًا «لابن سينا»وليس هذا من الغريب، ذلك أن كُتُب «ابن سينا» كانت مصدراً أساسياً في التكوين الثقافي للخيَّام.

غير أنَّ الإثارة الأبرز حول لغز الرباعيَّات جاءت في بحث المستشرق الروسي «فالنتين زيوفسكي. عمر الخيَّام والرباعيَّات الجوَّالة» الذي نشره في العام ١٨٩٧ وأثبت فيه أنَّ هناك ٨٢ رباعيَّة ليست للخيَّام، وإنما لعدد كبير من الشعراء الفرس بينهم هؤلاء الذين ذكرتهم سابقاً.

وجاء من بعده المستشرق الدانماركي «آرثر كريستنسن» ليرفع عدد الرباعيَّات الجوَّالة، أو المنحولة التي نسبت للخيَّام إلى ١٠٨ رباعيَّات.

وإزاء محاولات التنقيح المستمرة لتمييز الأصيل من الدخيل في الرباعيَّات، كان هناك بالمقابل ضخٌ متوازٍ، لم ينج منه الخيَّام حتى في العصر الحديث، لنجد مثقفاً بحجم «عباس محمود العقاد» ينسب له «الرباعيَّة» التالية:

ألا يا أيُّها الساقي
أدرْ كأساً وناوِلْهَا
متى ما تلقَ من تَهوى
دع الدُّنيا وأهمِلْهَا

ويكتفي عبد المنعم الحفني وهو باحث في الرباعيَّات، بالقول أنها منحولة على الخيَّام، «ولم نجد كتاباً مما قرأنا عن الخيَّام قد رصد أو

---

(١) ويل ديورانت «قصة الحضارة عصر الإيمان ـ الحضارة الإسلامية ـ عظمة المسلمين واضمحلالهم ـ عصر عمر الخيَّام» ترجمة محمد بدران دار الجيل بيروت، الجزء ١٣ ص ٣٤٤..

أشار إليها من قريب أو بعيد، الأمر الذي يؤكد أنها منحولة على الخيّام، ولا أدري كيف زل العقاد...»

بيد أنَّ هذه الرباعيَّة المزعومة، وما هي برباعيَّة أصلًا إلا بتوزيعها الملفق، هي بيت شعري واحد، من شعر لحافظ شيرازي يشكله شطران هما الأول من القصيدة، والأخير في نهايتها، وليس، أربعة أشطر، كما وزعها العقاد، ولا ندري، نحن بالمقابل، كيف جهل الحفني هذه القصيدة المشهورة في أول ديوان حافظ[1]

وكان العقاد نفسه قد نشر في ديوانه «أعاصير مغرب» تضميناً لثلاثة أشطر من إحدى رباعيَّات الخيَّام في قصيدة له بعنوان «جنَّة الخيَّام»

رغـــيـــفُ خُـــبـــزٍ ووجـــهٌ

حُـــلوٌ وكـــأسُ مُـــدامِ

---

(١) عبد المنعم الحفني «عمر الخيَّام والرباعيَّات» دار الرشاد القاهرة ١٩٩٢، ص ١٧٧، والقصيدة كانت قريبة منه وقريبة من العقاد كذلك، فقد ترجمها ابراهيم الشواربي في الأربعينيات وهذا نصها:

ألا أيُّها الساقي، أدرْ كأساً وناولها ... فإني هائمٌ وجْدَاً، فلا تُمسكْ وعجِّلها
بدا لي العشقُ ميسوراً، ولكنْ دارت الدنيا ... فأضحى يسرُهُ عُسراً، فلا تبخلْ وناوِلْهَا
وهلْ لي في صَبا ريحٍ مَضتْ في طرَّةٍ شعثى ... بنشرِ الطيبِ تدعوني: ألا عجِّلْ فقبِّلْهَا
وذاكَ المنزلُ الهاني إذا يَمَّمتُهُ، دقُّوا ... بِهِ الأجراسَ: أنْ هيِّئ رحالَ السيرِ واحمِلْهَا
وشيخي عارفٌ يدري رسومَ الدَّارِ فاتْبَعْني ... وخذْ سجَّادةَ التَّقوى بماءِ الكرْمِ فاغْسِلْهَا
قضيتُ الليلَ في خوفٍ، بُحورِ الهمِّ تطويني ... فقلْ للعاتب الزَّاري: تعالَ الآنَ فانْزِلْها
وأمري ساءَ من حُبِّي لنفسي، والورَى يدري ... بسرٍّ كنتُ أخفيهِ ونفسٍ لَمْ أبدِّلْها
إذا ما شِئْتَ لقياهُ تذكَّر «حافظٌ» قولًا: ... مَتَى ما تلقَ من تَهوى، دعِ الدُّنيا وأهمِلْهَا

«أغاني شيراز ديوان حافظ الشيرازي» ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي تقديم الدكتور طه حسين طبعة دار الشرق طهران ٢٠٠٤م، ص ٨٦، وانظر كذلك الغزلية الأولى من نفس الكتاب في طبعة مهرانديش طهران عام ١٩٩٩م.

وتـــــلكَ جَـــنَّـــــةُ عَـــــدْنٍ

فـــي مَـــذْهـــبِ الـــخـــيَّـــام[1]

إنَّ اتساع حجم الرباعيَّات في الشعر الفارسي، لم يستغرق وقتاً طويلًا على ما يبدو، ولهذا فإنَّ تلك الرباعيَّات التي تبدو مدسوسةً بمهارة في سياق الرباعيَّات الأصليَّة، تعبِّر بشكل ما عن عصرٍ نهضة شعريَّة كبيرة، في تاريخ الشعر الفارسي، أكثر من كونها محاولة لإضفاء المزيد من السحر على شعرية الخيَّام بالذات، فاللغة الفارسية كانت تنهض من جديد بجمالياتها وخصوصيتها القومية والثقافية، والتمسُّك بهوية ثقافية أدبية، وتطلُّعها للانعتاق من الهيمنة، خاصة إذا ما علمنا أنَّ اللغة العربية حتى عصر الخيَّام، كانت لغةَ الدين والثقافة، بل هي اللغة الرسمية في عموم إيران.

لكن اللافت إنه كلَّما ازدادَ عددُ الرباعيَّات المترجمة، طفت معضلة «الرباعيَّات الجوَّالة» على سطح الترجمة، فبدت شخصيةُ الخيَّام من خلالها، شخصيةً هلامية، فيظهر شاعراً دهرياً مرَّة، وزاهداً مرة أخرى، لذائذياً هنا، وتشاؤمياً هناك، باطنياً في هذه الترجمة، ومتحللًا، في ترجمة أخرى، وكرَّس من هلامية صورته هذه، طبيعة التفسير التاريخي للعصر الذي عاشه، حيث نشأ في عصر الهيمنة السلجوقية، على مركز قرار الإمبراطورية العباسية، بعد اندحار البويهيين، واندلاع الحروب الصليبية، بما تمثِّله من صراع الثقافات، وكذلك احتدام الصراع الداخلي بين الباطنية والسلفية وظهور نزعات التكفير القائمة على جدل ثقافي مثَّلهُ بشكل واضح من الجانب السلفي كلٌّ من الغزالي وإمام الحرمين «أبو المعالي الجويني».

إلا أنَّ «باطنية الخيَّام» ظلَّت محلَّ جدل بين الباحثين، فعلى الرغم

---

(١) عباس محمود العقاد ديوان «أعاصير مغرب» نهضة مصر للطباعة القاهرة ١٩٩٧، ص٩٩. وكانت الطبعة الأولى من الديوان قد صدرت في العام ١٩٤٢.

من أنه كان معاصراً للحسن الصباح وزميلًا دراسياً له في بعض الروايات، وكذلك الوزير نظام الملك، وتوفي قبل ابن الصباح بعام واحد فقط، إلا أنَّ أحمد الصرَّاف يؤكِّدُ في دراسته القيِّمة عن الخيَّام، إنهما رغم كونهما صديقين في الشباب، إلا أنهما لم يلتقيا بعد أن سافر ابن الصباح إلى مصر، خاصة وأن أفكار هذا الأخير للدعوة الباطنية بدأت تتبلور بعد تلك الرحلة[1]

ومثلما تبدو الرباعيَّات فضاء شعرياً في إهاب فلسفي أبيقوري للمكبوت الإيراني خلال ثلاثة قرون، وليست مجرَّد صياغة أو سيرة واحدة لشخصية قلقة وحائرة. صارت كذلك في الترجمات العربية، فراح كلٌ يترجم عدداً محدَّداً منها لدوافع وغايات وأهواء متباينة.

وسنجد تقارباً طبيعياً بين الترجمات العراقية للرباعيَّات، مثلًا، لكننا سنجد فرقاً بينها وبين ترجمة أحمد رامي بالمقابل، وليس السبب هنا لاجتهاد المترجم، أو لطبيعة «الخيانة» التي ارتكبها فالخيانة موجودة في ثنايا النصِّ الفارسي نفسه بفعل كثير من الدخيل، مما يشير إلى أن كلَّ مترجم اعتمدَ نسخة فارسية، تختلف عن تلك التي اعتمدها الآخر، فقد اعتمد كلٌّ من الصرَّاف والنجفي على نسختين في الترجمة الفارسية، الأولى مشتركة بينهما هي النسخة التي نشرها المستشرق الألماني «فريديرك روزن» وهي تعدُّ أقدم من نسخة «مكتبة بودليان» التي ترجم عنها «فيتزجيرالد» وكذلك أحمد رامي، أما الثانية فكانت نسخة «حسين دانش» بالنسبة للصراف، ونسخة «رشيد الياسمي» المطبوعة بطهران بالنسبة للصافي النجفي.

ويشكل العدد الحقيقي للرباعيَّات في تصوُّر كلِّ مُترجِمٍ معضلةً

---

(١) وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، في نفي تلك العلاقة فيرى «إن العلاقة الباطنية بين نظام الدين والحسن الصباح والخيَّام، هي نوع من الأساطير اخترعها مؤرخ يدعى ميرخوند من مؤرخي القرن التاسع الهجري» مجلة الرسالة العدد ٩٧٦ ـ بتاريخ: ١٧ ـ ٠٣ ـ ١٩٥٢ عمر الخيَّام بين الحقيقة والأسطورة أحمد مصطفى الخطيب

أخرى، إذ يرى الصرَّاف أنها بين ١٢٠ إلى ١٥٠ صحيحة والبقية منحولة، رغم انه ترجم أكثر من هذا الرقم بقليل، حيث ترجم ١٥٤ رباعيّة[١]، بينما يرى الزَّهاوي أنها لا تتجاوز الثلاثمائة من بين أكثر من ألف رباعيّة نسبت للخيّام ترجم منها ١٣٠ رباعيّة ترجمة حرة صحبها بصياغة موزونة لكلّ رباعيّة.

ومن هنا تصبح ملاحقة النص الأصلي، هي المعضلة الأولى قبل أن نبحث عن دقة الترجمة، بين مترجم وآخر.

لقد جرى تكييف ترجمة الرباعيّات على وفق المزاج الروحي للمترجم نفسه، وثقافته ومعتقداته، خاصة وإن كلّ من تصدى لترجمتها انتقى ما يناسبه من بين الرباعيّات، ولهذا يمكن القول أن لكلّ من مترجمي تلك الرباعيّات «خيّامه» الذي يتوافق مع معتقده، بل أن الصافي النجفي، أعلن براءته مما شاع من تعلّق القراء بالجانب الخمري والدهري من الرباعيّات، خاصة وأن تلك النماذج أصبحت نديمة السكارى في البارات وجلسات الأنس في مختلف الأماكن في البلاد العربية كما يقول في أحدى قصائده:

خالوهُ، من شِعرهِ، في الحانِ مُنطرحاً
وكمْ أساءتْ إلى الأشعارِ أفهامُ
ففتّشوا عنه في الحانات وانصرفوا
وكلُّ ما عرفوهُ عنهُ أوهامُ

وفي مكان آخر يقول:

ترجمتُها للفنونِ خالصةً
تسكرُ قرّاءها بِمَغزاها

(١) إضافة إلى رباعيّات أخرى ترجمها في سياق دراسته عن شخصية الخيّام، ولم يضمها للرباعيّات، وقد أوردناها في ملحق بترجمته في هذا الكتاب.

إذا بـهـا فـي الـحـانـاتِ سـاكـنـةٌ
تـصـبـغُ أوراقَـهـا حُـمـيَّـاهـا

إنَّ الأوهام التي يشيرُ إليها الصافي النجفي، في فهم الخيَّام، ناتجة، كما يرى، عن سوء قراءة لرباعيَّاته، وليس من ذلك الضخِّ للرباعيَّات الدخيلة الذي استمرَّ عشرات العقود، ولذلك سنجد أنه يعمدُ أحياناً إلى تخفيف مستويات تلك النبرة الشهوانية، والإنكارية، والتجديفية، في الترجمة، أو يعزف أحياناً عن ترجمتها.

أما الترجمات العربية والتي تعدُّ ترجمة «أحمد رامي» نموذجاً لها، فقد أهداها إلى روح شقيقه الذي رحل بينما كان رامي يبحث عن مخطوطات الرباعيَّات في مكتبات باريس، ولذا وقعت ترجمته تحت هذا التأثير الشخصي، لذلك غلبَ عليها طابع الزهد وبطلان الحياة، وهو ما اعترف به في تصديره للترجمة: «فحسبتني وأنا أترجمها أنظم رباعيَّات جديدة، أودعها حزني على أخي الراحل، في نُضرة الشباب وأصبِّرُ نفسي بقرضها على فقده»[١]

ولهذا سنجد أنها لم تبرز الجانب الأبيقوري للخيَّام في الحياة ونظرته الدَّهرية للوجود إلا لماماً، والتي تعدُّ ترجمات الصرَّاف والنجفي والزهاوي، برأيي، أفضل تمثيل لهذا الجانب في الرباعيَّات.

فروح الرباعيَّات في جانب واسع، هي «قلندريات وشطحات خليعة» مشحونة بالتمرُّد، تتجاوز المعهود من شعر التصوف، وأناشيد المناجاة التقليدية في الأدب الملامتي بشكل خاص.

والقلندريات في الشعر «أن يأتي الشاعر في شعره بما هو مخالف للعُرف والعادة، ولا يكون مبالياً بما يجب الاحتراز منه، وأن يكون

---

(١) أحمد رامي «رباعيَّات الخيَّام» طبعة دار الشروق القاهرة ٢٠٠٠. وقد كتب ذلك عام ١٩٥٠، أي بعد ٢٦ عاماً من نشره الطبعة الأولى من الكتاب في عام ١٩٢٤م.

مجرَّداً من أوصاف الصلاح والتقوى، بل يرى مُخالفة الشريعة من الكمال، وسبباً في الترقِّي»[1]

ورباعيَّات الخيَّام في عدد مهمٍّ منها تنتمي إلى هذا النوع الخاص من الفنِّ الشعري وليس في التوزيع الهندسي «للترانه الفارسية» فحسب ولكن في المضمون الأخلاقي التي تنطوي عليه كذلك، من الاحتفال بالفجور والتهتك، والانفلات من العادة والعبادة.

ولكن عندما تسمَّى هذه المضامين «قلندريات» فإنها تثير أكثر من إشكالية، لأنَّ بدايات ظهور التصوُّف القلندري، غير موثَّقة تماماً، لكن المؤكد أنها كانت موجودة في القرن السادس الهجري «الثاني عشر الميلادي» وهو القرن الذي توفي الخيَّام في العقد الثاني منه، ولعل بداياته، وربما إرهاصاته، تعود إلى قبل ذلك التاريخ، وترتبط بتاريخ التصوف نفسه، خاصة في نزعاته الآسيوية الممزوجة بتأثيرات ثقافية خاصَّة، ميَّزته عن نزعات التصوف الإسلامي في البلاد العربية، وبغداد تحديداً.

بيد أنَّ وجود النزعة «القلندرية» الواضحة في الرباعيَّات وليس المصطلح بما يثيره من شكوك، يؤكد أنَّ التأسيس لهذا النوع من

(١) «موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تحقيق: د. علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ١٩٩٦م. الجزء ٢ ص ١٣٤١ . وجاء في تعريف قلندر إنه : «شخص تجرد عن نفسه وعن الأشكال البشرية والأشكال العادية والأعمال التي لا سعادة فيها حتى صار من أهل الصفاء وترقَّى إلى مرتبة الروح، وتخلص من القيود والتكليفات الرسمية، والتعريفات الاسمية، والفرق بين القلندر الملامتي والصوفي، هو أن القلندري قد وصل إلى درجة الكمال في التفريد والتجريد. ويسعى في تخريب العادة. وأمّا الملامتي فيجتهد في إخفاء عبادته. وأمّا الصوفي: فهو لا يبالي قلبه بالخلق أصلًا ولا يلتفت إليهم في شيء من أحواله، لذا فهو أعلاهم مرتبة».

الأدب، قد سبق ظهور السلوك الجماعي لتلك الطائفة، وربما انضمت له لاحقاً، وتدخّلتْ بشحن الرباعيّات بمزيد من الملامح التي تجعلها في صميم الطريقة القلندرية، في محاولة للتأصيل الجمالي لتلك العقيدة.

في «الدوبيت والرباعي» وإيقاع الترجمات

كُتبت الرباعيّات على وزن «الدوبيت» أي بصيغة البيتين الممقطعين، وليس الشطرين المتصلين كما هو في المثنوي المزدوج، والدوبيت أربعة أشطر تُكوِّنُ بيتين متفقين في الوزن والقافية ووحدة المعنى، وللدوبيت ثلاثة أقسام، الأول: بأربع قوافٍ كالمواليا، أي بجناس لفظي في القافية، لكن بمعنى مختلف كقول ابن الفارض:

لَمَّا نَزَلَ الشَّيْبُ بِرَأْسِي وَخَطَا
والعُمْرُ معَ الشَبَابِ ولَّى وخَطَا
أصبحتُ بِسُمْرِ سمرقندٍ وخَطا
لا أُفَرِّقُ ما بَيْنَ صَوَابٍ وخَطَا[1]

والثاني: «المردوف» وهو بأربع قوافٍ بالأشطر الأربعة أيضاً، لكن بلا جناس لفظي كقول جلال الدين الرومي:

الخمرُ من الزقِّ تُناديكَ تعالْ
واقْطَعْ لوصالِنا جميعَ الأشغالْ
فُزْنا وصَفَونا وسَبقْنا الأحْوَالْ
كيْ نُعتِقَ بالنجدةِ روحَ الأعمالْ

(١) وَخطا الأولى: اختلط شعرُه الأبيض بالأسود، وخَطا الثانية: مشى، سمرُ سمرقند، أي نساء سمرقند السمراوات، وخَطَا الثالثة: مدينةٌ في تركيا، وفي معجم البلدان «خُطى» مدينة بين الكوفة والشام، وخطا الرابعة: خطأ أي عكس الصواب.

والثالث: «الخصيُّ» أو «الأعرج» وهو بثلاث قوافٍ ومنه قولُ الحلاج:

كَم يَنشُرُني الهَوى وَكَم يَطوِيني
يا مالِكَ دُنيايَ وَمَولى دِيْني
يا مَن هُوَ جَنَّتي وَيا رُوحي أَنا
إِنْ دامَ عَلَيَّ هَجرُكُم يُغْنِيني

وكذلك «دوبيت» العتابي بين القرنين الثاني والثالث الهجري:

يا ساقِياً خُصَّني بِما تَهْواهُ
لاتَمزِجْ أقْدَاحِيْ رَعاكَ اللّهُ
دَعْها صِرْفاً فإنَّني أمْزِجُها
إِذْ اشرَبُها بذكرِ مَنْ أهواهُ

وقد كتبت معظم رباعيَّات الخيَّام على هذا النوع الأخير من «الدوبيت» أي «الأعرج أو «الخصي» مع وجود رباعيَّات كُتبتْ وفق نسق النوعين السابقين.

ويرى التهانويَّ أنَّ الرباعي، يعني أيضاً «الأغنية ـ ترانه» ويشترط بالبيت الثاني من الرباعي، أن لا يخلو، حسب التهانوي أيضاً، من اللطيفة أو النكتة أو المثل.

وبهذا المعنى الأخير لا تتحدَّد الرباعيَّات بشروط وضوابط شكلية فحسب، وإنما تستلزم، في الوقت عينه، خصائص في المحتوى تميِّزُها عمَّا سواها من أشعار، إنها أشبه ببيت القصيد في الشعر العربي، وتُقارب مقطوعة «الهايكو الثلاثية» في الشعر الياباني، ويكون البيت الأول منها عادة، تمهيداً وتوطئة لذرويِّة سريعة ومفاجئة في صعود المعنى واحتشاده في البيت الثاني بما يخلق نوعاً من التنافر الدلالي، وهو ما يسمى في لغة النقد الحديث: الضربة، أو المفارقة.

و«الدوبيت» البحر الشعري لكتابة الرباعيَّات لدى الخيَّام، بحرٌ

مستحدثٌ خارج بحور الخليل الخمسة عشر ومتداركها على يد الأخفش. وقد ظلَّ أصل بحر «الدوبيت» ودخوله على الشعر العربي، محلَّ جدل لدى المهتمِّين بتأصيل العروض، فهناك من يعزُوه إلى تأثُّر العرب بالفرس، لأنَّه يَفترضُ أنَّ تاريخ أقدم قصائد «الدوبيت» تعود إلى الشاعر الفارسي «أبو جعفر الرودكي» المتوفى ٣٠٢هـ، ويعدُّ الرودكي آدم الشعر الفارسي، لأنه أوَّل من وضع أسس الشعر الكلاسيكي الإيراني، فكتب «المثنوي» و«الرباعيَّات» و«الأنشودة» وصاغ «كليلة ودمنة» شعراء، وجزءاً من «ألف ليلة وليلة» المتعلق برحلات السندباد، لكن على غير هذا الافتراض نجدُ أنَّ هناك قصائد في الشعر العربي، خاصة لدى الشعراء الصوفيين قد طرقت هذا البحر قبل «الرودكي،» كما قدمنا من مقطوعات للحلاج، وللعتابي الشاعر العباسي، كما نقرأ لشعراء آخرين، سبقوا الخيَّام في الكتابة على هذا البحر، كأبي الفتح البستي، وبكر بن علي الصابوني.

وخلال مائة عام، منذ أوَّل ترجمة لها، بلغ عدد الترجمات العربية للرباعيَّات العشرات، حتى أن الدكتور يوسف بكار أحصى خمساً وستين ترجمة إلى العربية[1] بينما رصد عبد المنعم الحفني، أكثر من اثنتين وخمسين ترجمة، وقد ازداد هذا العدد منذ تاريخ صدور الدراستين، إذ ظهرت ترجمات عربية إضافية حتى تجاوزت بمجموعها الترجمات الانكليزية والفرنسية مجتمعة! ووصل عدد طبعات ترجمة أحمد رامي لها إلى خمسة وعشرين طبعة حتى عام ٢٠٠٠.

وأمام هذا الحضور المكثف لرباعيَّات الخيَّام في اللغة العربية سيكون من الطبيعي أن نجدها وقد تركت أثراً واضحاً على البناء المقطعي، والموسيقي، للشعر العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين، ناهيك عن تأثيرات مضامينها، فمع أن الموشحات الأندلسية، وتغيير القافية وتنويعها كانت موجودةً في الشعر العربي، إلا

---

(١) في كتابه «عمر الخيَّام والرباعيَّات في آثار الدارسين» الصادر عام ١٩٨٨،

إنه يمكن ملاحظة التأثير القوي لشكل التوزيع الهندسي لأبيات الخيَّام على الشعر العربي في تلك الفترة، خاصة لدى شعراء «مجلة أبولو» وبشكل خاص لدى إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وأحمد زكي أبو شادي وغيرهم(١)

ولم يكن التأثير مقتصراً على التوزيع الهندسي وإنما تجسد كذلك في تكثيف المعنى، والاقتصاد في التعبير عن الفكرة في أربعة أشطر، والانتقال إلى تمفصل آخر عبر التحوُّل إلى مقطعية جديدة، وقافية مختلفة.

ناست الترجمات العربية للرباعيَّات بين الشعر الموزون، وما يمكن أن نسميه اليوم «قصيدة نثر» رغم أن الدارسين لتلك الترجمات يميزونها على أساس: ترجمات «شعرية» وأخرى «نثرية» وكأنَّ الوزن والقافية هما معيار مفصلي للشعرية.

وسنحاول هنا إضاءة هذا الجانب، أقصد: الموزون وغير الموزون، من وجهة نظر أخرى، ففي الترجمات الموزونة المقفاة التي بين يدينا، ثمة تباينٌ واضح في طبيعة الوزن المستخدم في الترجمة، ففي ترجمة

---

(١) انظر مثلًا قصيدة إبراهيم ناجي «رباعيَّات» في ديوان «الطائر الجريح»، وهنا نموذج من نماذج كثيرة من شعره ولعله الأكثر تأثراً بروح تلك الرباعيَّات:

وقُمْ نسخرْ من الدُّنيا وقُمْ نَلهُ معَ اللاهي
طويتُ صحيفةَ الأمسِ فَدَعها في يدِ اللَّهِ

***

هِي الدُّنيا كما كانَتْ وماذا ينفعُ الوعظُ
وما عتبتْ ولا خانتْ ولكنْ خانَكَ الحظّ

***

أرَدْنا الجاهَ والذَّهبا فلمْ يتلطَّفِ المَولى
وهذا العمرُ قدْ ذَهبا وأحسنُ ما بهِ ولَّى

وديع البستاني، ١٨٨٦ ـ ١٩٥٤، يستخدم «البحر الخفيف» لكنه يغير في التوزيع الهندسي للرباعيّات فيجعلها «سباعيّات»:

واضــطـراراً قــدْ جـئـتُ هـذي الـدِّيـارا
وسـأضـطـرُّ لـلرَّحـيـلِ اضـطـرَارا
واخـتـيـاري إن اسْـتـطـعـتُ اخـتـيـارا
أنْ أُسـرِّي عـن الـفـؤادِ الْهُـمـومـا
فـي حـيـاةٍ مـلأى أسـىً وغـمـومـا
فـأدرهـا سـلافـةً واسـقـنـيـهـا
نعمةً فالورودُ كانَ مصابا

وعلى إيقاع البحر نفسه، ينظم الشاعر العراقي محمد الهاشمي، ١٨٩٨ ـ ١٩٧٣صياغة موزون لترجمة أحمد حامد الصرَّاف عن الفارسية لكنه يجعلها هذه المرة متكوِّنة من خمسة أشطر، وهي صياغة لا ترقى فنيّاً إلى الترجمة الحرَّة للصرَّاف ونورد هنا ستة مقاطع عدة منها نظراً لندرتها وعدم نشرها في كتاب:

يَـا إلَهـي إذَا جـنـيـتُ فـإثـمـي
يـا ألـهـي عـلى شَـبـابـي وجِـشْـمـي
وعـلى نـفـسِـي الـحـزيـنـةِ جُـرمـي
أنـا جـانٍ رجـوتُ غـفـراً وصَـفْـحـا
منكَ قدْ غرَّهُ رِضاكَ فجازْ

***

جـيـئـتـي فـي الـدُّنـيـا أذىً واضـطـرابُ
وبـقـائـي تـحـيُّـرٌ وارتـيـابُ

وبـــقـــســـرٍ يـــكـــونُ مـــنِّـــي ذهـــابٌ
أيُّ قـــصـــدٍ مـــن جـــيـــئـــةٍ وبـــقـــاءٍ
وذهابٍ؟ قدْ ملَّت الألبابُ

***

من حضيضِ الثَّرى إلى حيثُ يبدو
زُحـــلٌ كـــلُّ مـــشـــكـــلٍ فـــيـــهِ عـــقـــدُ
لاحَ مـــنـــهُ فـــي حـــيـــلـــتـــي لـــيَ رشـــدُ
كـــلَّ ســـرٍّ حـــللتُ ثَـــمَّـــةَ إلا
أجلًا ما كشَفْتهُ عَن خفاءِ

***

لَمْ يـــرَ الـــخـــلدَ واحـــدٌ والـــســـعـــيـــرا
مـــن أتـــى مِـــنْ وراءَ مـــوتٍ صَـــغـــيـــرا
أفـــزعَ الـــمـــوتُ والـــرجـــاءُ صُـــدورا
نـــازعـــتْ مـــا يـــغـــيـــبُ عـــنـــهـــا ويَـــخْـــفـــى
غيرَ ذكرِ الأسماءِ والأوتارْ

***

بـــيـــدٍ مـــصـــحـــفٌ وكـــأسٌ بـــأخـــرى
تـــارةً بـــالـــجـــلالِ آتـــي وطـــورا
بـــحـــرامٍ آتـــي فـــأحـــمـــلُ وِزْرا
لـــســـتُ تـــحـــتَ الـــســـمـــاءِ بـــالـــكـــافـــرِ الـــمـــلـــح
دِ ولا كنتُ كاملَ الإسلام

***

يـا ألـهـي أوْعـدتـنـي بـعـذابِ
أنـا مـنـهُ فـي حـيـرةٍ واضـطـرابِ
أيـنَ قُـلْ يـا ربِّ مـكـانُ الـعـذابِ؟
حـيـثـمـا كـنـتَ لا عـذاب فـإنـي
هو إذ أنتمُ بكلٍّ مكانِ

أما ترجمة أحمد رامي ١٨٩٢ ـ ١٩٨١ فقد حافظت على التوزيع الرباعي، لكنَّها ذهبت إلى وزن آخر هو «البحر السريع»:

هـاتِ اسـقـنـيـهـا إيّـهـذا الـنـديـمْ
أخـضـبْ مـن الـوجـهِ اصـفـرارَ الْـهـمـومْ
وإنْ أمـتْ فـاجـعـلْ غَـسـولـي الـطَّـلى
وقـدَّ نـعـشـيْ مـن فـروعِ الـكـروم.

ويأتي جميل صدقي الزَّهاوي ١٨٦٣ ـ ١٩٣٦ فيقدِّمُ ترجمتين: إحداهما حرَّة غير موزونة، ستكون مادة أولية لصياغات موزونة عدة لاحقة، كما لدى أحمد زكي أبي شادي، والأخرى موزونة تلتزم التشطير الرباعي، وتتخذ من «البحر الخفيف» وزناً لها:

لـعـبـوا بـالـتـرابِ دَهْـراً إلـى أنْ
جـبـلوا مـنـهُ فـي الـنِّـهـايـة طـيـنـي
أنـا مـا أنْ أكـونَ أحـسـنَ مـنـي
فـمـن الـكـورِ هـكـذا أفـرغـونـي

أما أحمد الصافي النجفي ١٨٩٦ ـ ١٩٧٧، فاختار موسيقا أخرى مغايرة تماماً لجميع من سبقوه، فقد ذهب في ترجمته إلى التنويع بين البحور الشعرية العربية، وإلى ترتيب الرباعيَّات، بقواف حسب الحروف الأبجدية كما هو الحال في الأصل الفارسي، فنظمها على

بحور الشعر العربي كله، وجاءت قوافيها على جميع حروف الروي، حسب الأبجدية العربية.

وإليك ترجمته لرباعيَّة رامي ذاتها وهي هنا من «الخفيف»:

إجــعــلوا قُــوْتِــيَ الــطــلى وأحــيــلوا

كــهــربــاءَ الــخــدودِ لــلــيــاقــوت

وإذا مــتُّ فــاجــعــلوا الــرَّاحَ غُــسْــلي

ومــن الــكــرمِ فــاصــنــعــوا تــابــوتــي

إلا أنَّ هذا التَجْوال في البحور وخلق موسيقا متعدِّدة النبرات والمستويات، شكَّلتْ مادة لانتقاد «محمد خان القزويني» لترجمة النجفي، لما تشكَّله من ابتعاد عن الأصل لناحية الوزن «بحر الدوبيت» رغم ثنائه على الترجمة المضمونية للرباعيَّات كما جاء في رسالته للنجفي والتي نشرها الأخير في مقدمته لترجمة الرباعيَّات.

وهنا الترجمة الحرة لأحمد حامد الصرَّاف ١٩٠٠ ـ ١٩٨٥ للرباعيَّة ذاتها:

يا رِفقتي! أقيتوني بالْخَمْرةِ،

واجعلوا وجهي الْمُصفرَّ اصفرارَ الكهربا.. أحمرَ كالياقوتِ

وإذا متُّ فاغسلوني بالْمُدَامة

وانحتوا تابوتي منْ أعوادِ الكرْم.

وترجمها البحريني إبراهيم العريِّض على «بحر المتقارب» وهنا ترجمته للرباعيَّة ذاتها:

إذا آذنــتْ بــانــخــمــادِ حــيــاتــي

فــشــيِّــعْ بــمــشــبــوبــةِ الــرَّاح ذاتــي

وتــحــتَ ظــلال الــكــرومِ لــقــبــري
بــأوراقِــهــا هِــيَ كــفْــنُ رُفــاتــي

فيما ترجمها عبد الحق فاضل على «الرمل» بجعله أربع تفعيلات، أي المجزوء، فجعلها بمنزلة أربعة أبيات مدمجة في أربعة أشطر.وهذا نموذج لترجمته إحدى الرباعيّات.

يتظنَّى الشانئُ الواهمُ أنّي فيلسوفٌ
عَلِمَ اللَّهُ بأنِّي لا كما قالَ السخيفُ
بيدَ أني وأنا في وكرِ أتراحٍ وبؤسٍ
لا أقلّ الآنَ أنْ أعرفَ فيهِ كُنْهَ نَفْسي!

وظلت المقارنات تدور بين الترجمات التي اعتمدت النظم الموزون المقفى، إذ أصدر الشاعر البحريني إبراهيم العريض كتاباً بهذا الصدد بعنوان «اللمسات الفنية عند مترجمي الخيَّام ـ دراسة في سبع ترجمات».

من هنا نجد أن جميع البحور الشعرية العربية، استخدمت لنقل الرباعيّات المكتوبة على بحر فارسي واحد، فإلى أي مدى التزمت هذه الترجمات «الشعرية» بالأصل الفارسي لناحية الموسيقا؟

تعدُّ ترجمة وديع البستاني عند صدورها في العام ١٩١٢، أول ترجمة للرباعيات، من حيث المعيار الفني والكمي «بلغ عدد الرباعيّات التي ترجمها ثمانين رباعيَّة» رغم أن عيسى اسكندر المعلوف، سبقه إلى ترجمة ست منها، كما أشرنا،كما استشهد البستاني نفسه بمقاطع من أشعار الخيَّام العربية، أوردها المعلوف نفسه.

ومن الواضح أن البستاني قد ترجمها قبل ذلك التاريخ، حيث يؤرخ «مصطفى لطفي المنفلوطي» في تقديمه لتلك الترجمة، تاريخ ٣٠ كانون الأول/ ١٩١١، وعلى الرغم من الجمالية الفنية النسبية التي تتمتَّع بها

ترجمة البستاني، إضافة إلى مكانتها الريادية، لكنها تبقى مفتقرة إلى الدِّقة والأصالة، ذلك أنها اعتمدت ترجمة «فيتزجيرالد» أصلًا لها والتي يؤكد الكثير من دارسي الرباعيَّات أنَّه تصرَّف بها، إلى حدٍّ ما، حتى أن أحمد زكي أبو شادي الذي سبق له صياغتها عن ترجمة الزَّهاوي الحرة عام ١٩٣١، عاد في العام التالي ونشر في العدد الثالث من «مجلة أبولو» صياغة شعرية أخرى لعشر رباعيَّات سماها «عُمريَّات فيتزجيرالد» لأنه رأى أن فيتزجيرالد تصرَّفَ بترجمتها على نحو يجعل منه شريكاً في صياغة أخرى لتلك الرباعيَّات لذلك تحاشاها إلى تسمية «عمريات»لا «رباعيَّات».

أما ترجمة أحمد رامي الصادرة في طبعتها الأولى في القاهرة عام ١٩٢٤، فقد شاع أنها أول ترجمة عن الأصل الفارسي، إلا أنها ليس كذلك كما سنوضح، كما أنها بفعل قوة ترجمة «فيتزجيرالد» لم تنجُ من تلك الظلال الكثيفة لتصرفات الشاعر الإنكليزي وتدخُّله في توجيه النص، ومنذ قراءة الرباعيَّة الأولى تلمس تلك الظلال القوية، كما أنه التفَتَ «بنظرة ما» إلى الترجمة الفرنسية على ما يبدو، وتحديداً إلى مقدمة مترجمها المستشرق المسيو نيكولاس،الذي كان يرى في الخيام: شاعراً صوفيّاً مشغولاً بالعشق الإلهي، وسكران بالخمرة المقدَّسة.

إنَّ أوَّل ترجمة لرباعيَّات الخيَّام عن الأصل الفارسي، ترجمها الأديب العراقي أحمد الصراف، ترجمة حرة غير موزونة عام ١٩٢١، وقام بصياغتها العروضية ونظمها الشاعر محمد الهاشمي في العام ١٩٢٣

وستكون لهذه الترجمة حكاية ذات فصول عديدة، وظلالًا طويلة في الترجمات العراقية اللاحقة للخيَّام، تضاهي ترجمة «فيتزجيرالد» التي ألقت بظلالها على كثير من ترجمات الخيَّام العربية.

فهناك أكثر من عشرين صياغة «موزونة» اتكأت على الترجمة الحرة، أغلبها على ترجمة «الصرّاف» لكنها برأيي لم تضاهِ الترجمة الأصلية

للصراف، التي ينبغي الآن إعادة الاعتبار لها، بعيداً عن التعصُّب للوزن والقافية في النظر إلى جمالية الترجمة وأصالتها.

وهناك ترجمات موزونة أو حرة أخرى أقلُّ رصانة، كترجمة محمد السباعي ١٨٨١ ـ ١٩٣١م، وهو والد الروائي المصري يوسف السباعي، وقد جاءت على «بحر الرمل» لكنها حملت مفارقة غريبة، صارت مصدر تشنيع متواتر ضد ترجمته، حين أورد أربعة أبيات لشاعر عربي عباسي هو «ابن وكيع» على أنها ترجمة لإحدى رباعيَّات الخيَّام. وكذلك الترجمة الحرة للشاعر الأردني مصطفى وهبي التل «عرار» وهي ترجمة تعاني كثيراً من المشكلات، ولا أهمِّية فنية لها، إلا بمكانتها التاريخية بين الترجمات.مع أن يوسف بكار بالغ في الثناء على ما تحوزه من أثرٍ فني[١]

المعرفة «العراقية» بالرباعيَّات!

وإذا كان اكتشاف الخيَّام عربياً قد جاء عن طريق شاعر إنكليزي، فمن أين جاءت معرفة العراقيين بجارهم الفيلسوف الشاعر؟

البداية يرويها أحمد الصراف، في كتابه عن عمر الخيَّام، الصادر عن المكتبة العربية ببغداد عام ١٩٣١ والبداية، من عجوز فارسية هي «بي بي جان»[٢] كانت أميرة فارسية، وقد سكنت مدينة كربلاء بعدما أزرى بها الدهر، أنشدته في العام ١٩١٧، قصة عن شاعر قلندري «صوفي» اسمه: عمر الخيَّام.

ولأن حكاية الخيَّام برواية العجوز الفارسية تستحقُّ أن تُروى، مع الرباعيَّتين، لما تنطوي عليه من تلخيص بليغ للصورة الشعبية لشخصية الخيَّام الملتبسة وإشكالية الرباعيَّات نفسها، نعود إلى قرن من الزمان لتلك

(١) في مقدمة تحقيقه لرباعيَّات الخيَّام بترجمة مصطفى وهبي التل دار الجيل بيروت ١٩٩٠م.

(٢) اسمها: «زن آغا» كما جاء في الطبعة الثانية، وكلمة «بي بي» تعني الجدَّة.

الحكاية: «صعد الخيَّام ذات يوماً إلى قمَّة جبل، وأخذ معه أبريقاً مترعاً بالمشعشعة، وبينما كان يشرب الكؤوس هبت ريحٌ شديدة فحطَّمتْ إبريقه، فانسكبت الخمرة، فثارَ وغضبَ، وخرجت منه هذه الرباعيَّة:

حَطَّمْتَ يا إلهي إبْريقَ خَمْري
وَأوصدْتَ بابَ الأنْسِ بوجهي
وسكبتَ على الأرضِ خَمرتي الورديَّة
ترابٌ في فَمي.. فهلْ أنْتَ سَكْرانٌ مثلي؟

وما أن أتمَّ إنشاد هذه الرباعيَّة حتى اسودَّ وجهُهُ وصار كأنَّهُ فحمةٌ، فندمَ وشعر بأنَّ الله غضب عليه، فأنشد رباعيَّة جديدة:

يا إلهي، قُلْ: من الذي لَمْ يأثَمْ في الدنيا
وكيفَ يلبثُ فيها مَنْ لَمْ يأثَمْ؟
فإذا كنتَ تقابلنِي على سيِّئتي بِمثلها.
إذاً فما الفرقُ بيني وبينك؟

وما أن انتهى من إنشاد هذه الرباعيَّة حتى عاد وجهه كما كان!»

هذه الميثيا الشعبية، ذات المرجعية الشفوية التي تعيد تنقيح الأساطير باستمرار، تنعكس في مرايا الزمن ظلالًا محتشدة، لتروي سيرة ملتبسة لشاعر، ينوس بين التهتُّك والتوبة، بين الجنون والحكمة، بين الإيمان والتجديف، وبين العرفان والتخليط.

وإذا كان لكلٍّ حصَّته وفضله في حكاية الرباعيَّات: فضل اللغة الفارسية في إنجاب شاعرها أولًا، وفضل الخيَّام بتعريفنا بشاعر انجليزي اسمه «فيتزجيرالد» الذي لم تصلنا أشعاره كما وصلتنا ترجمته للرباعيَّات.. وفضل «فيتزجيرالد» بتعريف العرب بجارهم الشاعر، فما هو فضل العرب في هذه الحكاية؟

قد نجد الجواب في سؤال آخر: هل تنتمي روح الرباعيَّات إلى ثقافة «عصر الخيَّام» أم لعصر عربي هو «عصر المعري؟» فما بين وفاة المعري ووفاة الخيَّام أكثر من نصف قرن، لكنهما ينتسبان إلى ثقافة عصر واحد على ضفتين. فقد توفي المعري وكان الخيَّام في العاشرة من عمره، أم تنتمي للعصرين معاً؟ وتعبر بهما نحو عصر آخر، ثالث، متأخِّر بقرون عنهما معاً؟

وفكرة المقارنة بين الشاعرين، قديمة قدم ترجمة الرباعيَّات فقد أشار لها البستاني في مقدمته، كما أشار «أديب التقي» في تقديمه لترجمة الصافي النجفي إلى ما اسماه الفلسفة الانقلابية التي تجمعهما، مشيراً كذلك إلى مقارنات مع تشاؤمية شوبنهاور وتهكمات فولتير الدينية، ونظرة جوته الفلسفية للكائنات.

غير أن كلَّ هذه الإشارات لا ترقى إلى المقارنة الرصينة، والدراسة الجادة التي قدمها الصرَّاف في كتابه عن الخيَّام. ليس لناحية مقارنة الخيَّام بالمعرِّي وحده، وإنَّما بابن الشبل البغدادي، وعدد آخر من معاصريه العرب.

ويؤكِّدُ أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» إنه وجد عند زيارته للعراق عام ١٩٢٢، أن عمر الخيَّام كان موضوعاً أثيراً لدى المثقفين العراقيين خلال تلك الفترة، ويشير إلى أنَّ نقاشاً واسعاً ومهماً كان يدور بين هؤلاء المثقفين، ويتركَّزُ على مقاربة شعر الخيَّام وشخصيته من شعر المعري وفلسفته[١]

---

(١) خاصة في حواراته مع الأديب والشاعر المغمور عبد المجيد الشاوي. أمين الريحاني «ملوك العرب» الجزء الثاني: الملك فيصل والعراق، دار الجيل بيروت الطبعة الثامنة ١٩٨٧، ص ٨٩٥ وكان الشاوي وزيراً في الوزارة النقيبية ١٩٢٢، ومحافظاً لبغداد ١٩٢٤، وتوفي في بيروت خلال رحلة العلاج عام ١٩٢٧ راجع: مير بصري «أعلام الأدب في العراق الحديث» دار الحكمة لندن ١٩٩٤م ص ٢٦٣.

وللمعري، كما هو معروف، عشرات الأبيات في الموت والوجود وفلسفة الحيرة والتيه، نكتفي بأشهرها مقارنة بإحدى رباعيّات للخيّام:

يقول المعري:

خفِّف الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الأرضِ إلا مِنْ هَذِهِ الأجسادِ

ويقول الخيّام في إحدى رباعيّاته عن ترجمة الصراف:

كانَ قبلي وقبلكَ ليلٌ ونهارٌ
وكانَ الفلكُ يدورُ لأجلِ غايةٍ
إحذرْ وخفِّفِ الوطءَ عَن التُّرابِ
فإنَّهُ كانَ حَدقةً لعينِ حَبيْب.

وهنا ترجمة الزَّهاوي للرباعيّة نفسها:

كانَ ليلٌ مِنْ قبلنا ونهارٌ
ونجومٌ تلجُّ بالدورانِ
رُبَّ أرضٍ وَطأتَها هِيَ كانتْ
عَيْنَ حَسْناءَ فِي قدِيمِ الزَّمانِ

وهذه ترجمة رامي:

وَكمْ توالَى الليلُ بَعدَ النَّهارْ
وَطالَ بالأنْجم هذا المدارْ
فامشِ الْهوينا إنَّ هَذا الثَّرى
مِنْ أَعَيْنٍ سَاحِرَةِ الاحورارْ

وهنا ترجمة النجفي:

كــانَ يــبــدو قــبــلي وقــبــلَكَ صــبــحٌ
ودجـــى والــسَّـــمـــا تـــدورُ لأمــــرِ
طــأْ بــرفــقٍ هــذا الــتــرابَ فَــقِــدْمــاً
كــانَ إنــســـانَ عــيـــنِ ضــبــيٍ أغــرٍّ.

ويتكرَّرُ هذا المعنى في رباعيَّة أخرى مما يدلُّ على قدرة الرباعيَّات على الاستضافة والترحيب بالإدخالات الجديدة جاء في ترجمة الصافي:

كُـــلُّ ذراتِ هـــذهِ الأرضِ كـــانـــتْ
أوجـــهـــاً كـــالـــشُّــمــوسِ ذاتِ بَــهَـــاءْ
أجْـــلُ عَـــنْ وَجْـــهِـــكَ الْغُــبــارَ بــرفْــقٍ
فــهْــوَ خَـــدٌّ لــكـــاعـــبٍ حـــســنـــاءْ.

وقد لاحظتُ إنَّ الإشارات لترجمة الصرَّاف قليلة في الدراسات الخاصة بترجمة الرباعيَّات للعربية وأغلب الظنِّ أن هؤلاء الدارسين لم يطلعوا عليها مباشرة، فاكتفوا بتلك الإشارات العابرة، رغم أنَّها تعدُّ الترجمة العربية الأولى عن الأصل الفارسي، عدا عن كونها الترجمة الأمَّ لعددٍ لا يُستهانُ به من الصياغات الشعرية اللاحقة للرباعيَّات. كما أنها أوَّلُ دراسة عربية جدية لشخصيَّة الخيَّام، وفلسفته، وسيرته الملتبسة.

مائة عام على ظهور الرباعيَّات بالعربية، وربما مائة ترجمة ودراسة عنها، لم تكن كافية لاكتشاف الخيَّام الحقيقيّ، وسط هذا الحشد من التناقضات، بل ربَّما زادت هذه التناقضات حدَّة. لكن أسوأ ما في الرحلة كلِّها، هو أن نعود إلى التوصيف القديم للخيَّام في كتب التراث العربي، فيلسوفاً مثالياً وعالِمَ رياضيات، وإمامَ حكمةٍ، وليس شاعراً ماجناً مشرَّداً في الحانات، ونادماً تائباً على ذنوب لم يثبت تماماً أنه اقترفها.

وإذا كانت الرباعيَّات كلها للخيَّام فعلًا، فكم حياة متخيلة له في رباعيَّاته المشرَّدة؟ هل كان الخيَّام يسكنُ صومعة؟ أم يُنفق وقته في الحانات؟ أم يأوي إلى عزلةٍ في مرصده الفلكي بأصفهان؟

إنَّ تقديم الرباعيَّات لخلائط متعدَّدة من النزعات الذهنية والروحية: إنكار البعث، الصوفية، التفاؤل، التشاؤم، الشهوانية الأبيقورية، التناسخ، الماديَّة، الزهد، التدين، ومحاكمة الآلهة. تريد أن تقول لنا: هذا هو الخيَّام: خليطٌ لكيان بشري غير متجانس بل متناقض.

الترجمات الثلاث هنا، تعزِّز هذا الأسئلة حول من هو الخيَّام، فلكلٌ من المترجمين الثلاثة خيَّامه.. وللقارئ كذلك، أن يعيدَ صياغة خيَّامه من بين هذه الرباعيَّات المتنوِّعة حدَّ التناقض الداخلي أحياناً، والتي تمثِّلُ تاريخاً من الأخطاء الإنسانية الطبيعية في تجربة حياة، وتجربة وجود قلقة حقاً.

كما أنَّ هناك خصوصية في الترجمات العراقية الثلاث للرباعيَّات هنا، في كونها تخلَّصت وبشكلٍ كامل من عبء ترجمة «فيتزيجيرالد» وهو الأمرُ الذي حدث في ترجمات عراقية أخرى لاحقة كترجمة طالب الحيدري ١٩٥٠ ومهدي جاسم الشماسي ١٩٦٨ وعبد الحق فاضل ١٩٥١.

وقد ذكر لي المرحوم «محمود العبطة» في أوائل الثمانينيات أنَّ هناك ترجمة لم تنشر لرباعيَّات الخيَّام للجواهري، كان قد ترجمها عن الفارسية في الثلاثينيات[١]، لكنني لم أتوصل إلى تلك الترجمة أو أية معلومة أخرى حول ترجمته للرباعيَّات أو لعدد منها.

الترجمات الثلاث هنا أنجزت جميعها في العشرينيات: الصرَّاف

(١) وكان العبطة نفسه قد نشر هذه المعلومة في مجلة «الرسالة» المصرية لأحمد حسن الزيات «العدد ٥٣٧ ـ بتاريخ: ١٨/ ١٠/ ١٩٤٣» مشيراً إلى أنها ترجمة لم تطبع في كتاب.

١٩٢١ ، وربما قبل ذلك حيث يقول إنها بدأها بعد شتاء ١٩١٨ ، والصافي النجفي كان قد أرسل ٨٦ رباعيَّة منها إلى «محمد القزويني» في باريس ليطلِّعَ عليها عام ١٩٢٦. ونشر قبل ذلك عدداً من تلك الرباعيَّات في مجلة «أرمغان» الإيرانية.

أمَّا الزَّهاوي فقد نشر ترجمتهُ للرباعيَّات في كتاب عام ١٩٢٨ في بغداد وانتهى من ترجمتها في بغداد في ٨ كانون الثاني ١٩٢٥م.

تصلح هذه الترجمات الثلاث لعقد مقارنة، ليست فنيَّة فحسب، وإنَّما لمستوى تلك «الخيانات» المقصودة التي تحدَّثنا عنها، وهي تحاكي نوعاً من الرقابة الأخلاقية الداخلية أحياناً، أو خضوعاً لرقابة الخارج، ومحاولة تحاشي الاصطدام بالموروث الأخلاقي الديني أو القومي في انتقاء المفردات. يقول الزَّهاوي في ترجمة إحدى الرباعيَّات:

إلى مَتَى أعرضُ جَهَالةَ نَفْسي
ضاقَ قلبي من هذا الشَّتاتِ
أريدُ أنْ أشدَّ بوسْطي زنَّاراً مجوسيَّةً
أتدري لماذا؟ للحياءِ من إسلامي!

أما ترجمة الصرَّاف للبيت الثاني من الرباعيَّة نفسها فجاءت كالتالي:

«أُرِيدُ أنْ أشدَّ في وسَطي زنَّارَ المجوسِ!
أتدري لماذا؟ مِنْ خِزْيِ إسلامي!!»

وواضح تماماً الفرق الأخلاقي بين مفردتي «الخزي» في ترجمة الصرَّاف و«الحياء» في ترجمة الزهاوي، ويلاحظ كذلك أن الزَّهاوي قد حذف في صياغته الموزونة للرباعيَّة ذاتها كلمة «مجوسية» ولولا أنَّ الصياغة الموزونة مسبوقة بصياغة حرَّة تردُ فيها كلمة: مجوسية، لما

كان يمكن أن يدلَّ المعنى على ما قصده الخيَّام أو من «وضَعَ» تلك الرباعيَّة عليه.

وفي ترجمة الصافي النجفي نقرأ هذه الرباعيَّة المرقمة بـ ٧٤:

لِلصَّــومِ والــصَّــلَواتِ مِــلْتُ تَــنَــسُّــكــاً
فــتــيــقَّــنــتْ نَــفْــسِــي غــداً بِــنــجــاحِــي
أَسَــفــاً فــقــدْ نُــقِــضَ الــوضــوءُ بِــنــسْــمــةٍ
والــصَّــــومُ زالَ بِــنِــصْــفِ جُــرْعــةِ رَاحِ

أما الصرَّاف فيترجم الرباعيَّة على هذا النحو:

«عِندما مالَ طَبْعي إلى الصَّلاةِ والصَّوْمِ
قلتُ لنفسي: لقدْ حصلَ مُرادي
لكنْ أسفاً لقدْ بَطَلَ ذلكَ الوضوءُ «بضرطة»
وَبَطَلَ الصومُ بنصفِ جُرعةٍ من الخمر!»

وقد عمد الصرَّاف نفسهُ إلى حذف هذه الرباعيَّة ورباعيَّات أخرى تتسم بالتجديف من الطبعات اللاحقة لكتابه عن الخيَّام. بل إنه اضطرَّ أحياناً إلى تكييف المفردات لحال مستجدٍّ على ما يبدو بعد نشر طبعته الأولى: فيعدل عن «الوضوء بالخمر في الحانة» إلى «التطهر» ويغيِّر «مؤذِّن الفجر الذي ينادي بالشرب» إلى «المنادي»

وبشكل عام فإنَّ كلًا من الزَّهاوي والصرَّاف أظهرا روحاً متهتكةً للرباعيَّات، وإن ظهرت تلك الروح، بوضوح أكثر، في ترجمة الصرَّاف، على الرَّغم أنَّ الزَّهاوي أهدى ترجمته: «إلى فرع الشجرة الهاشميَّة الأعلى والحامي الأكبر للنهضة المباركة الملك فيصل الأول» ومع هذا ثمة تقاربٌ ملحوظٌ بين ترجمة الصرَّاف والترجمة الحرَّة للزهاوي تحديداً، بل إن هذا التقارب يبدو في كثير من المواضِع أقربَ حتى من صياغة المقطع ذاته، حين يعيد الزَّهاوي صياغته موزوناً:

كَـثـرَتْ فـي صـحـوي وسُـكـري الـظَّـنـونُ
ورمــونــي بــالــكُــفْــرِ والــكُــفْــرُ دِيــنُ
لا أبَــالــي بــظــنِّــهــم بــي فــإنِّــي
مِــلْكُ نــفــســي كــمــا أشَــاء أكــونُ

بينما ترجمته الحرة:

«إنْ كنتُ سكرانَ من خمرةِ المجوسِ فَأَنا ذاكَ
أو كافراً أو مُلحِداً أو وثنيّاً فَأنا ذاكَ
لِكُلٍّ طائفةٍ ظنٌّ فيَّ.. أمَّا أنا
فَمِلْكُ نفسي أكونُ كما أشاء»

إذن سنجده عَمدَ، مرةً أخرى، إلى حذف كلماتٍ معينة من الصياغة الموزونة: مجوسي، كافر، ملحد، وثني، واختزلها بمفردة واحدة: الكفر.

ولعلَّ وجود الصياغتين للنصِّ ذاته الحرَّة والموزونة، يكتسب أهميته حين يبيِّن إلى أيِّ حدٍّ تنالُ الترجمة الموزونة المكيَّفة لموسيقى الشعر، من أصالة النص الأصلي وروحه، وتبتعد بمسافات إضافية عنه، رغم أن المترجمَ واحدٌ في كلتا الصياغتين.

لكنَّ هذا التهتُّكَ المتفاوت، بين ترجمتي الصرَّاف والزهاوي، سنجده لدى الصافي يصاغ بنوع من التمرُّد الرصين، يتناسب مع رصانة الصياغات «الشعرية» أنه بمعنى ما تهتُّكٌ مُلغَّز، ومحجَّب ببلاغة خاصة، وليس مكشوفاً تماماً كما لدى الصراف مثلًا.

كما أنَّ ترجمته هي الأكبر من حيث عدد الرباعيَّات «٣٥٢ رباعيَّة» ولم يسبقه أحدٌ إلى هذا العدد، فترجمة أحمد رامي بلغت «١٦٨ رباعيَّة» ووديع البستاني «٨٠ رباعيَّة» وتعدُّ ترجمة الصافي النجفي ثاني أكبر ترجمة من حيث عدد الرباعيَّات المترجمة بشكل عام، بعد ترجمة

عبد الحق فاضل ذات الـ «٣٨١ رباعيَّة» والتي نشرها في العام ١٩٥١ ضمن كتابه «ثورة الخيَّام» وتمتاز ترجمة الصافي كذلك بالرصانة والجمالية، ولا غرابة في ذلك فهو أغنى المترجمين شاعريَّة، على الأقلّ مِنْ بين مَنْ ترجموا رباعيَّات الخيام شعراً موزوناً. إضافة إلى أنه الوحيد، ممَّن ترجموا «رباعيَّات الخيام»، أنجزها في الموطن الأصلي لشاعر الرباعيَّات، في ذات البيئة التي نتجت عنها: إيران. وأمضى ثماني سنوات في الإطلاع العميق على روافد الشعر الفارسي، وأصوله الفنية. بينها ثلاث سنوات في تفرُّغ تام لترجمة الرباعيَّات، حيث كان «يفرغ الرباعيَّة الواحدة في أكثر من عشرين سبكاً قبل أن يختار واحداً منها هو الأكثر تمثيلًا للنص الأصلي كما يقول» لكنه يقرُّ، بالمقابل، إنَّ هناك رباعيَّات جميلة، استعصت على الترجمة، فآثرَ أن يتركَها بجمالها الأصلي كي لا تفقدَ بهاءها في الترجمة.

وقد نالت ترجمة الصافي ثناء الأدباء الفرس العارفين باللغتين العربية والفارسية، حتى أن أحدهم وصف جمالية ترجمة الصافي للرباعيَّات وقُربها حدَّ التطابق من الأصل الفارسي بالقول مخاطباً الصافي: «أكادُ أعتقد أنَّ الخيَّام نَظَمَ رباعيَّاته بالعربية والفارسية معاً وقد فُقِدَ العربيُّ منها فتعثَّرتَ عليه وانتحلتَهُ لنفسك» كما أنَّهُ رتَّبها على القوافي وحسب الحروف الهجائية العربية من الألف إلى الياء.

أما الزهاوي الشيخ الضليع بالفارسية، فقد رتَّبَ ترجمته للرباعيَّات حسب الموضوع فقسَّمها إلى ثمانية أقسام الأول: «في الخمرة» والثاني: «في الكوز» والثالث: «في التذمُّر» والرابع: «في العظة والأخلاق» والخامس: «في الحكمة والشكّ» والسادس: «في العشق» والسابع «في ما خاطب به الله» والثامن: «في مطالب شتى»

من جانبي، قمت بترتيب الترجمات الثلاث بادئاً بترجمة الصرَّاف، لأنَّها أول ترجمةً حرَّة للرباعيَّات عن الفارسية، ولعلَّها الأولى عن الفارسية بالمطلق، واختتمتها بترجمة الصافي النجفي لأنَّها أوسع الترجمات الثلاث، وهي مصاغةٌ بالوزن الشعري الذي على ما هو

واضح لم يفقدها الكثير من تماثلها مع النصّ الأصلي، سوى ما أشرنا إليه من تقصّد الصافي تحاشي بعض الكلمات في الترجمة للأسباب التي ذكرناها في هذه المقدمة، فيما جعلتُ ترجمة الزهاوي بين الترجمتين، لأنَّ مكانها هكذا حيث جاءت ترجمة مزدوجة: حرَّة وموزونة، وبهذا يمكن للقارئ والمهتمّ على حدٍّ سواء الانتقال بسلاسة في أجواء الرباعيّات بين الترجمات الثلاث.

أما الخيّام المتشرّد كرباعيته بعد أن غادر مرصده الفلكيَّ في أصفهان، فربما سيظهر متشظيّاً في مشهد متسع، وهو يسكنُ رباعيته كما تسكن الأبدية في خيمة، في العراء، لتروي حكاية ستبقى ملتبسة كتلك الروح غير القابلة للتقويض تماماً:

«أيْ خيّامُ إنَّ جَسدَكَ يُماثلُ الخيمةَ حقّاً
والرُّوحُ التي منزلُها دارُ البقاءِ
تُشبهُ السلطانَ
أفلا يقوِّضُ الخيمةَ فراشُ الأَزَل»

رباعيَّات الخيَّام[1]

ترجمة أحمد الصرَّاف

الطبعة الأولى مطبعة دار السلام بغداد ١٩٣١
الطبعة الثانية مطبعة الشعب دار الأخبار بغداد ١٩٤٩
كما صدرت طبعة ثالثة من الكتاب عن مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦١

يختلف ترتيب الرباعيات بين الطبعتين الأولى والثانية، وهنا اعتمدنا ترتيبها كما ورد في الطبعة الثانية، مع إضافة الرباعيات التي عمدَ الصرَّاف إلى حذفها من الطبعة الثانية، وأشرنا في هوامشها إلى ترتيبها في الطبعة الأولى ولمواضع التنقيح في الترجمة بين الطبعتين.

---

(١) ترجم أحمد الصراف رباعيات الخيام أساساً في عام ١٩٢١، بطلب من الشاعر محمد الهاشمي الذي صاغها موزونة، وبهذا تكون أوَّل ترجمة عربية لرباعيات الخيام عن الفارسية، ثم نشرها الصرَّاف لاحقاً في كتابه «عمر الخيام الطبعة الأولى ١٩٣١» و«عمر الخيام الحكيم الفلكي النيسابوري ـ الطبعة الثانية ١٩٤٩» و«عمر الخيام الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري الطبعة الثالثة ١٩٦١».

- ١ -

يَا «إلهي»[١] ليسَ لعقلي من قُدرةٍ لإثباتِكَ
وما تفكيري إلا مُناجاتُكَ،
كيفَ أعرفُ ذاتَكَ كما ينبغي
فلا يَعْرِفُ ذاتَكَ إلا ذاتُك[٢]

- ٢ -

نحنُ ألاعيبُ أطفالٍ، واللاعبُ بِنا هُو الفَلَك
«وذلكَ في الحقيقةِ لا في المجاز»[٣]
لَقَدْ لعِبْنا مدَّةً في «رُقعةِ»[٤] الوجود
ثمَّ ذَهَبنا إلى صندوقِ العَدَمِ واحِداً بَعْدَ واحِدٍ.

---

(١) في الطبعة ١ ربي.
(٢) كانت هذه الرباعية آخر ما قاله الخيام حين حضرته الوفاة.
(٣) في ط ١ ذلك أمر حقيقي غير مجازي.
(٤) في ط ١ ساحة.

- ٣ -

لوْ كانَ المجيءُ إليَّ، ما جِئتُ،
ولوْ كانَ إليَّ إنشائي ما أرَدْتُه،
يا لَيتَني لمْ أكُنْ في هذا الدّيرِ الخَرِبِ ولمْ آتِ إليه،
ولمْ أُخلَقْ فيهِ، ولمْ أبْقَ فِيه[١]

- ٤ -

إني عبدُكَ العاصي فأينَ رِضَاك؟
و«إنَّ قلبي مُظلمٌ»[٢] فأينَ نورُك وصفاؤكَ؟
إنْ كنتَ تُعطينا الجنَّةَ بالطَّاعةِ لكَ
كانَ ذلكَ بيْعاً، فأينَ لُطْفُكَ وعَطَاؤك؟

- ٥ -

صَاحِ قبلَ أنْ تهجُمَ عليكَ الهمومُ بيَاتَاً[٣]
مُرْهُمْ يأتوكَ بخمرةٍ ورديةٍ
أيُّها الجاهلُ الغرُّ لستَ ذَهَباً
فإذا واروكَ في الترابِ أخرجوكَ مرَّةً أخرى[٤]

---

(١) في ط ١ لو كان مجيئي باختياري. ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت أن أخلق.

(٢) في ط ١ أنا المظلم قلبه.

(٣) أتاهم بياتاً: أتاهم في جوف الليل وجاء في القرآن سورة الأعراف الآية ٩٧: «أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ»

(٤) جاءت ترجمة هذه الرباعية في الطبعة الأولى كالآتي: =

ـ ٦ ـ

تسيرُ قافلةُ العُمرِ سيراً عَجيباً
فاغتنمْ وقتاً تَطْرَبُ فيهِ
ما لكَ مهموماً من يومِ القيامةِ في الغد؟
هاتِ الزجاجةَ فإنَّ الليلَ سينقَضِي(١)

ـ ٧ ـ

أنا إنْ كنتُ سكرانَ بخمرةِ المجوس فأنا ذاكَ
وإنْ كنتُ كافراً أو مجوسياً أو وثنياً فأنا ذاك
لِكُلِّ طائفةٍ ظنٌّ فيَّ، أمَّا أنا
فملكُ نفسي أكونُ كما أريد.

ـ ٨ ـ

تضع الإشراكَ، يا إلهي، في ألفِ مكانٍ من سبيلي
وتقولُ لي: إذا وقَعْتَ فيها فإنِّي مُرديك
لا تخلو ذرَّةٌ في العالمِ من حُكْمِكَ
أنتَ تحكمُ عليَّ، وأنتَ تسمِّيني بالعاصي

= «قبلَ أنْ تُهلككَ همومُك
مُزهمْ أنْ يأتوكَ بِمُدامةٍ وردية
أيُّها الجاهلُ الغِرُّ
أنتَ لستَ ذَهباً ليدفنوكَ في التراب ثُمَّ يُخرِجوك!»

(١) في ط ١ «فإنَّ الليلَ على وشك الفناء»

- ٩ -

لَمَّا كوَّنَ اللّهُ وجودَنا من الطِّينِ
كانَ يعلمُ بالأفعالِ التي ستصدرُ منَّا
ليسَ خارجَاً من حُكمهِ كُلُّ ذنبٍ نَقْترفُهُ
فلماذا يُصْلِيْنا في السَّعيرِ يومَ القيامة؟

- ١٠ -

لو كنتُ مُهَيمناً على الفَلَكِ هَيْمنةَ خالقٍ لَنَقضْتُه.
ولخلقتُ فَلَكاً غيرَهُ
يبلغُ به الأحرارُ أمانيهم
من دونِ عَناءٍ

- ١١ -

ليتَ للرَّاحةِ محلًا.
وليتنا بَلَغْنا آخرَ هذا الطَّريق الطويل.
ويا ليتَ لنا أملًا في العودةِ للحياةِ بعدَ مئاتِ ألوفِ السِّنين
كما يعودُ العُشْبُ من قلبِ التُّرَاب.

- ١٢ -

أولئكَ الذينَ يُجاهدونَ بطريقِ العَقْلِ
هيهاتَ فإنَّهم يَحْلِبونَ ثَوراً
هم أجدرُ بأنْ يتقمَّصوا البلاهةَ

إذ لا يُشترى، اليومَ، بِالْعَقلِ باقةٌ من «كرّاث»[1]!

- ١٣ -

قومٌ يتفكَّرُونَ في الْمذهبِ والدِّينِ
وآخرونَ حَيارى بين الشكِّ واليقينِ
وإذا هُمْ بهاتفٍ يهتفُ بهمْ:
أيُّها الغافلونَ.. الطَّريقُ لا هذا ولا ذاك.

- ١٤ -

نحنُ يا مُفتي المدينةِ أصلحُ منكَ عَمَلًا
ومعَ كُلِّ هذا السُّكْرِ أصحى مِنْكَ
إنَّا نشربُ دمَ العنبِ، وأنتَ تشربُ دمَ الناسِ
فانْصِفْ وتأمَّلْ.. أيُّنا السافكُ للدِّمَاء؟[2]

- ١٥ -

قالَ شيخٌ لمومسٍ: أنتِ سَكْرى
وفي كُلِّ يومٍ تتعلَّقين بأذيالِ آخر
فقالتْ: أيُّها الشيخُ إنَّ الذي قلتَهُ صحيحٌ.
لكنَّكَ، أأنتَ أنتَ كما تظهرُ للنَّاس؟[3]

---

(١) في ط ١: حشيش.
(٢) في ط ١ أيناً أشد سفكاً للدماء.
(٣) في ط ١ قال شيخ لفاحشة أنت سكرى.
وفي كل لحظة متعلقة بشخص

- ١٦ -

لو عرفَ القلبُ سرَّ الحياةِ كما هِي
لعرفَ أيضاً في الموتِ الأسرارَ الإلهيَّة
أنتَ لا تعلمُ شيئاً اليومَ وأنتَ مع نَفْسِك
فماذا تعلمُ غداً إذا تجرَّدْتَ منها؟

- ١٧ -

حيثُ أنَّكَ تموتُ مرَّةً واحدةً.. متْ
ما هذا الذلُّ؟ دمٌ ونجاسةٌ وصمٌّ من عظمٍ وجلدٍ
لَيتَها لمْ تكنْ
فمَا هذهِ الْمِحْنة(١)

- ١٨ -

جاءَ بي إلى الوجودِ بالرَّغمِ منِّي
ولمْ أزْدَدْ غيرَ الحيرةِ في هذهِ الحياةِ
ذَهَبنا مُكرهينَ ولمْ نعرفِ الغرضَ مِنْ مَجيئِنَا
وبقائنا وذَهَابِنا...؟

---

(١) في ط ١ «لما كان موتك مرة واحدة،
مت مرة واحدة.
ما هذه المسكنة؟ دمٌ ونجاسة وحفنةٌ من عظمٍ وجلد،
فما هذه المحنة من أجل شي تافه حقير».

- ١٩ -

ما أصنعُ يا إلهي وقدْ جَبَلْتَنِي من ماءٍ وطِيْن
وغَزَلْتَ صُوفتي
أنتَ كتبتَ عليَّ كُلَّ ما يصدرُ منِّي من خيرٍ وشرٍّ في هذا الوجودِ
فما حِيْلتي؟[١]

- ٢٠ -

حتَّى مَ يمرُّ عُمرُكَ في عِبَادةِ نَفْسِكَ؟ أو التفكيرِ في الوجودِ والْعَدَم؟
أشربِ الخمْرَ
فإنَّ العُمْرَ الذي يعقبُهُ الموتُ
يَحْسنُ أنْ ينقضي في النَّومِ أو السُّكْر...

- ٢١ -

منذُ ظهرتِ الزَّهرةُ والقمرُ في السَّماءِ
ما رَأى أحدٌ أحسنَ من الخمرةِ الصَّافيةِ
يا عَجَبي من باعَةِ الخَمْرِ
أيَّ شيءٍ سَيَشْترونَ أحسنَ مِمَّا يَبِيْعُون؟

(١) في ط ١ فما أصنع بدل ما حيلتي. والفخ بدل الشرك.

\- ٢٢ -

لا تذكرِ اليومَ الذي مَضَى
ولا تجزعْ مِن غدٍ لمْ يأت بعدُ
ولا تفزعْ مِمَّا يأتي، ولا تأسفْ عمَّا مَضَى
طِبْ نَفْساً ولا تدعْ عُمرَكَ يمضي سُدى.

\- ٢٣ -

وقعنا في هذهِ الحياةِ وقوعَ الطَّيرِ في الشَّركِ
مَفقودين مِن الدَّهر
تَائهينَ في هذهِ الدَّائرةِ التي لا سطحَ لها ولا بَاب
لا جِئْنا مُختارين، ولا ذَهَبنا مُريدين[1]

\- ٢٤ -

لا سبيلَ لي إلى الطَرَبِ ما دمتُ صَاحياً
وإذا ما ثملتُ نَقصَ عقلي
إنَّ حالةً بين الصَّحْوِ والسُّكْرِ حالةٌ
هي عندي وحدها صفوُ الحياة[2]

\- ٢٥ -

يقولونَ لي: إنَّ الجنَّةَ طيِّبةٌ بِحُورِها
وأنا أقولُ: إنَّ ماءِ العنبِ هو الطيِّبُ

---

(١) في ط ١ مَفقودين مِن الدَّهر، طائشين على الدوام.
(٢) في ط ١ لذة الحياة بدل صفو الحياة.

خذْ هذا النَّقْدَ وذَرْ ذلكَ النَّسيءَ[1]
فصوتُ الطَّبْلِ مِنْ بعيدٍ أحسن!

ـ ٢٦ ـ

إنْ سَقيتَ الجبلَ خمراً رَقَصَ الجبلُ
ناقصٌ من ينتقصُ قدرَها
أتطلبُ منّي أنْ أتوبَ من شُربِ الخمر؟
وهي الرُّوحُ التي تربّي الإنسان؟

ـ ٢٧ ـ

اشربِ الخمرَ فإنَّها الحياةُ الدَّائمةُ
وهي وحدَها مزيةُ الدُّنيا
هذا أوانُ الوردِ والطَّرَبِ، والأخلاءُ سُكارى
فاسعدْ لحظةً، هذه هي الحياة.

ـ ٢٨ ـ

إنَّ هذهِ السَّماءَ كطاسةٍ مقلوبة
وفيها الأذكياءُ جميعهمُ قانطون
أنظروا إلى صَداقةَ الإبريقِ والكأسِ
الشِّفاهُ فوقَ الشِّفاهِ، وبينهما الدَّمُ![2]

---

(١) في ط ١ الوعد بدل النسيء

(٢) في الطبعة الثانية «والدم بينهما» واخترت صياغة الطبعة الأولى.

- ٢٩ -

حتَّى مَ تبقى أسيرَ اللونِ والرَّائحة؟
وكمْ تجري وراءَ كُلِّ طيِّبٍ وخبيثٍ
ستغورُ في باطنِ الأرضِ
حتَّى لوْ كنتَ ماءَ زمزمَ أو ماءَ الحياة!

- ٣٠ -

حيثُ أنَّ العُمرَ سينقضي، سيَّان عندي حُلوهُ ومرُّهُ
وإذا طَفَحَت الكأسُ فسواءٌ أنْ تطفحَ في «بغدادَ» أو «بلخ»
احْسُ يا صاحِ كُؤوسَ الحميَّا،
فإنَّ القَمَرَ سينتقلُ مِن بَعدي وبَعْدكَ من السَّلخِ إلى الغرَّةِ
ومن الغرَّة إلى السَّلخِ كثيراً(١)

- ٣١ -

غلطَ العدوُّ بقوله: إنِّي فلسفيٌّ
واللّهُ يعلمُ إني لستُ كما قالَ
ولكنِّي إذْ وُجِدْتُ في دارِ الغمِّ الدنيا.
فلا أقلَّ أنْ أعرفَ مَنْ أنا؟

---

(١) السلخ: آخر الشهر، والغرة أوّلهُ.

ـ ٣٢ ـ

لا تسلكْ غيرَ سبيلِ «قلندريةِ»[1] الحانةِ
ولا تطلبْ غيرَ الخمرِ والسَّماعِ والحبيب
ضعِ القدحَ على كفِّكَ والدنَّ على مَتْنِك
واشربْ أيُّها الجميلُ ولا تقلْ «لغواً»[2]

ـ ٣٣ ـ

معَ أنَّ الفضَّةَ لا تكونُ ذخيرةَ العُقلاءِ
لكنَّ روضَ الحياةِ سجنٌ للمُفلسينَ
ها هي البنفسجةُ نكَّستْ رأسها لخلوِّ جوفها
وها هي الوردةُ باسمةٌ في كِيسها الذَّهبيِّ.

ـ ٣٤ ـ

سواءٌ في نَظَر «المحقِّقينَ»[3] الحَسَنُ والقبحُ

---

(١) القلندرية: فرقة من فرقة الصوفية نشأت قريبة من الملامتية وامتازت عنها بأنَّ القلندريين كانوا يحلقون رؤوسهم ولحاهم ولا يتقيَّدون بأداء الفرائض، والواقع إنَّ هذه الرباعية أثارت كثيراً من الشكوك في نسبتها إلى الخيام، لانَّ هناك شكوكاً حول بداية نشوء الطريقة القلندرية، ومن شيوخ الطريقة في منتصف القرن السادس «مسعود بن محمد بن الدلال الهمذاني» الذي كان كثيراً ما يقول: الماضي لا يُذكر. فقيلَ إنه رُؤي في المنام، فقيل له: ما فعلَ الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: يا مسعود الماضي لا يُذكر، انطلقوا به إلى الجنة» توفي في سنة٥٦٧ . راجع ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي الجزء ٤٢ ص ٣٢٧ والوافي بالوفيات جزء ٢٥ ص ٢٧٠.

(٢) في ط١ هجراً.

(٣) في ط ١ المحققين العقلاء.

وسواءٌ للعاشقينَ مثواهُم في الجنَّةِ ومثواهم في النَّار
وسواءٌ على المسلوبِ. قلبُهُ الحريرُ والبلاس[١]
وسواءٌ عندَ العاشقينَ توسُّدُ الرِّيشِ أو الحِجَارَة.

- ٣٥ -

ليستَ الدُّنيا بدارِ قرارٍ لكَ ولا هِيَ دارُ إقامةٍ
أحسنُ للحكيمِ فيها أنْ يكونَ ثَملًا «مَسطولًا»[٢]
أسكبِ الماءَ على نارِ الغمِّ
قبلَ أنْ بذهبَ بِكَ إلى القبرِ صِفرَ اليَدَين.

- ٣٦ -

ما الغايةُ إذا بلغَ المرءُ مِنَ الدُّنيا الْمُراد؟
وما الغايةُ إذا قرأَ الإنسانُ كتابَ أعمالِهِ؟
فلنحسبْ أنَّكَ نِلتَ مَرامَكَ مائةَ عام
وعِشْتَ بعدَها مائةَ عامٍ.. فما العاقبةُ؟

- ٣٧ -

حيْنَ تخرجُ من الجسدِ روحي، ورُوحك الطَّاهِرتان
يضعونَ لَبِنَتينِ في لَحْدي ولَحْدِك
ثُمَّ لصِنعِ لَبِنةٍ لِقَبْرٍ آخَرَ
يَضعونَ تُرابِيَ وتُرابَكَ فِي القالب!

---

(١) البلاس: المنسوج الخشن. كما في ط١
(٢) في ط١ مصروعاً.

ـ ٣٨ ـ

انتبهْ ـ إعْلَمْ ـ أنَّكَ ستفارقُ رُوحَك
وستكونُ وراءَ سِتار الأسرارِ
اشربِ الخمرَ إنَّكَ لا تدري مِنْ أينَ أتيتَ
واسعدْ، إنكَ لا تعلمْ إلى أينَ تذهبْ.

ـ ٣٩ ـ

يا إلهي مَلَلتُ وُجودي وضِيْقَ صدري وفراغَ يدي.
يا منْ يجعلُ من العدمِ وُجوداً
أخْرِجْني من عَدَمي
بحُرمةِ وُجودِك![١]

ـ ٤٠ ـ

وقَعَ الخيَّامُ الذي كانَ يخيطُ خِيَمَ الحِكْمَة
في كُورِ الغمِّ واحترقَ فَجأةً
وقدْ قطعَ مِقْراضُ الأجَلِ أطنابَ عُمرِه
وباعَهُ دلالُ الأملِ رَخيصاً.

---

(١) كانت هذه الرباعية آخر ما قاله الخيام عندما حضرته الوفاة، كما جاء في حواشي «جهار مقالة» لأحمد بن عمر بن علي النظامي، وكان تلميذاً للخيام، ولم يذكرها القفطي في كتابه «حكماء الإسلام» ..الصراف «عمر الخيام.. الحكيم الفلكي النيسابوري ـ حياته علمه، رباعياته» ط٢ ص ١٠

ـ ٤١ ـ

إنْ تشربِ الخمرَ فاشْرَبْها معَ العُقَلاء
أوْ مَع بَاسمةٍ مورّدةِ الخدَّيْنِ،
لا تشربْ كثيراً، ولا تُجاهِرْ بشربها ولا تَلْهجْ بها
أشربْ قليلًا، وبينَ أوانٍ وآخرَ ـ وفي الخَفاء

ـ ٤٢ ـ

إذا شربَ الشحَّاذُ الخَمْرَ رأى الإمارةَ في نفسِهِ
وإذا شَرِبها الثَّعلبُ رأى السبعيَّةَ في نَفْسهِ
وإذا شَرِبَها الشَّيخُ جدَّدَ لنفسهِ عَهْدَ الشَّبابِ
وإذا شَرِبَها الفتى رأى عَهْدَ الشيخوخةِ ـ طالَ عُمره ـ

ـ ٤٣ ـ

العِشْقُ عِنوانُ عالمِ المعاني ومطلعُ قصيدةِ الشَّبابِ
فاعلمْ أيُّها الغافلُ عن عالمِ العشقِ
هذهِ النكتة:
إنَّ الحياةَ هِي العِشْقُ!

ـ ٤٤ ـ

إنْ وجَدَ المرْءُ رَغيفاً في يومِهِ
أو وجَدَ جُرعةَ ماءٍ باردٍ في كُوزٍ مَثلوم
فلماذا يكونُ تحتَ إمْرة غَيْرِه
أوْ في خِدمةِ من يُضاهِيْه؟

- ٤٥ -

يا إلهي حَطَّمتَ إبْريقَ خَمْري
وأوصدْتَ بابَ الأنْسِ بوجهي
وسكبتَ على الأرضِ خَمرتي الورديَّة
ترابٌ في فَمي.
فهلْ أنْتَ سَكْرانٌ مثلي[١]؟

- ٤٦ -

يا إلهي، من الذي لَمْ يرتكبْ خطيئتَهُ في الدُّنيا
وكيفَ عاش فيها مَنْ لَمْ يَخطأ؟
إنْ قابلتني على سيِّئتي بسيئةٍ مِثلِها.
إذاً فما الفرقُ بيني وبينك؟

- ٤٧ -

أباهي بِحاناتِ الْخَمْرِ لأنَّ أهلَهَا أكفَّاء
وإذا أمْعَنتُ النَّظَرَ في طالِحهم وجدتُهُ رضيّاً
«لَمْ تخرِّج الْمَدرسةُ»[٢] أحداً من ذوي القلوبِ النيِّرة
فَلْتُدكَّ هذهِ الخرابةُ فإنَّها دَارُ جَهْل.

---

(١) في ترجمة الرباعية «هل أنت سكران يا ربي وهي حرفية كما هو واضح» بدل «فهل أنت سكران مثلي» التي جاءت مترجمة بهذه الصيغة في مقدِّمة الكتاب، وقد اعتمدنا هنا الترجمة التي أوردها الصراف في المقدمة.

(٢) في ط ١ لم ينبغ أحدٌ في المدرسة.

ـ ٤٨ ـ

أيْ خيَّامُ إنَّ جَسدَكَ يُماثِلُ الخيمةَ حقّاً
والرُّوحُ التي منزلُها دارُ البقاءِ
تُشبهُ السلطانَ
أفلا يقوِّضُ الخيمةَ فراشُ الأَزَل؟

ـ ٤٩ ـ

إشربِ الصَّهْباءَ فَإنَّها راحةُ رُوْحِك
وأمانٌ لنفسك وقَلبكَ الجريحينِ
وإذا دَهَمكَ طُوفانُ الهمِّ من ورائكَ وأمامَكَ
فَلُذْ بالخمرِ فإنَّها سفينةُ النَّجاةِ.

ـ ٥٠ ـ

أرسلتِ الشمسُ أنوارَها في الأعالي.
وقدْ صبَّ ملكُ النَّهارِ صَهباءَهُ في الجام
أشربِ المدامةَ فقدْ نَبَذَ مُنادي السَّحرِ[١]
كلمةَ: «اشربوا» في أجوازِ الأيَّام!

ـ ٥١ ـ

أرى فوقَ فِراشِ الأرضِ ناسَاً غَرقى في سُباتِهم
وأرَى تحتَ أطباقِ الثَّرى ناساً مُختفينَ

(١) في ط١ مؤذِّن بدل منادي.

أنَا كلَّما نظرتُ إلى بيداءِ العَدَم
رأيتُ ناسَاً يذهبونَ من غيرِ إياب.

- ٥٢ -

يا قلبُ لم يَرَ أحدٌ الخلْدَ والجحيمَ
يا قلبُ أينَ الذي جاءَ من ذلكَ العالمِ
إنَّ رجاءَنا وخوْفَنا من شيءٍ
لمْ يظهرْ اسمُهُ ولا رَسْمُه!

- ٥٣ -

أيُّ نفعٍ من مجيئنا وذَهَابِنا؟
لم تُجْدِ سُدى لحمةُ الأملِ من عُمرنا
في دائرةِ الفَلَكِ تشتعلُ أرواحُ كثيرٍ من الطيِّبينَ
وتصيرُ رماداً فأينَ دُخانُها؟

- ٥٤ -

يقولونَ: هُناكَ - في الآخِرَة - جنَّةٌ وحورٌ وكوثر
وفيها خمرٌ ولبنٌ وعسلٌ مصفًّى...
ناولني أيُّها الساقي كَأساً على ذِكرِها
فإنَّ النقدَ الواحدَ أفضلُ من ألفِ نَسيئةٍ!

- ٥٥ -

حاسبْ نفسَكَ إنْ كنتُ واعياً لبيباً
ما الذي جئتَ بهِ وماذا ستأخذُ معك؟

تقولُ: لا أشربُ الخمرَ لأنّي سأمُوت!
يا هذا سوفَ تموتُ، شربْتَها أو لم تَشْرَبْها.

ـ ٥٦ ـ

إنَّ صُورةَ هذا الكونِ كلِّهِ نقشٌ وخيالٌ
ليسَ عارِفاً مَنْ لا يعلمُ هذا الحالَ
أجلسْ وأحْسُ قَدَحاً من الخمرِ واسْعَدْ
ولا تَشغلْ نفسَكَ بهذهِ النُّقوشِ والخيالاتِ المستحيلة!

ـ ٥٧ ـ

نَحنُ خَلَعنا رداءَ الزُّهدِ على دَنِّ الْخَمْر
وتيمَّمنا بترابِ الْحاناتِ
لعلَّنا نجدُ في أبوابِها
ذلكَ العمرَ الَّذي أضعناهُ في الْمَدارسِ.

ـ ٥٨ ـ

لا أستطيعُ العيشَ بلا خمرٍ صافيةٍ
ولا أقدرُ أنْ أحملَ عبءَ جسدي بغيرِهما
أنا عبدُ تلكَ اللحظةِ التي يقولُ فيها الساقي:
«خُذْ كأساً أخرى..» وأنا لا أقدرُ من شدَّةِ سُكري!

ـ ٥٩ ـ

رأيتُ شَيْخَاً فِي دَار الْخَمَّار
فقلتُ لهُ: ألا تخبرني عن الذاهبِيْن؟

قالَ: اشربِ الْمُدامة
فإنَّ كثيْرينَ مِنْ أمثالِنا ذَهَبوا وما عادَ أحدٌ مِنْهُمْ.

- ٦٠ -

أيُّها الحبيبُ خُذْ كأساً وإبريقاً
وتَنَزَّهْ حولَ الرَّوضِ الأخضرِ في جانبِ النَّهرِ
فإنَّ هذا الفَلَكَ قدْ صَنَعَ من قُدودِ الفاتنات
مائةَ مرَّةٍ، كؤوساً، ومائة مرَّةٍ، أباريق!

- ٦١ -

خُذْ نصيبكَ مِنْ تداولِ الأيَّامِ
وأجْلِسْ على سريرِ الطَّربِ وخُذْ كأساً بيديْكَ
إنَّ اللَّهَ غنيٌّ عن الطاعةِ والْمَعْصية
فخُذْ في الأقلِّ لذَّتكَ من الحياة.

- ٦٢ -

إنَّ القصرَ الذي كان يسامي الفَلَك كَتِفاً إلى كَتِف
وكانَ الملوكُ يضعونَ على عَتَباتِهِ الجباهَ
قدْ رأينا الفاختةَ تسجعُ على شُرُفاتِهِ قائلةً:
كو ؟كو ؟كو؟ كو؟ أي أين؟ أين؟ اين؟

- ٦٣ -

إنْ كنتَ تجري وراءَ شَهْوتِكَ وهَواكَ

فإني أخْبرُك بأنَّكَ ستذهبُ بائِساً يائِسَاً
أنظر مَنْ أنت؟ ومِنْ أينَ أتيت؟
وماذا تعملُ وإلى أينَ تذهب؟

ـ ٦٤ ـ

مَرَرْتُ البارحةَ بالحانةِ ثَمِلًا
فرأيتُ شَيْخاً سكرانَ حَاملًا دنَّ خمرٍ على متْنِهِ
قلتُ لهُ: ألا تستحي من اللَّهِ يا شيخُ؟
فأجابَ: إنَّ الكرَمَ مِنَ اللَّهِ فاشربْ واسكتْ.

ـ ٦٥ ـ

سَارِعْ فقدْ طلعَ الصَّباحُ وتمزَّقَ جِلبابُ الليلِ وقُمْ باكِرْ صَبوحَك
ما لك مَغموماً إشربِ الخمرَ يا حبيبي
فإنَّ الصُبحَ سيطلعُ كثيراً علينا
مُولِّياً وجهَهُ نحوَنا ونحنُ مُولُّون وجوهَنا للتُّراب.

ـ ٦٦ ـ

أنا أشربُ الخمرَ ويشربُها كُلٌّ من هو مثلي أهلٌ لها
فإنْ شُرْبهُ لها يَسيرٌ عند العَقلِ
إنَّ اللَّهَ كانَ يعلمُ منذُ الأزل بأنِّي سأشربُها
فأنَا إنْ لم أشربها فَعِلْمهُ إذاً يكونُ جهلًا!

- ٦٧ -

تفضَّلتَ فقُلْتَ: إني سأعذِّبُك!
وأنا لَمْ أَخَفْ، قطُّ، من هذا القَوْلِ
فالمكانُ الذي أنْتَ فيهِ لا يكونُ فيهِ عَذابٌ
وأينَ المكانُ الذي أنتَ لستَ فيه؟

- ٦٨ -

كأسٌ وخمرٌ وساقٍ في جنبِ روضةٍ
خيرٌ من الجنَّةِ التي وُعِدْتَها
لا تسمعنْ من أحدٍ حديثَ الجنَّةِ والنَّارِ
مَنْ ذا ذَهَبَ إلى الجَحِيمِ ومَنْ ذا جاءَ من الجنَّة؟

- ٦٩ -

إنَّ كأسَاً من الخمرِ تعدِلُ ألفَ قلبٍ ودِيْن
وإنَّ جُرعةً منها تُساوي مملكةَ الصِّين
ليسَ على وجهِ الأرضِ غيرُ الخمرة الصَّافية
وهي الْمُرَّةُ التي تَفْضلُ الحلوَ ألفَ مَرَّة!

- ٧٠ -

أيُّها القلبُ أنتَ لا تصل إلى كَشْفِ الأسرار المعمَّاة
ولا تَفْقهُ نكاتِ الأذكياءِ
أجعلْ لنفسِكَ في هذهِ الدُّنيا جنَّةً من الخمرِ والكأسِ
فإنَّكَ لا تعلمُ أتَنَالهُا في تلكَ أمْ لا؟

- ٧١ -

أشربِ الْخَمْرَةَ الصَّافية مرَّتين كلَّ يوم
فإنَّ هذا العمرَ القصيْرَ لا يَعودُ إليكَ مرَّة أخرَى
أنْتَ تَدري أنَّ الْكونَ صائرٌ إلِى الْخرابِ
فكُنْ أَنْتَ أيضاً خَراباً ليلًا ونهاراً.

- ٧٢ -

يا مَنْ هو نتيجةُ أربعةِ عناصرَ وسبعِ سماواتٍ
لقدْ جعلْتَ نفسَكَ في شُغلٍ فيها.. اشرب الخمْرَ[١]
فلقدْ قلتُ لكَ ألفَ مرَّةٍ: ما لَكَ مِنْ أوْبةٍ
فإذا ما ذَهَبْتَ فَقَدْ ذَهَبْت!

- ٧٣ -

إنَّ هذهِ الأجرامَ السَّماويَّةَ الماثلةَ في هذا الإيوان
قدْ جعلتِ العقلاءَ حيارى مُتردِّدين
فاحذرْ أنْ تُضيِّعَ رُشدَكَ
فإنَّ المدبِّرين لهذا العالم حَيارى مُطرقون![٢]

- ٧٤ -

لمْ يكنْ محصولُ الإنسانِ من هذهِ الدُّنيا ذاتِ البَابَيْن
غيرَ ألمِ القلبِ وزُهوقِ الرُّوحِ

---

(١) في ط ١ أنت تتألَّم في الفكر فيها بدل لقدْ جعلْتَ نفسَكَ في شُغلٍ فيها.
(٢) في ط ١ في تردّد وذهول بدل حَيارى مُطرقون.

فالمسرورُ مَنْ عاشَ لحظةً
والمستريحُ هو الذي لم تلدْهُ أمُّهُ[١]

- ٧٥ -

هذا البلاطُ القديمُ المسمَّى بالعالم
ومستقرُّ الصباحِ الوضَّاءِ والليلِ الدَّامسِ
مجلسٌ فتحَ بابَهُ لمائِهِ «جمشيد»[٢]
وقصرٌ اتكأ على الأرائكِ فيهِ مائة بهرام[٣]

- ٧٦ -

حسنٌ أنْ تسرَّ قلبَكَ بكأسِ الْمُدامة
وأن لا تذكرَ كثيراً ما كانَ وما يكونَ . الماضي والآتي .
وأنْ تُطلقَ سَاعةً
مُهجتَكَ الْمُستعارةَ السجينةَ من قَيْدِ العَقْل

- ٧٧ -

إنَّ الفَلَكَ لا يُقبِّلُ يدي وقدمي مائةَ مرَّةٍ
ما لمْ يَسْقِني الحبيبُ صهباءَ مُفرحةً
يقولون لي : تُبْ من شربها فقدْ حانَ وقتُ التَّوبةِ

---

(١) لم ترد ترجمة هذه الرباعية في ط ١.

(٢) جمشيد: أحد الأبطال الأسطوريين في التاريخ الفارسي، وهو من شخصيات الشاهنامة: ومعنى إسم جمشيد: شعاع القمر.

(٣) بهرام: أشهر ملوك الدولة الساسانية في إيران، وهو الذي حارب الديانة المانوية وقتل نبيَّها ماني.

وكيفَ أتوبُ ولمْ يشأ اللَّهُ أنْ أتوب؟

- ٧٨ -

كمْ من فتنةٍ أثاروا من طِينتي
لَمَّا وضعُوها في القالبِ
أنا لا أستطيعُ أنْ أكونَ خيراً ممَّا أنا عليهِ
فأنَّهم هكذا أفرغوني في الكُور[١]!

- ٧٩ -

لا بداءةَ ولا نهايةَ للدائرة
التي جئنا منها وسنذهبُ إليها
لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يقولِ من أينِ هذا المجيءُ
وإلى أينِ هذا الذَّهاب؟

- ٨٠ -

لا تؤذِ أحداً ما استطعْتَ
ولا تُجلسْ أحداً على نارِ غَضبِكَ
وإذا كنتَ تطمعُ في رَاحةٍ دائمةٍ
فاقبلِ الأذى ولا تؤذِ أحدَاً

---

(١) الكور: التنور. ويستخدم عادة للفخار، والصهر.

- ٨١ -

لا تَعْزو إلى الفَلَكِ، الخيرَ والشرَّ اللذين هُما من غريزةِ البشر
ولا الفرحَ والغمَّ الذينَ هُما من القضاءِ والقدرِ
لأنَّ الفَلَكَ - بنظرِ العقل
أعجزُ منكَ ألفَ مرَّة!

- ٨٢ -

إذا لم يكنْ ما يجنيهُ الإنسانُ في هذه الحياةِ ذاتِ الفِتَن
غيرَ الألمِ وعذابِ النَّفسِ
فالمسرورُ القلبِ من خَرَجَ من الحياة
والمستريحُ مَنْ لم يَرْجِعْ إليها(١)

- ٨٣ -

أنظرْ إلى الصَّبا وقد مزَّقَتْ جِلبابَ الوَرْدِ
وقدْ طربَ البُلبُلُ بجمالِ الوَرْدِ
أجلسْ في ظلِّ الوردِ فطالما
نَبتَ هذا الوردُ في الترابِ وعادَ إليه.

- ٨٤ -

سأشربُ، هذهِ الليلةَ، مدامةً في جامٍ يستوعبُ رَطلًا

(١) في ط١ فطوبى لمن خرج منها أو لم يجئ إليها بدل من فالمسرورُ القلبِ من خَرَجَ من الحياة والمستريحُ مَنْ لم يَرْجِعْ إليها.

وأُغْني نفسي بجامين من الخمرِ
وقبلَ كُلِّ شيءٍ أُطلِّقُ عقلي وديني
ثلاثاً ثُمَّ افتضُّ بنتَ الكَرْمِ![1]

- ٨٥ -

إذا كُنتَ تملكُ خمراً فلا تَتبْ من شُربها
فإنَّ لك سعةً لتتوبَ ألفَ مرةٍ توبةَ النَّدم
صاحِ لقدْ تفتَّحتْ أكمامُ الوردِ وغرَّدت البلابلُ
فهلْ يجوزُ التوبةُ في مثْلِ هذا الوقت؟

- ٨٦ -

أيُّها القلبُ قدْ غمَّكَ الدَّهرُ
وسيفارقُ روحَك الطيِّبةَ جسدُكَ على غِرَّةٍ
فاجلسْ على العُشْبِ الأخْضَرِ وعِشْ رَغداً بضعةَ أيامٍ
قبلَ أنْ يَنبتَ العُشْبُ من تُرابِكَ.

- ٨٧ -

أغسلوني إذا مِتُّ بالصَّهباءِ
ولقِّنوني بالخمرِ والجامِ
وإنْ شِئتمْ أنْ تجدوني يومَ الحشرِ
فَتَحرُّوني في ترابِ حانةِ الخمرِ

(١) في ط ١ انكح بدل افتض.

- ٨٨ -

يا أسفاً ! فقد انطوى سفرُ الشبابِ وانطوى الرَّبيعُ الغضُّ
آهٍ لا أدري متى جاءَ الشبابُ
- وهو ذلك الطائرُ الطروب - ومتى ذَهَب؟

- ٨٩ -

يا رِفقتي! أقيتوني بالْخَمْرةِ،
واجعلوا وجهي الْمُصفرَّ اصفرارَ الكهربا.. أحمرَ كالياقوتِ
وإذا متُّ فاغسلوني بالْمُدَامة
واصنعوا تابوتي منْ أعوادِ الكرْم[١]

- ٩٠ -

أنا ذلكَ الذي ظَهَرَ إلى عالمِ الوجودِ بقُدرتِك
وربِّيَ بدلالٍ في نِعمتكَ
سوفَ أُكثرُ من الذُّنوبِ مائةَ عام
لأعلمَ أيِّما أعظمُ: ذُنوبي أمْ رَحْمتُك!

- ٩١ -

أيْ ساقي الْمُدام
أولئكَ الذين رَحلوا قبلَنا قدْ نَاموا في ترابِ الغُرورِ
اذهبْ واشربْ الخمرَ واسمعْ مِنِّي الحقيقةَ:

(١) في ط ١ واجعلوا وجهي الْمُصفرَّ كالورس أحمر كالياقوت،
وانحتوا تابوتي بدل أصنعوا تابوتي

فإنَّ كُلَّ ما قالوهُ لغوٌ في هواء[1]

ـ ٩٢ ـ

إلى متى أعرضُ جهالةَ نفسي
ضاقَ قلبي من هذا الشَّتاتِ
أُرِيدُ أنْ أشدَّ في وسَطي زنَّارَ المجوسِ!!
أتدري لماذا؟ مِنْ خِزْيِ إسلامي!!

ـ ٩٣ ـ

يا أسفاه! فقدْ ذَهَبَ رأسُ المالِ مِنْ أيدينا
وكمْ من أكبادٍ أدْمَتها يدُ المنونِ
لمْ يرجعْ أحدٌ من الآخرةِ
لأسألَهُ: كيفَ حالُ الذين سافروا من الدُّنيا إليها

ـ ٩٤ ـ

أيها الفلكُ! أنا غيرُ مسرورٍ بدورانكَ
أطلقْ سراحي فإنِّي غيرُ خليقٍ بأنْ أُقيَّدَ
فإنْ كنتَ تميلُ إلى الحمقى والذينَ ليسوا أهلًا للفضل
فأنَا أيضاً لستُ بالعاقلِ الكافي!

ـ ٩٥ ـ

إنَّ القصرَ الذي تعاطى فيه «جمشيد» الأقداح

---

(١) في ط ١ هواء كل ما قالوا.

قد وُلدتْ فيهِ الغزالةُ واطمأنَّ فيهِ الثَّعلبُ
و«بهرامُ» الذي يصيدُ حمارَ الوحشِ طوالَ عُمرِهِ
أرأيتَ كيفَ صادَ القبرُ «بهرام!»

ـ ٩٦ ـ

لا تخْشَ من حادثِ الدُّنيا
ومن كُلِّ ما يصيبُكَ منهُ لأنَّهُ لا يدومُ
وانتهزْ هذا العُمْرَ القصيرَ
ولا تفكِّرْ بما مَضى ولا تَخَفْ من الآتي

ـ ٩٧ ـ

إنِّي وإنْ كانَ لوني بديعاً وعَرفي ذكيّاً
ومحيَّاي كالشَّقيقِ وقامتي كالسَّرْوةِ
لمْ يعلمْ لِمَاذا زَانني النَّقَاشُ الأزليُّ
في هذهِ الأرضِ دارِ السُّرور؟

ـ ٩٨ ـ

قالَ الوردُ: لا وجهَ أنضرُ من وجهي
فيا عجباً لِمَ يجورُ عليَّ كلَّ هذا الجَوْرِ عاصرُ الوَرْد؟
فأجابَهُ البلبلُ بلسانِ الحال قائلًا:
من الذي ضَحكَ يوماً واحداً ولم يبْكِ عاماً؟

ـ ٩٩ ـ

ذَهبنا وبقيَ الزَّمانُ بعدَنا مُضطرِباً

ولَمْ تُثقبْ إلا جَوهرةٌ واحدةٌ من مائة
وأسفاً، فقدْ بقيتْ مئاتُ الألوفِ من المعانِي الدَّقيقةِ
غيرَ مذكورةٍ حَذراً من حَمقِ الناس.

ـ ١٠٠ ـ

قدْ فلقَ القمرُ بنُورهِ أهدابَ الليلِ
فاشربْ فليسَ في الوسْعِ أنْ تحظى بعدَها بمثلِ هذهِ اللحظة
طِبْ نفساً! فإنَّ القمرَ سيسطَعُ كثيراً
على حافةِ قبرِ كُلّ واحدٍ منَّا.

ـ ١٠١ ـ

اصْحَبِ الخمرَ فإنَّهُ مُلْكُ محمودْ[1]
واسْتَمِعْ إلى القيثارةِ فإنَّهُ لحنُ داوودْ
لا تذكرِ الآتي والْمَاضي وطِبْ نَفْساً
في ساعَتِكَ التي أنْتَ فيها فذلكَ هُو الْمَقْصودْ!

ـ ١٠٢ ـ

إنَّ هذا الفَلَكَ الَّذي لمْ يَطَّلِعْ أحدٌ على أسرارهِ
قدْ قتلَ ألفَ «محمود وآياز»[2] عِذْواناً

(١) في ط١ عاشِرْ بدل صاحب.
(٢) محمود هو: السلطان محمود الغزنوي، أشهر ملوك الغزنوية ويعرف كذلك بفاتح الهند، امتدت هيمنته لتشمل بخارى وسمرقند، وخراسان ومعظم مناطق ما وراء=

اشرب الصَّهْباءَ إنَّك لا تُعطى العُمرَ مرَّتين!
والذي يفارقُ الحياةَ لا يعودُ إليها تارة أخرى!

ـ ١٠٣ ـ

إنْ كنتَ لا تشربِ الخمرَ فلا تَطعنْ في السكارى
لو كانَ إليَّ أمري لَتُبْتُ إلى اللَّهِ
أنتَ تفتخرُ بأنَّكَ لا تشربُ الحميَّا
وأنتَ تعملُ مئاتِ الأعمالِ أشنعَ منْها!

ـ ١٠٤ ـ

لا تفكِّرْ أبداً في المحالِ
واشربِ الصَّهباءَ كُلَّ العامِ بأكوابٍ مُترعةٍ
عِشْ رَغداً معَ ابنةِ العُنقود
فإنَّ لقاءَ البنتِ بحرامٍ، خيرٌ من لقاءِ الأمِّ بِحَلال!

ـ ١٠٥ ـ

في هذا اليومِ الذي هو عَهْدُ صِبايَ
أشربُ الخمرَ لأنَّ فيها نَيْلُ أمنيتي
لا تُنقصُوها فهي لذيذةٌ على مَراراتها
أجلْ هي مُرَّةٌ لأنَّها حَيَاتي!

=النهر، ووصلت إلى الهند شرقاً، وازدهرت في عصره العلوم والفنون، وكان الفرودسي وابن سينا والبيهقي وسواهم قد عاشوا خلال عهد السلطان محمود أما «أياز» فهو غلامه ومستشاره الذي أسهم في صعوده.

ـ ١٠٦ ـ

سَمِعْتُ نداءً في السَّحرِ من حاناتِنا يقولُ:
يا أخا الشربِ الْمُستهترَ المفتونَ
قُمْ لنملأَ كأساً من الخمرِ
قبلَ أنْ يملأوا كأسَنا ـ قبلَ أنْ تَدْهَمَنا المنيّةِ!

ـ ١٠٧ ـ

أنظرْ إلَى الكأسِ فإنَّها حُبلى بالرُّوح
أو انَّها كياسَمِينٍ حَبِلَ بالأُرْجوان.
لا لا! فقدْ أخطأتُ القولَ بل هي مِنْ شدَّةِ لُطفِها:
ماءٌ حلَّ في نارٍ ذائبة!

ـ ١٠٨ ـ

لا يُمكنُ التطهُّر في الحانةِ إلا بالْمُدامةِ[1]
وهذهِ السُّمعةُ التي تردَّتْ لا يتيسَّرُ تحسينُها
عاطَنِيها فإنَّ ستارَ عَفَافِنا قدْ تمزَّقَ
حتَّى لَيَسْتَحيلَ ترقيعُهُ.

ـ ١٠٩ ـ

ما كانَ للكونِ نَفعٌ من مجيئي
ولمْ يزدَدْ من ذَهابي جمالُهُ وجاهُهُ

---

(١) في ط١: الوضوء بدل التطهُّر.

ولمْ تسمعْ أذناي أيضاً من أحدٍ
ما الغايةُ من مجيئي وذَهابي!

ـ ١١٠ ـ

قُمْ وتعالَ أيُّها الحبيبُ رعايةً لقلبِنا
وحلَّ بجمالِكَ مُشكلَنا
هاتِ كُوزاً من الخمرِ لِنَحْسُوَها
قبلَ أنْ يصنعوا أكوازاً من طِيْنتنا[١]

ـ ١١١ ـ

طالَمَا هَدَرَ الفَلَكُ دِماءَ النَّاسِ
وطالَما نَبتَ الوردُ وتناثرتْ أوراقُهُ على الثَّرى
أيُّها الفتى لا تغترْ بحسنِكَ وشبابِكَ
فقدْ طالما تساقطَ الوردُ على التُّرابِ قبلَ أنْ تتفتَّحَ أكمامُهُ[٢]

ـ ١١٢ ـ

غلَّ الفَلَكُ النَّذْلُ يديْ
مذْ صرتُ أفرِّقُ بين رِجْلي ويدِي
واغمَّاهُ فسيحسبونَ من عُمُري زَماناً
مرَّ لي بغيرِ مُدامةٍ ولا معشوقةٍ.

---

(١) في ط ١ : أيها الصنم بدل أيُّها الحبيبُ
(٢) في ط١ ياما بدل طالما.

- ١١٣ -

جاءَ السحابُ وبكى ثانيةً فوقَ العُشبِ
فلا يجوزُ أنْ نعيشَ من غيْرِ مُدامةٍ أرجوانيَّة
إنَّ هذا العُشبَ مسرحٌ لأنظارِنا اليومَ
فلِمَنْ يا تُرى سيصْبحُ عشبُ تُرابنَا مسرَحاً؟

- ١١٤ -

حسنٌ أنْ تهربَ من دروسِ العلْمِ كلِّها
وحسنٌ أنْ تتعلَّق بطُرَّة الحبيبِ
وقبلَ أنْ يسفَحَ الدَّهرُ دَمَك
فاسفحْ دمَ الإبريقِ في القدح!

- ١١٥ -

لَمَّا كانَ الغدُ غيرَ مضمونٍ لأحدٍ
أدخلِ السرورَ على قلبِكَ الْمَشغوفَ وأشربِ الْخَمْرَ على ضوءِ القَمر
لأنَّ القمرَ يا أيُّها القَمرُ
سيطلعُ كثيراً ولا يَجدُنا!

- ١١٦ -

كانَ قبلي وقبلك ليلٌ ونهارٌ
وكان الفَلكُ يدورُ من أجلِ غايةٍ
فترفَّقْ وخفِّفِ الوطءَ عَن التُّرابِ

فإنَّهُ كانَ حَدقةَ عينٍ لحَبِيْب.

ـ ١١٧ ـ

أيها الفَلكُ الدوَّارُ، الخرابُ أثرٌ من آثارِ حِقْدِك
والظلمُ عادتُكَ القديمةُ
ويا أيَّتها الأرضُ إنْ فَتَحوا صدرَكِ وجدوا فيه
كثيراً من الجواهرِ الثَّمينة.

ـ ١١٨ ـ

أنا أشربُ الْمُدامة ولكنِّي لا أعَربدُ
وإلى غيرِ الكأسِ لا أمدُّ يدي
أتعلم ما غرضي من عبادةِ الخمر؟
ذلك لئلا أعبدَ نفسي مثلَك.

ـ ١١٩ ـ

أَمَرَني أنْ أتحبَّبَ وافرَّ من الحُكْمِ الذي لا محيصَ ليْ فيهِ
وقدْ بقيتُ عاجزاً حيرانَ بين أمْرهِ ونهْيِهِ
فهو كمنْ يقولُ:
اقْلبِ الكأسَ ولا تسكبْ ما فِيْها!

ـ ١٢٠ ـ

كانَ هذا الكوزُ مثلي صَبّاً
كئيباً مفتوناً بفرعِ مَليحةٍ
وهذه العروةُ التي تراها في جِيْده

كانَتْ يَداً على عُنُقِ حبيبة!

ـ ١٢١ ـ

انهضْ ولا تحزنْ على الدُّنيا الفانية
وطِبْ نَفْساً واقضِ وقْتَكَ مَسروراً
لو كانَ الوفاءُ مِنْ شِيمةِ الدُّنيا
لما انتقلَتْ إليكَ مِنَ الآخرينَ.

ـ ١٢٢ ـ

لَمَّا ركَّبَ الخالُق الطَّبائِعَ
لِماذا جَعَلها بين النَّقْصِ والزِّيادة
فإنْ جاءتْ رديئةً فالعيبُ عليه
وإنْ جاءتْ جيِّدةً فلماذا يخرِّبُها؟!

ـ ١٢٣ ـ

أولئك الذين ثَقَبوا دُرَرَ المعاني بأفكارِهم
تكلَّموا كثيراً في ذاتِ الباري
لمْ يعرفْ أحدٌ منهمْ مبدأَ الأسرارِ
إنَّما هَرَفوا أوَّلًا وناموا أخيراً!

ـ ١٢٤ ـ

لا يُعرفُ بمعيارِ العقل
ولا يقاُس بالمقاييسِ
مبدأُ دَوران هذا الطاسِ ـ الفَلَك ـ المذهَّبِ

ومنتهى خرابِ هذا الأساسِ الجيِّد

ـ ١٢٥ ـ

نحنُ نشتري كلتا المُدامتين المعتَّقةَ والجديدة
ونحنُ الذينَ نبيعُ الفردوسَ بشعيرتين
قلتَ لي: إلى أينَ أذهبُ بعدَ الموت؟
هاتِ لي الصهباء وأذهبْ إلى حيثُ تشاء!

ـ ١٢٦ ـ

هذا العقلُ الذي يسيرُ في طريقِ السَّعادة
يقولُ لي كلَّ يوم مائةَ مرَّة:
أنتهزْ هذه الفرصةَ فلستَ ذلك «الكرَّاث»
الذي إذا حصدوهُ نَبتَ مرَّةً أخرى!

ـ ١٢٧ ـ

لقدْ حَلَلْتُ جميعَ مشاكلِ الكائناتِ الموجودةِ بينَ الأرضِ وزُحَل
ونجوتُ من عُقدةِ كُلِّ مَكرٍ وحِيلةٍ
وقد انْحلَّتْ كُلُّ عُقدةٍ في الحياةِ
سوى عُقدةِ الأَجَل!

ـ ١٢٨ ـ

يا وردُ أنتَ تُحاكي مُحيا الحسْناءِ
ويا خمرُ أنتَ كياقوتةٍ تُبهجُ الرُّوحَ

ويا أيُّها الحظُّ «العاثرُ»[1] أنتَ في كلِّ وقتٍ خصمٌ ليْ
وتَظهرُ لي بمظهرِ الصَّديق.

- ١٢٩ -

«أوقعني»[2] غرامُك في شَركِهِ ورأسي مُشتعلٌ بالشَّيْبِ
وإلا فما أنا وكأسُ الحميا؟
لقدْ عَبَثَ الحبيبُ بالتوبةِ التي وهَبها لي العقلُ
ومزَّقتِ الأيَّامُ ذلكَ القميصَ الذي خاطَهُ الصَّبْرُ!

- ١٣٠ -

وضعَ صيَّادُ الأزلِ حَبَّةً في «الفخِّ»[3] واصْطَاد
وسَمَّى صَيدَهُ آدمَ
أنَّهُ هو الذي يعملُ كلَّ قبيحٍ وحَسَنٍ فِي العالَم
ويُحمِّلُ النَّاسَ تَبِعَةَ ذَلك.

- ١٣١ -

سأطوي غداً «رايةَ»[4] النِّفاقِ
وسأقصدُ الخمرِ ورأسي مُشتعلٌ بالشيْبِ
بلغتُ من العمرِ سبعينَ عاماً

---

(١) في ط ١ المعاكس.
(٢) في ط ١ اصطادني.
(٣) في ط١ الشرك
(٤) في ط ١ علم.

فإنْ لمْ أنْشَطِ الآنَ للطَرَبِ فمتى أعملُ ذلك؟

ـ ١٣٢ ـ

إنَّ كُلَّ ذرَّةٍ في «الثرى»[١] هي من وجْهِ حسناء زهراءِ الجبين
يا هذا انفضِ الغُبَارَ من أرْدانِك «برفقٍ»[٢] وأَدَبٍ
فإنَّهُ كانَ أيضاً وجهَ حسناءَ أخْرى.

ـ ١٣٣ ـ

يا أيُّها الساقي قُمْ من «النَّوْمِ»[٣]
و«ناولْني»[٤] خمراً رائقةً
وقبلَ أنْ يصنعوا من جَماجِمِنا أكوازاً
فاسكبِ الخمرَ من الكوزِ في الكأسِ واسْقِنا يا ساقي

ـ ١٣٤ ـ

لا تظنَّنْ أنني «أخشى الدُّنيا»[٥]
أو أخافُ الموتَ وفِراقَ الرُّوحِ
الموتُ حقيقةٌ فلا أعبأ به
ولكنَّني أخشى أنْ لا أكونَ قدْ عِشْتُ سعيداً

---

(١) في ط ١ على وجه الثرى.
(٢) في ط ١ بلطف.
(٣) في ط ١ من فراش النوم.
(٤) في ط ١ واعطني.
(٥) في ط ١ أخاف الكائنات.

- ١٣٥ -

العالمُ كلُّهُ مِحنةٌ والأيّامُ غمٌّ
والفَلَكُ كُلُّهُ آفةٌ والدُّنيا ظلمٌ
أني أنظرُ إلى أعمالِ الحياةِ، فلا أجدُ فيها مُستريحينَ شُعداء
وإنْ وُجِدوا «فهمْ قليل»[1]

- ١٣٦ -

اسْعَدْ فإنَّ الدُّنيا ستنقضي
وسوفَ تنوحُ الرُّوحُ «بعدَ»[2] الجسد
وهذهِ الجماجمُ التي تراها الآن
ستطأها أقدامُ الكوّازين غَداً

- ١٣٧ -

لِمَ هذا الغمُّ من أجلِ المالِ، ولِمَ هذه الحسراتُ من أجلِ الدُّنيا
أرأيتَ أحداً خلدَتْ له الحياةُ
هذهِ أنفاسُكَ في جسمكِ عاريةٌ
فَعِشْ معَ الحياةِ العَاريةِ ...كَالعَارِيَة

---

(١) في ط١ فنزرٌ قليل.
(٢) في ط ١ خلف

- ١٣٨ -

أيُّها السَّاقي عاطِني كَأْساً فالعالمُ «نفَسٌ»
وحسب الإنسان من السرورِ نَفَسٌ واحدٌ أيضاً
طِبْ نَفساً من كُلٍّ ما تلاقيهِ في الحياةِ
لأنَّ الحياةَ لنْ تكونَ على وفْقِ رغبةِ أحدٍ

- ١٣٩ -

تعمرُ الحانةُ بشربنا الخمرَ وفي أعناقِنا دمُ ألفي توبة
أنا إنْ لمْ أذنبْ
فماذا تصنعُ الرَّحمةُ
إنَّمَا الرَّحمةُ تزدانُ بآثامِنا

- ١٤٠ -

كلَّمَا انفلقَ الصَّباحُ
وجبْ أنْ يكونَ في الكفِّ كأسُ خمرٍ مروقة
يقولونَ: إنَّ الخمرَ مُرَّةٌ في الفمِ
إذَنْ يجبُ أنْ تكونِ الخمرةُ هي الحقّ على كُلِّ حالٍ

- ١٤١ -

أولئك الذينَ ظهروا إلى الوجودِ و«جاشوا»[1]
قد شُغِفوا بالشربِ والغَنَجِ والدَّلال

---

(١) في ط ١ وفاروا.

وقد شَربوا كأساً ودُهِشوا
ثمَّ احتضنَ بعضُهم بعضاً في نومِ العَدَم.

ـ ١٤٢ ـ

اشربِ الحُميَّا إنَّكَ سترقدُ طويلًا تحتِ الثرى
حيثُ لا أنيسٌ ولا صديقٌ ولا رفيقٌ ولا زَوج
احْذَرْ أنْ تفشي هذا السرَّ لأحدٍ:
الزهرةُ الذابلةُ لا تتفتَّحْ «لا يعود إليها زهوها ورونقها»

ـ ١٤٣ ـ

مَنْ يَملكُ من دُنياه نِصفَ رَغيف
وعِشّاً حَقيراً لسكناهُ
لا يكنْ خادِماً ولا مخدُومَاً
فليعشْ سعيداً فإنَّ عَيْشَهُ رَغْدٌ.

ـ ١٤٤ ـ

قبلَ أنْ يُصيبَنا «شواظُ الزَّمان»(١)
تعالوا نشرب الخمرَ مَعاً
فإنَّ هذا «الفَلَكَ»(٢) ساعةَ ارتحالِنا لا يُمهلنا
أنْ نشرَبَ جُرعةً من الماء.

---

(١) في ط١ من الزمان التواء.
(٢) في ط١ الفلك الدوار.

ـ ١٤٥ ـ

أيُّها الساقي إنَّ الزَّهْرَ والعُشْبَ في طَرَبٍ كثيرٍ
انتبهْ فسيكونانِ تُراباً بعدَ أُسبوعٍ
اشربِ الصَّهباءَ واقطفِ الوردَ ففي طَرْفَةِ عَيْن
يستحيلُ الوردُ تُراباً والعشب غِثَاء أحوى[١]

ـ ١٤٦ ـ

لا تحزنْ فالحزنُ عَبَثٌ، وعِشْ فَرِحاً
وفي طريقِ الظلْمِ «سِرْ»[٢] عادِلًا
«لَمَّا كانتْ»[٣] نهايةُ الحياةِ هي العدم
فاحسبْ أنَّك لمْ تكنْ وعِشْ حرَّاً.

ـ ١٤٧ ـ

ذَهَبَتْ أيَّامُ العمرِ قليلةً كالْماءِ في الوادي
أو كالرِّيحِ في البيْدَاءِ
أنا لا أغتمُّ ليوميْنِ من الأيَّام
اليومِ الذي لَمْ يأتِ واليومِ الذي مَضَى.

---

(١) غثاء أحوى: يابس أسود جاء في سورة الأعلى الآية ٥. «فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى» وفي مجاز القرآن لابن المعمر «فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى» هيَّجه حتى يبس فجعله أسود من احتراقه غثاء هشيماً.
(٢) في ط ١ كُنْ.
(٣) في ط١ ما دامت.

ـ ١٤٨ ـ

إذا مِتُّ فاغسلوني بالخمرِ،
ولقِّنوني بالشرابِ والجامِ
وإنْ أرَدْتُم أن تَلقَوني يومَ الحشر
فشمُّوا ترابَ الحانَةِ عنِّي.

ـ ١٤٩ ـ

حتَّى مَ «تشغلُ نفسَكَ»[١] في المسجد والصلاة والصوم؟
اسكرْ في الحاناتِ ولو بالشحاذة
يا خيَّامُ اشربِ الخمرَ فسيجعلونَ من «بَدَنِك»[٢] هذا
مرَّةً جاماً ومرَّة دنَّاً ومرَّةً كُوزاً

ـ ١٥٠ ـ

يقولُون: قدْ أتى شهرُ رَمَضان[٣]
وليسَ لأحدٍ بعدَ هذا أن يحومَ حولَ الْمُدام
أمَّا أنا فسأشْرَبُ مِنْها في آخرِ شعبانَ

---

(١) في ط ١ تتحدث.
(٢) في ط ١ ترابك.
(٣) الرباعيات الأربع التالية: «١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣» نشرها الصرّاف في الطبعة الأولى من كتابه المطبوع في بغداد مطبعة دار السلام عام ١٩٣١«وتحت الأرقام ٦٦ ـ ٨٧ ـ ١٤٠ ـ ١٤٣» لكنَّهُ أسقطها من الطبعة الثانية الصادرة عام ١٩٤٩ عن مطبعة الشعب «دار الأخبار بغداد» ومضامين هذه الرباعيات التي تحاشى ترجمتها أغلب المترجمين، أو في أحسن الأحوال التفوا عليها بالترجمة فخفَّفوها عمداً، تفسّرُ بشكل واضح سبب إسقاط الصراف لها في الطبعة الثانية من كتابه.

ما أبقى به سكرانَ طوالَ شهرِ رَمضانَ حتَّى يومِ العيد.

- ١٥١ -

اخْدِمِ النَّدامى - إخوان الشُّرب - ما استطعتَ
واهدمْ أركانَ الصَّلاةِ والصِّيامِ
اسمعِ القولَ الصَّحيحَ من عُمر الخيَّام:
اشربِ الخمرَ، واقطع الطُرَقَ، وأحسنْ إلى الْغَيْر!

- ١٥٢ -

عِندما مالَ طَبْعي إلى الصَّلاةِ والصَّوْمِ
قلتُ لنفسي: لقدْ حصلَ مُرادي
لكنْ أسفاً لقدْ بَطَلَ ذلكَ الوضوءُ بضرطةٍ
وبَطَلَ الصومُ بنصفِ جُرعةٍ من الخمر!

- ١٥٣ -

ثورٌ في السماءِ واسمهُ الثريَّا
وثورٌ آخرٌ مخفيٌّ تحتَ الأرضِ
فافتحْ بصيرةَ عَقلِكَ إنْ كُنتَ من أهلِ اليقين
وانظرْ إلى ما بينَ الثورينِ من الحمير![١]

---

(١) للبهائي العاملي بيتان بهذا المعنى أوردهما في كشكوله، هما:
وثورينِ حاطا بِهذا الورى فثورُ الثريَّا وثورُ الثَّرى
وهُمْ تحتَ هذا ومن فوق ذا حميرٌ مسرَّجةٌ في قُرى
وقال الشيخ الأميني في «الغدير» الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان=

- ١٥٤ -

أنا لا أشربُ الخمرَ للطربِ
ولا للفسادِ وتركِ الدِّينِ والأدبِ
إنِّي أريدُ أنْ أتنفَّسَ الصُّعداءَ وأنَا ذاهلٌ عن نفسي
فلهذا أشربُ الخمرَ، وأثمل.

- ١٥٥ -

بمجيءِ الربيعِ وذَهَابِهِ تنطوي أوراقُ وجودِنا طيَّاً
اشربِ الخمرَ ولا تبتئسْ
فَقِدْماً قال الحكيمُ:
غُمومُ الدُّنيا سمومٌ ودرياقُها الخمر(١)

- ١٥٦ -

رأيتُ أمْسِ خزَّافاً في السُّوقِ
يركلُ قطعةً من الطِّين
وكانَ لسانُ حالِها يقولُ للخزَّافِ:

=١٩٧٧ م، ج ١١ ص ٢٧٤»: نظم بهذين البيتين ما في شعر الحكيم عمر الخيّام بالفارسيّة...، وتبنى صديقنا «جلال زنكبادي» «ديوان عمر الخيام دار الجمل بيروت ٢٠١٠» هذا الرأي ليشير إلى أن هذين البيتين من الترجمات القديمة لرباعيات الخيام إلى العربية، لكنَّ البهائي نفسه لم يشر لذلك، بل جاء البيتان تسبقهما عبارة: لكاتب الحروف. «الكشكول» محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين «المتوفى: ١٠٣١هـ» تحقيق: محمد عبد الكريم النمري دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨م جزء ١ ص ١٤.

(١) درياق: تعريب للترياق. أي دواء للعلاج.

لقدْ كُنتُ يا هذا مثلك فعامِلْني بالحسنى!

ـ ١٥٧ ـ

عادتي أنْ أشربَ الحُميَّا وأسرَّ بها
ودِيني أنْ أهجرَ الكُفْرَ والدِّين!
قلتُ لعروسِ الدَّهْرِ ما صَدَاقُك؟
قالتْ: قلبُك الجذلان صداقي.

ـ ١٥٨ ـ

يا خيَّامُ ما هذا المأتمُ؟ من أجلِ الخطيئة؟
وما الجدوى من الغمِّ؟ قليلًا كانَ أو كثيراً
ليسَ الغُفرانُ لأولئك الذينَ لمْ يرتكِبُوا الخطيئةَ
أنَّما الغفرانُ وُجِدَ للخطيئةِ، فما الغمُّ؟

رباعيات مُلحقة

هذه الرباعيات ترجمها الصراف في سياق دراسته لحياة الخيام وفلسفته، لكنه لم يضمَّها إلى ترجمة الرباعيات، ورأيت أن أضمَّها كملحق.

ـ ١٥٩ ـ

أولئكَ الذينَ هَرموا، والذينَ لا يزالون أحْدَاثاً
سيذهبُ كلٌّ منهمْ فَرداً فَرداً بعدَ مَجيئهِ
لا يخلدُ في هذهِ الدُّنيا أحدٌ.
ذهبوا ويذهبون ويأتي غيرُهم... ثمَّ يذهبون!

ـ ١٦٠ ـ

إنِّي وإنْ كنتُ لم أثقبْ جوهر طاعتك،
ولَمْ أنفضْ غبارَ الإثمِ عَنْ وجهي،
لستُ قانطاً من كَرمِك،
لأنَّني لَمْ أجعلْ قطُّ عِوَضَ الواحدِ اثنين.

ـ ١٦١ ـ

لا أستطيعُ أنْ أبوحَ بسرِّي لكلِّ طيِّبٍ وخبيثٍ
أنا قاصرُ الكلامِ لا أستطيعُ أنْ أطيلَهُ

لي حالٌ لا أستطيعُ أنْ أشرحَها
وسرٌّ لا أستطيعُ أنْ أقولَهُ.

ـ ١٦٢ ـ

يا أيُّها الذي ذَهبَ، وعادَ مرَّة أخرى، وصارَ كالأنعام[١]
لقدْ ضاعَ اسمُكَ بين الأسماءِ،
وقدْ اجتمعتْ أظافيرُك وصارتْ حوافر،
وظهرتْ لحيتُكَ في عجزِكَ ذيلًا.

ـ ١٦٣ ـ

هؤلاءِ الكوَّازونَ الذينَ في الطينِ أيدِيهمْ.
ومنحصرةٌ عقولُهم وأفكارُهم فيهِ
إلى متى يَركلونَ الطِّينَ ويصفعونَهُ؟
هذهِ أجسامٌ، حتَّى م هذهِ الظنونُ؟

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة الفرقان: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ وقد عثر المستشرق الروسي زيوفسكي المختص بالبحث في تاريخ الرباعيات، على راوية غريبة في «التاريخ الألفي» لأحمد بن نصر الله السندي» واستدلَّ بها على ما قال إنه عقيدة الخيام بالتناسخ ـ المسوخيَّة هنا ـ تقول تلك الراوية التي لا تخلو من ظُرف: «كانت في نيسابور مدرسة قديمة بحاجة للترميم، وكان قطيعٌ من الحمير يحمل الآجرَّ إلى تلك المدرسة، وبينما كان الخيام يتمشَّى في فناء المدرسة مع مجموعة من التلاميذ، رأى أحد الحمير يرفض الدخول إلى المدرسة، فابتسم الخيَّام واقترب من الحمار وهمس في أذنه هذه الرباعية، فدخل الحمار وسط استغراب الموجودين، فقال الخيام، يبدو أن روح أستاذ قديم في هذه المدرسة، قد حلَّت في جسد الحمار، ولَمَّا علمَ أن الأصدقاء عرفوه دخل!».

ـ ١٦٤ ـ

أيُّها الخزَّافونَ اسمعوني إنْ كُنتمْ مُنتبهينَ
حتَّى مَ تظلمونَ طِينةَ ابنِ آدَمَ؟
أنتُمْ وضعتُمْ أصبعَ «أفريدون» وكفَّ «كيخسرو» على الدولاب
فماذا تظنُّون؟[1]

ـ ١٦٥ ـ

أولئكَ الذينَ أحاطوا بالفضلِ والأدبِ،
بجمع الكمالات أصبحوا شموعَ المجالسِ والأصحابِ
لَمْ يهتدوا إلى الطريقِ في هذا الليلِ الدَّامسِ،
وإنَّما فاهوا بشيءٍ من الخرافاتِ وناموُا.

ـ ١٦٦ ـ

لوْ عرفَ القلبُ سِرَّ الحياةِ كما هِيَ
لعرفَ أيضاً في الموتِ الأسرارَ الإلهيَّةَ
أنتَ تعلمُ شيئاً ومعكَ نفسُكَ
فماذا تعلمُ غداً إذا تجرَّدتَ عنها؟

---

(١) وردت ترجمة الرباعية بصيغة أخرى هي:
«أيُّها الكوَّاز إنْ كنتَ واعياً فحتَّى مَ تهيُن طِينَة الإنسان؟
إنَّ الذي وضعتَهُ على الدوار
هو أنملة «إفريدون» وكفُّ «كيخسرو»
فماذا تظنُّ؟»

- ١٦٧ -

لَمْ يكُنْ محصولُ الإنسانُ في هذهِ الحياةِ ذاتِ الفِتَن
إلا الألَمَ وعذابَ النَّفْسِ
فطُوبى لِمَنْ خَرَجَ مِنها
أو لَمْ يجئْ إلَيْها.

- ١٦٨ -

أشربُ الخمرَ لأنَّها الحياةُ الدَّائمة،
فهي وحدها مزيةُ الدُّنيا
الوقتُ وقتُ وردٍ وطربٍ، والأخلاءُ سُكارى
أسعدْ لحظةً فهذهِ هيَ الحياة.

رباعيَّات الخيَّام

ترجمة الزهاوي

الطبعة الأولى مطبعة الفرات ١٩٢٨

ثبَّتَ الزهاوي الأصلَ الفارسيَّ لكلِّ رباعيةٍ، ثمَّ ترجمته «نثراً» فترجمته «نظماً» كما ورَدَ في الأصل، لكنَّنا آثرنا هنا أنْ نضعَ ما سمَّاه: «ترجمة نثرية» تحت مُسمَّى: «ترجمة حرة» وما سمَّاه: «ترجمته نظماً» تحت تسمية: «صياغة حرة» اتساقاً مع ما طرحناهُ في المقدِّمة حول مسألة الترجمات «الحرة» أو «الموزونة».

القسم الأول: في الخمرة

ـ ١ ـ

الترجمة الحرة:

إنَّ هذا الفَلَكَ الدوَّارَ لهُ قصدٌ سيئٌ
بروحي وروحِكَ، يريدُ إزهاقَهُما
فتبوَّأِ العُشْبَ واشربْ فوقَهُ الخمْرَةَ
إذْ لا يبطئُ العُشْبُ أنْ ينبتَ من تُرابي وترابِك.

الصياغة الموزونة:

اغْنمِ العُشْبَ فهو أخضرُ غضٌّ
وترَشَّفْ كأسَ الحميَّا عليهِ
قَبْلَما يبدو العُشْبُ أخضرَ غضّاً
من ترابٍ يوماً تصيرُ إليهِ

ـ ٢ ـ

الترجمة الحرة:

تعدِلُ كأسٌ من الخمرةِ ألفَ قلبٍ ودِين
وتساوي جرعةٌ منها مملكةَ الصِّين
ليسَ على الأرضِ مُرَّةٌ

هي تفضلُ ألفَ حلوٍ سوى الخمرةِ.

الصياغة الموزونة:

اسـقِـنـي خَـمْـراً فَـهْـي تـعْـدِلُ عِـنـدي
ألـــفَ دِيـــنٍ وألـــفَ مُـــلكٍ وَطِـــيـــدْ
لَيــس مِـــنْ مُـــرَّةٍ ســـواهـــا تُـــســـاوي
ألـــفَ حـــلوٍ فـــي كـــلِّ هـــذا الـــوجُـــودْ

ـ ٣ ـ

الترجمة الحرة:

انظرْ إلى الكأسِ فإنَّها جسمٌ قد حَبلَ بالرَّوحِ
أو ياسمينٌ قد حَبلَ بالورْدِ
بلْ هي من لُطفِها
ماءٌ حَبلَ بنارٍ سيَّالة.

الصياغة الموزونة:

إنَّـمـا الـرَّاحُ وهـي فـي الـكـأسِ تُـبـدِي
لَمَـعَـانـاً، روحٌ بـجـسـمٍ تـجـلَّى
وكـأنَّ الـكـأسَ الـتـي قـدْ حَـوتْـهـا
مـاءَةٌ بـالـنـارِ الْمُـضـيـئـةِ حُـبـلى

ـ ٤ ـ

الترجمة الحرة:

سأطربُ على الوجهِ الجميلِ ما استطعْتُ
وأعيشُ رغداً بجانبِ النَّهرِ

حيثُ الخمرُ والزَّهرُ
شربتُها في الماضي وأشربُها اليومَ وسوفَ أشْربُها..

الصياغة الموزونة:

لا أعـافُ الـسـلافَ مـا دُمـتُ حـيَّـاً
قـدْ أصـابَ ارتـيـاحَـهـمْ شـاربُـوهـا
إنـنـي قـدْ حَـسَـوْتُـهـا قـبـلَ هـذا
وكـمـا قـدْ حَـسَـوْتُـهـا أحْـسُـوهـا

ـ ٥ ـ

الترجمة الحرة:

عادتي أنْ أشربَ الخمرَ وأُسرَّ بها
ودِيْني أنْ أفرغَ من الكُفْرِ والدِّينِ
سألتُ عروسَ الدَّهْرِ ما هو صَدَاقُكِ؟
فأجابتْ: قلبُكَ الجذلان.

الصياغة الموزونة:

أشـربُ الـرَّاحَ مُـدْمِـنـاً ثـمَّ أنِّـي
لا أُبَـالـي كُـفْـراً ولا إيْـمَـانَـا
قـلتُ لـلدُّنـيـا: مـا صَـدَاقُـكِ قـالـتْ:
هُـو أنْ تَـسْـتَـمِـرَّ بـي جَـذلانـا

ـ ٦ ـ

الترجمة الحرة:

نحنُ رَهَنَّا رِداءَ التَّقوى بالدَّنِّ

وتيمَّمْنا بترابِ الحاناتِ
راجينَ أنْ نَجِدَ في أبْوابِها
ما أضعناهُ من عُمرِنا في الْمَدَارِسْ.

الصياغة الموزونة:

عِـفْـتُ زُهـدي وكـلَّ تـلكَ الـوسَـاوِسْ
ولـزمـتُ الـحـانـاتِ بـعـدَ الْمَـجَـالِـسْ
وعـســى أنْ أعـيـدَ فِـيـهـنَّ عُـمْـراً
كـنـتُ قـبـلًا أضـعْـتُـهُ فـي الْمَـدَارِسْ[1]

- ٧ -

الترجمة الحرة:

أنا لا أقدرُ أنْ أعيشَ
فأحملُ عبءَ جسدي بدونِ خمرةٍ صافيةٍ
ما أحلى الساعةَ التي يقولُ لي فيها السَّاقي:
خُذْ كأسَاً أُخرى وأنا لا أسْتَطِيع!

الصياغة الموزونة:

بـالْحُـمَـيَّـا أحـيـا فـيـا طِـيـبَ يَـوْمٍ
فـيـهِ عـقـلي مـن الْحُـمـيَّـا يَـضِـيْـعُ
ويـقــولُ الــسـاقـي ألا هــاكَ أُخــرى
وأنــا لــلعَــيَـاءِ لا أسْــتــطِــيْــعُ

(١) هذه الرباعية نموذج لتقصير الصياغة الموزونة عن جمالية الترجمة الحرة.

- ٨ -

الترجمة الحرة:

الأحسنُ أنْ نُفرحَ نفوسَنا بكأسِ الحميا
وأنْ لا نلهجَ بما كانَ وما يكونُ
وأنْ نُطلقَ ساعةً
أرْواحَنا السَّجينةَ من قُيُودِ العَقْل.

الصياغة الموزونة:

حبَّذا خمرةٌ تُحرِّرُ نفسي
من همومٍ تَعضُّها كالكُبولِ
حَيْهَلٍ يا صَحْبي على الرَّاحِ كَيْما[1]
نُطلقُ الرُّوحَ من قُيودِ العقولِ

- ٩ -

الترجمة الحرة:

إنْ سكبتَ الخمرةَ على الجبلِ رَقَصَ الجبلُ
والذي ينتقِصُها هو الناقصُ
أتأمرني أنْ أتوبَ منها
وهي تلكَ الرُّوحُ التي تُربِّي الإنسان؟

---

(١) حيهل: مركبة من حي هلا.. وتعني: عجِّلْ

الصياغة الموزونة:

إنْ نَضَحْتَ الطَّودَ الأشمَّ بخمرٍ
رقصَ الطَّودُ ناشياً جَذلانا
إنني لا أتوبُ، ما عشتُ، مِنْها
فهي روحٌ يُهذِّبُ الإنْسَانا

- ١٠ -

الترجمة الحرة:

منذُ ظهرتِ الزَّهرةُ والقمرُ في السَّماء
ما رأى أحدٌ أفضلَ من الخمرةِ الصَّافية
لي العجبُ من بائعيها
ماذا سيشترونَ خَيْراً مِمَّا يَبِيْعُون؟!

الصياغة الموزونة:

ما على هذهِ البسيطةِ خَيْرٌ
مِن عَقارٍ يَلذُّها الشَّاربونا
عجبٌ ليْ من بائعِيها فهمُ أفضلَ مِمَّا باعوهُ لنْ يَشْترونا

- ١١ -

الترجمة الحرة:

لا يجوزُ الوضوءُ في الحانةِ إلا بالخمرة
وإذا ساءت السُّمعةُ لا يتيَّسرُ تحسينُها
إسْقنيها فإنَّ ستارَ عفافِنَا
قد تمزَّقَ بصورةٍ لا تقبلُ الرَّقْع.

الصياغة الموزونة:

لا يــتــمُّ الــوضــوءُ إلا بــخــمــرٍ
لــلذي لــلشِّــعــارِ فــي الــحــانِ يَــرْعــى
إشــقــنــيــهــا فــإنَّ ثــوبَ عــفــافــي
شُــقَّ حــتَّــى لا يــقــبــلُ الــشــقُّ رَقْــعَــا

- ١٢ -

الترجمة الحرة:

أيُّها الرفاقُ اتَّخذوا لي من الخمرةِ قُوْتاً
واجعلوا وجهيَ المصفرَّ كالكهرباءِ أحمرَ كالياقوت
وإذا مِتُّ فاغسلوني بها
وانحتوا تابوتي من خَشَبِ الْكَرْمة.

الصياغة الموزونة:

إمْــنــحُــونــي مــن الــسُّــلافــةِ قُــوتــاً
واجــعــلوا وجــهــي يُــشــبــهُ الــيــاقُــوتــا
وإذا مِــتُّ فــاغْــسِــلُونــي بــخــمْــرٍ
وانْــحَــتــوا لــيْ مــن كَــرمــةٍ تَــابــوتــا

- ١٣ -

الترجمة الحرة:

اشربِ الخمرةَ فهي العَيْشُ السرمديُّ
وهي وحدَها ما يبقى لكَ من أيَّامِ الشَّباب
هو زمنُ الوردِ والرِّفاقُ سُكارى

فطِبْ بها هنيهةً لأنَّها هي الحياة.

الصياغة الموزونة:

إنــمــا الــعــيــشُ أنْ تُــعــاقِــرَ خَــمْــرَا
مــا لِهــذا الــشَّــبــابِ فــيــكَ ثــبــاتُ
هُــو ذا الــوردُ والــرِّفــاقُ سُــكــارى
فــاغــتــنــمْ شــربَــهــا فَــفِــيــهــا الــحــيــاةُ

ـ ١٤ ـ

الترجمة الحرة:

في هذا اليومِ الذي هو عَهْدُ شبابي
أشربُ الخمرةَ لأنَّ فيها مسرَّتي
لا تَعِيبوها على مَرارتِها فهْيَ طيِّبةٌ
هي مُرَّةٌ لأنَّها حياتي.

الصياغة الموزونة:

أنــا فــي مَــيْــعــةِ الــشَّــبــابِ سـأحْــســو
خــمــرةً عــرفُــهــا مــن الــطــيِّــبــاتِ
لا تــعــيــبــوا تــلــكَ الْمَــرَارةِ فــيــهــا
إنَّــهــا مــرَّةٌ كــمــثــلِ حــيــاتــي

ـ ١٥ ـ

الترجمة الحرة:

لا طَرَبَ لي ما كنتُ صاحياً
وإذا سكرتُ نَقَصَ عقلي

إنَّما بين الصَّحْو والسُّكْرِ حالةٌ
هي، وحدَها، لذَّةُ الحياة.

الصياغة الموزونة:

إنَّـــنـــي إنْ صَــحــوتُ يــزدادُ هــمِّــي
وإذا مــا ســكــرتُ يــنــقــصُ عــقــلي
إنَّــمــا بــيــن الــصَّــحــوِ والــسُّــكــرِ حــالٌ
أنَــا مــن غــمَّــتــي بــهــا مُــتَــســلِّي

- ١٦ -

الترجمة الحرة:

سَمِعْتُ في السَّحرِ مُنادياً من جانبِ النَّهرِ يقولُ:
أيُّها الظريفُ الذي دلَّهَ بنا الغَرَام
قُمْ نملأُ كَأسَاً من الخمْرَةِ
قبلَ أنْ يملأوا مِنْها الكأسَ المَجْبولةَ من طِيْنتِنا.

الصياغة الموزونة:

قَــدْ أتــانِــي مــن حــانــةِ الــقــوْمِ صــوتٌ
فــي بــيــاضِ الــصَّــبــاحِ يُــغــري الــنُّــفــوسَــا
قــائــلًا: قُــمْ نَــشْــتَــفَّ كــأسِ الــحُــمــيَّــا
قَــبْــلَــمــا يَــصــنــعُــونَ مــنَّــا كــؤوســاً!

- ١٧ -

الترجمة الحرة:

لا يخضعُ الفَلَكُ لي،

ما لمْ يَسْقني الحبيبُ خمرةً مُفرحةً
يقولونَ لي: تُبْ مِنها فَقدْ جاءَ الوقتُ
وكيفَ أتوبُ إذا لمْ يُردِ اللَّهُ أنْ أتوب؟

الصياغة الموزونة:

أَنــا إنْ لــم أحــسُ الــسُّــلافــةَ يــومــاً
كــانَ لــلــهــمِّ فــي فــؤادي دَبــيــبٌ
قــيــلَ لــي: تُــبْ فــقــلــتُ: إنْ كــانَ ربِّــي
لــمْ يَــشَــأْ تَــوْبــتــي فــكــيــفَ أتــوبُ؟

ـ ١٨ ـ

الترجمة الحرة:

قَبْلَ أنْ تُبيِّتكَ الهمومُ
مُرْهمْ أنْ يأتوكَ بخمرةٍ ورديةٍ
أنتَ لستَ ذَهَباً أيُّها الجاهلُ الغرُّ
ليدفنوكَ في الترابِ ثمَّ يخرجُوك!

الصياغة الموزونة:

ارْتشِفْها ولا تؤمِّلْ وراءَ الموتِ نَشراً منْعُ الطبيعةِ دُونَهْ
أنــتَ يــا غِــرُّ لــســتَ بــالــتِّــبْــرِ حــتَّــى
يَــخــرجــوهُ مــن بــعــدَمــا يــدفــنُــونَــهْ

ـ ١٩ ـ

الترجمة الحرة:

يقولونَ لي: الجنَّةُ والحورُ طيِّبتانِ

وأنَا أقولُ: عصيرُ العِنبِ هو الطيِّبُ
خُذْ هذا النَّقدَ وذرْ ذالكَ الوعْدَ
فإنَّ صوتَ الطَّبلِ من بَعيدٍ حَسَنٌ.

الصياغة الموزونة:

قِيْلَ لي: الحورُ في الجنانِ حِسَانٌ
قلتُ: خيرٌ منها ابْنةُ العُنقودِ
فخُذْ النقدَ ذا وذَرْ كُلَّ وعدِ
يُحسنُ الطَّبلُ صُوتهُ من بَعيْدِ

ـ ٢٠ ـ

الترجمة الحرة:

اغتنمِ الوقتَ فإنَّكَ سوفَ تُفارقُ الرُّوحَ
وتدخلُ في ما وراءَ الأستارِ من أسرارِ اللَّهِ
واشربِ الخمرةَ فإنَّكَ لا تدري
من أينَ أتيتَ وإلى أينَ ستذهب!

الصياغة الموزونة:

ارْتشفها فأنتَ من بعدِ حينٍ
في حفيرٍ تحتَ الثَّرى تَتغيَّبْ

لستَ تدري من أينَ جئتَ من الدنيا ومنْها يوماً إلى أينَ
تذهبْ

ـ ٢١ ـ

الترجمة الحرة:

حاسبْ نفسَكَ إنْ كنتَ لَبِيْباً
ماذا جئتَ بهِ وماذا ستأخذُ مَعكَ؟
أتقولُ: لا أشربُها لأنَّني سوفَ أموتُ؟
سوفَ تموتُ شربْتَها أو لمْ تَشْرَبْها!

الصياغة الموزونة:

حاسِبِ النَّفسَ فالكياسَةُ أنْ تعرفَ ماذا جلبتَ ماذا صَرَفْتَا
قــلتَ: عَــنــهــا أعــفُّ إذ ســوف أُرْدَى
سَــوف تُـردى، شــربْـتـهــا أو عَـفَـفْـتـا

ـ ٢٢ ـ

الترجمة الحرة:

إنْ كنتَ لا تشربُ الخمرةَ فلا تطعنْ في شاربيها
وإنِّي إنْ وفَّقني اللَّهُ أتوبُ إليهِ
تقولُ مُفتخراً: أنا لا أشربُها
وأنتَ تأتي ما هو أكبرُ منها إثماً.

الصياغة الموزونة:

أنتَ إنْ لم تَحْسُ الحميَّا فلا تطعنْ بمنْ يحسُوها وقدْ كانَ حُرًّا
تدَّعي الفخرَ في مُجانبةِ الخمرِ وتأتي ما كانَ منها أضرًّا!

- ٢٣ -

الترجمة الحرة:

أيُّها القلبُ أنتَ لا تصلْ إلى أسرارِ الألغازِ
ولا تفْقَهُ نكاتِ الأذكياءِ الفاهمينَ
أجعلْ لِنفسكَ في هذه الدُّنيا جنَّةً من الخمرِ والكأسِ
فإنَّك لا تدري أتنالها في تلك أمْ لا تنَالها.

الصياغة الموزونة:

أتخذْ جنَّةً لنفسكَ في الدُّنيا من الخمرِ واغتبطْ بجناها
أنتَ لا تدري تلكَ إن هي حقَّتْ
أتَراها هناكَ أمْ لا تَراها؟

- ٢٤ -

الترجمة الحرة:

يا مَنْ هو نتيجةُ أربعةِ عناصرَ وسبعِ سماواتٍ
إلى متى أنتَ تتألَّمُ بالتفكُّر فيها؟
اشربِ الخمرةَ فكمْ قلتُ لك:
ما لك من رجعةٍ فإذا ذَهَبْتَ ذَهَبْت..!

الصياغة الموزونة:

اشربنها فأنتَ لستَ من الوسواسِ تنجو إلا إذا ما شَرِبْتَا
أنــتَ بــعــدَ الــرَّحــيــلِ مــالــكَ عَــودٌ
فــإذا مــا ذهــبــتَ يــومــاً ذهَــبْــتَــا

- ٢٥ -

الترجمة الحرة:

حتَّامَ أقولُ مُكتئباً: أأمتلكُ الشيءَ أمْ لا؟
أأقضي العُمرَ في سُرورٍ أمْ لا؟
اسقني كأساً من الخمرِ فإنِّي لا أدري
أأُخرجُ نَفَسِي هذا من صَدْري أم لا؟

الصياغة الموزونة:

اسْــقِــنــيــهــا فــإنَّــنــي لــســتُ أدري
أيَّ يــومٍ أحــلُّ فــيــه حَــفِــيــري
ربَّــمــا جــاءَ الــمــوتُ بــيــنَ شــهــيــقٍ
لــي عــلــى حــيــنِ غَــفْــلةٍ وزفــيــرِ

- ٢٦ -

الترجمة الحرة:

ذلكَ الذي يزيدُ رُوحي سُروراً
قدَّمَ لي في الحانةِ ليلةَ أمسِ جزاءً لصِدقي وإخلاصي
كأساً وقالَ: خُذْها واشْربها
فقلتُ: لا أشربها.. فقالَ: اشربها من أجلِ قلبي.

الصياغة الموزونة:

جـاءَ بـالأمـسِ مـن هَـويـتُ بـكـأسٍ
وهـو يُـلقـي عـليَّ نـظـرةَ حُـبٍّ
قـالَ لـي: خُـذْهـا مـن يَـدِي واحْـسُـونْـها
قـلـتُ: لا أحـسـوهـا، فـقـالَ: لـقـلـبـي

ـ ٢٧ ـ

الترجمة الحرة:

لا تَضَعْ في رأسِكَ حبَّ الْمُحال
واشربِ الخمرةَ كُلَّ العامِ بأقداحٍ مُترعة
عِشْ رَغداً مع ابنة الكَرمةِ
فإنَّ لقاءَ الابنةِ بحرامٍ خيرٌ من لقاءِ الأمِّ بحلال!

الصياغة الموزونة:

متِّعِ النَّفسَ بابنةِ الكرمةِ الغبياءِ وانْعمْ بعرفِها والجمالِ
إقْرَبِ البنتَ بالحرامِ ولا تَقرَبْ من الأمِّ ساعةً في الحلالِ!

ـ ٢٨ ـ

الترجمة الحرة:

إلى متى يمرُّ عُمرُكَ في عِبادةِ نفسِك؟
أو في الافتكار في ما لكَ وما لَيْسَ لَك
اشربِ الخمرَ فإنَّ العُمرَ الذي وراءَهُ الموتُ
يحسنُ أنْ ينقضي في الرُّقادِ أو السُّكْر.

الصياغة الموزونة:

ارتــشــفْ خــمــرةً ولا تَــتَــفَــكَّــرْ
فــي حــيــاةٍ مــصــيــرُهــا لــنَــفــادِ

أحرَ بالعُمْرِ ـ خلفهُ الموتُ ـ أنْ يُصرَفَ في حالِ السُكْرِ أو في رُقادِ

ـ ٢٩ ـ

الترجمة الحرة:

أيُّها الرِّفاقُ متى ما تقابلتُمْ مُتوافقينَ
فاذكروا صديقَكُمْ كثيراً
وإذا شرِبتمْ الخمرةَ السائغةَ وجاءتْ نَوبتُنا
اقلبُوا الكأس!

الصياغة الموزونة:

يــا رِفــاقــي إنْ ضــمَّــكُــمْ يــومُ خــمــرِ
فــاذكــرونــي فــي غَــيْــبــتــي واشْــربــوهــا
وإذا مـــا أدرتُـــمُ الـــكـــأسَ فـــيـــهِ
وأتــتْ مــنــهــا نَــوْبَــتــي فــاقــلبُــوهــا

ـ ٣٠ ـ

الترجمة الحرة:

أنا أشربُ الخمرةَ
ومَنْ كانَ مِثلي أهلًا لشربها،
فإنَّ شربَهُ إيَّاها ليسَ بمعصيةٍ
كانَ اللَّهُ يعلمُ منذُ الأزل إني سأشربُها

فإنْ لم أشربْها كانَ علمُهُ جَهْلا!

الصياغة الموزونة:

عَـــلِمَ الـــلَّهُ قـــبـــلَ خَـــلْقـــيَ إنِّـــي
أشـــربُ الـــخـــمْـــرَ ثـــمَّ لا أتـــخـــلَّى
فـــإذا مـــا مـــنـــعـــتُ نـــفـــسِـــيَ مـــنـــهـــا
كـــانَ بـــي عِـــلْـمُ الـــلَّـهِ، مـــن قـــبـــلُ، جَـــهْـــلا!

ـ ٣١ ـ

الترجمة الحرة:

أنَا أشربُ الخمرَ ولكنْ لا أُعربِدُ
ولا أطيلُ إلى غيرِ الكأسِ يدي
أتدري لماذا أعْبدُها؟
ذلكَ لئلا أعبدُ مثلَكَ نفسي.

الصياغة الموزونة:

أنَـــا بـــالـــرَّاحِ وحـــدِهـــا مُـــتـــأسِّـــي
لا أمـــدُّ الـــيـــمـــيـــنَ إلا لـــلـــكـــأسِ
إنْ أكنْ أعبدُ الْحُميَّا فما أعبُدُ يوماً للجهْلِ مثلكَ نفسي

ـ ٣٢ ـ

الترجمة الحرة:

إنْ لمْ أجدْ صُلحاً معَ النَّاسِ، فلتكنِ الحرْبُ
وإنْ ساءتْ سُمعتي فلْتَسُؤْ!
هَا هِي ذيْ كأسُ خمرةٍ أَرْجُوانية

فمنْ لا يشربُها فرأسُهُ والحِجَارَة.

الصياغة الموزونة:

أنَّما الناسُ إنْ أَبَوا معيَ الصُّلحَ فإنِّي على الوغى ذُو جَسَارَة
إنَّـــهـــا خـــمـــرةٌ عـــتـــاقٌ فَـــمَـــنْ لـــمْ
يَـــجْـــتـــرغـــهـــا فـــرأسُـــهُ والـــحِـــجَـــارَة!

ـ ٣٣ ـ

الترجمة الحرة:

يَا مُفتي البلدِ نحنُ أتقى مِنْكَ
ومعَ كُلِّ سُكرِنا هذا أصحى مِنْكَ
أنتَ تشربُ دمَ النَّاسِ ونحنُ نشربُ دمَ الكُرومِ
فقلْ مُنصفاً: أيُّنا أفْتَكُ؟

الصياغة الموزونة:

أيُّـــهـــا الْـمُـــفـــتـــي نـــحـــنُ أتـــقَـــى وأَضْـــحَـــى
مِـــنْـــكَ لا نـــقـــســـو مـــثـــلَـمَـــا أنْـــتَ تَـــقـــســـو
أنْـــــتَ تـــــحـــــسُـــــو دمَ الأنــــــامِ وإنَّــــــا
لِدمِ الـــكـــرْمِ وهـــو فـــي الـــجـــامِ نـــحـــسُـــو

ـ ٣٤ ـ

الترجمة الحرة:

جاءَ السحابُ وبكى ثانيةً فوقَ العُشْبِ
لا يجوزُ أنْ نعيشَ بدون خمرةٍ أُرْجُوانية
إنَّ هذا العُشْبَ مشهدٌ لنَا اليومَ وهلْ منْ يَدْري

لمن سيكونُ العُشْبُ، الذي يَنبتُ من تُرابِنا، مشهداً؟

الصياغة الموزونة:

انْـظـر الـعـشـبَ الـغـضَّ واشـربْ عـلـيـه
خـمـرةً تُـنـسـي شَـاربـيـهـا الـشُّـجـونَـا
لـيـتَ شِـعـري إذا بـدا الـعـشـبُ يـومَـاً
مِـنْ ثَـرانَـا فـمـنْ هـمُ الـنَّـاظـرونـا؟

- ٣٥ -

الترجمة الحرة:

أبصرتُ شيخاً في دارِ خَمَّارةٍ
فقلتُ لهُ: إلا تخبرني عن الماضِيْنَ؟
قالَ اشربِ الخمرَ فكثيرٌ من أمْثالِنا
ذَهَبوا ولمْ يَرجعْ منهمْ مرَّةً أحدٌ.

الصياغة الموزونة:

كنتُ يوماً سألتُ شَيْخاً عن الماضين والشَّيخُ نِضوَ سكرٍ يميدُ(١)
قـالَ لـي اشـربْ كـأسـاً فـإنَّ كـثـيـراً
مـثـلنـا قَـدْ مَـضَـوا ولَمَّـا يَـعُـودوا

- ٣٦ -

الترجمة الحرة:

يَقُولونَ هُنَاكَ جنَّةٌ وحُورٌ وكوثرٌ

---

(١) نِضو سكرٍ أتعبه السكر. والعرب تقول: نضو سفر، وبلو سفر، لمن أرهقه السفر.

وأنهارٌ من خَمْرٍ ولبَنٍ وعَسلٍ
عاطِني أيُّها السَّاقي على ذِكرِها كَأساً
فإنَّ النَّقدَ الواحِدَ خيرٌ من ألفِ نَسيئةٍ!

الصياغة الموزونة:

ارتشفْها ولا يغرُّكَ وعدُ
بجنانٍ خُضرٍ وحُورٌ وولِدُ
فَذَرِ الوعْدَ واحسبِ النَّقْدَ غُنْماً
أنَّ نَقْداً أحبُّ إليَّ من ألفِ وَعْدِ

- ٣٧ -

الترجمة الحرة:

خيرٌ من الجنَّةِ التي وُعِدتَها
كأسٌ وخمرةٌ وساقٍ في جانبِ الرَّوضةِ
لا تسمعنْ من أحدٍ حديثَ الجنَّةِ والجحيمِ
مَنْ ذا ذَهَبَ إلى الجحيمِ وَمَنْ ذا جاءَ من الجنَّة!

الصياغة الموزونة:

لا تُفكِّرْ في جنَّةٍ وجحيمِ
واطردنَّ الأوهامَ عنكَ بكأسِ
من تُرى زُجَّ في الجحيمِ وَمَنْ ذا
جاءَ يوماً مِنْ جنَّةِ الفِرْدوسِ؟

- ٣٨ -

الترجمة الحرة:

أيُّها الحبيبُ اصطحبْ كأساً وإبريقاً
وحُمْ حولَ الرَّوضِ في جانبِ النَّهْرِ
فإنَّ هذا الفَلَكَ كثيراً ما جعلَ من قِوامِ الغِيْدِ الْحِسانِ
كُؤوساً وجعلَ منهُ أبارِيق.

الصياغة الموزونة:

اصـطـحـبْ كـأسـاً وإبـريـقـاً ويـمِّـمْ
روضــةً زهــرُهــا يُــســرُّ الــنُّــفُــوســا
رُبَّ قَــدِ لــذنٍ لــهــيــفــاءَ رُوْدٍ[1]
صــارَ إبــريــقــاً ثــمَّ صــارَ كُــؤوســا

- ٣٩ -

الترجمة الحرة:

الأولى أنْ تهربَ من درُوس العِلْمِ كافَّة
وأنْ تتعلَّقَ بِشَعْرِ غانيةٍ حَسْناء
وأنْ تَسفحَ دمَ الإبريقِ في القَدَح
قبلَ أنْ يَسفحَ الدهرُ دمَك.

---

(١) الرُّودُ: الشابة الجميلة.

الصياغة الموزونة:

اطْـوِ كَـشْـحـاً عـن الـعـلومِ جـمـيـعـاً
أيُّ نـفـعٍ مـن الـعـلومِ أتـانَـا
ثـمَّ أوسـعْ دمَ الأبـاريـقِ سـفْـكَـا
قـبـلَ أنْ يـسـفـكَ الـزَّمـانُ دِمـانـا

- ٤٠ -

الترجمة الحرة:

غلَّ الفَلَكُ يدي
منذُ ميَّزتُ رِجلي عن يدي
وأغمتاهُ، فسيحسبونَ من عُمري زَماناً
مرَّ لي بغيرِ خمرةٍ وخليلة.

الصياغة الموزونة:

خـمـرةٌ إنْ واصـلتُـهـا ارتـاحَ فِـكْـري
وإذا مـا هَـجَـرتُـهـا ضـاقَ صَـدْري
إنَّـنـي أخـشـى أنْ يَـعِـدُّوا زَمـانـاً
لـم أذُقْ فـيـهِ طـعـمَـهـا مـن عـمـري

- ٤١ -

الترجمة الحرة:

افرحْ نفسَكَ الكئيبةَ أيُّها الحبيبُ
فإنَّ أحدَاً لا يضمنُ الغدَ
واشربِ الخمرةَ على ضوءِ القمرِ لأنَّ هذا القَمرَ

سوفُ يطلعُ كثيراً.. ولا يَرَانا.

الصياغة الموزونة:

طلعَ البدْرُ فاشربنَّ على أضوائِهِ خمرةً تُسرُّ الجَنَانا
فكثيراً ما سوفَ يطلعُ هذا البدرُ، مِنْ بعدِنا، وليسَ يَرَانا

- ٤٢ -

الترجمة الحرة:

تحثُّ قافلةُ العُمرِ السَّيرَ بصورةٍ عَجِيبةٍ
فاغْتنِمْ ساعةً تطرَبُ فيها
أيُّها السَّاقي مَاذا تخشى مِنَ القِيَامَةِ؟
ناوِلْني كَأْسَاً فإنَّ الليلَ على وشْكِ الْمُضي.

الصياغة الموزونة:

أيُّها السَّاقي ليسَ بالوقتِ مهْلٌ
فاغْتنِمْ فرصةَ المسرَّةِ واطْرَبْ
أيَّ شيءٍ من القيامةِ تخْشَى؟
هاتِ كأسَاً فالليلُ قَدْ كادَ يذهَبْ

- ٤٣ -

الترجمة الحرة:

قَذَفَتِ الشمسُ بحبلِ الصَّبْحِ على السَّطْحِ
وصبَّ مَلِكُ النَّهارِ خمرتَهُ في الجامِ
أشربِ السلافةَ، فإنَّ صوتَ الْمُنادي الذي تعوَّدَ الانتباهَ
في الأسحَار

ألقى دويّاً في الأيَّام: أنْ اشربوا...

الصياغة الموزونة:

مــدَّتِ الــشَّــمْــسُ الــحــبــلَ لــلآكــامِ
ثــمَّ صــبَّــتْ سُــلافَــهــا فــي الــجــامِ
ولــقــدْ نــادى بــالــصَّــبــوحِ الْمُــنــادي
مُــلــقــيــاً لــلــدويِّ فــي الأيَّــامِ

- ٤٤ -

الترجمة الحرة:

يقولونَ قدْ دنَا شهرُ «رمضان»
فما لأحدٍ بعدَ هذا أنْ يحومَ حولَ الخمرِ
أمَّا أنا فسأشربُ منها في آخرِ «شعبان»
ما لا أصحو بهِ من سَكْرَتي إلى يومِ العِيد.

الصياغة الموزونة:

قِــيْــلَ شــهــرُ الــصــيــامِ أمْــسَــى قَــرِيــبَــاً
وَسَــتــنــأى عــن ابْــنــةِ الــعُــنــقــودِ
قــلــتُ: اشــتــفُّــهــا «بــشــعــبــانَ» حــتَّــى
لا أُرَى صــاحــيــاً لــيــومِ الــعــيــدِ!

- ٤٥ -

الترجمة الحرة:

خُذْ نصيبكَ من حرَكَةِ الدَّهرِ
واطْرَبْ بكأسٍ تُمسكها بيدِكَ

إنَّ اللَّهَ غنيٌّ عن الطَّاعةِ والْمَعْصيةِ

فلا أَقلَّ من أنْ تنالَ لذاتَكَ في الدنيا

الصياغة الموزونة:

خُـذْ مـن الـعـيـشِ فـي الـسُّـرورِ نـصـيـبـاً
وتـمـتَّـعْ بـخـمـرةٍ فـي حـيـاتِـكْ
إنـمـا الـلَّـهُ عـن تُـقـاكَ غـنـيٌّ
فـتـفـرَّغْ مـنـهـا إلـى لـذاتِـكْ

القسم الثاني: في الكوز

ـ ٤٦ ـ

الترجمة الحرة:

تَعالَ تَعال رِعايةً لخاطِرِنا
وحلَّ بجمالكَ مُشكلَنا
هاتِ كوزةً من الخمرَ لَنَشرَبَها
قبلَ أنْ يصنعوا من طِينتِنا أكْوَازاً.

الصياغة الموزونة:

قُمْ وسارِعْ إلى الطَّلا واسْقِنيها
إنَّ صَبري عن الطَّلا لنْ يَجُوزا
هاتِ لي كوزةً لأشربَ مِنْها
قبلما يصنعونَ منيَ كُوزاً

ـ ٤٧ ـ

الترجمة الحرة:

كانتْ هذه الكوزةُ مثلي عاشقاً
قدْ عَلقَ مثلي بفرعِ غانيةٍ حسناءَ
وكانتْ هذهِ العُروةُ في رَقَبتِها

يَدَاً على جِيدِ إحدى الحِسَان.

الصياغة الموزونة:

لَمْ تكُنْ في قدِيْمِها هذهِ الكُوزةُ غيرَ المتيَّمِ الْمَغْمودِ
كَانتْ العروةُ التي هِيَ فيها
يَدَ صبٍّ في جِيْدِ حَسناءَ رُودِ

ـ ٤٨ ـ

الترجمة الحرة:

هو جامٌ يستحسنُهُ العقلُ
ومِنْ حبِّهِ لهُ يُقبِّلهُ في جبينِهِ مائةَ مرَّةٍ
ثمَّ أنَّ كوَّازَ الدَّهْرِ بعد أنْ يصنعَهُ، هكذا، جميلًا
يضربُ به الأرض.

الصياغة الموزونة:

هو جامٌ قد أكبرَ العقلُ ما فيهِ من الحسنِ مُطرياً والتَّمامِ
ثـمَّ أنَّ الْمتمَّ للجام صُنعاً
يضربُ الأَرض كاسِراً بالجامِ

ـ ٤٩ ـ

الترجمة الحرة:

كنتُ بالأمسِ في مصنعِ كَوَّازٍ
فرأيتُ ألوفاً من الأكوازِ بين ناطقةٍ وصامتة
وكان كلٌّ منها يقول بلسانِ حالِهِ:
أينَ صانعُ الكوزِ ومشتريهِ وبائعُهُ؟

الصياغة الموزونة:

أبْـصَـرَتْ فـوقَ الأرضِ بـالأمـسِ عـيـنـي

كـــوزةً قـــدْ تـــقـــادَمَـــتْ فـــي الـــزَّمـــانِ

كـــانَ لـــي حـــالُهـــا يـــقـــولُ لَهِـــيْـــفـــاً:

أيـــنَ مـــن بَـــاعَـــنـــي واشْـــتَـــرَانـــي؟

القسم الثالث: في التذمُّر

- ٥٠ -

الترجمة الحرة:

أيُّها الفَلَكُ الدوَّار إنَّ البؤسَ من آثارِ حقدِكَ
والظلمَ قديمٌ في شِيمتكَ
أيَّتها الأرضُ إنْ فتحوا صدرَكِ
وجدوا فيها كثيراً من الجواهرِ الثَّمينةِ.

الصياغة الموزونة:

يـا سـمـاءُ، الـعـداءُ فـيـكِ قـديـمٌ
كـمْ عـلـيـنـا تـدورُ مـنـكِ الـدَّوائـرْ؟
أيَّـهـا الأرضُ كـمْ بـصـدرِكِ إمَّـا
فـتـحـوهُ قـدِ اخـتـفـتْ مِـنْ جَـواهِـرْ

- ٥١ -

الترجمة الحرة:

كانَ اللَّهُ يومَ جَبَلَ طِيْنَتَنا
يعلمُ ماذا سيصدرُ منَّا
ليستْ ذُنوبي بغيرِ مشيئتِهِ

فلماذا يحرقُني في جهنَّم.

الصياغة الموزونة:

يَــومَ أبــدى فِــيــنــا الــحــيــاةَ الــبــاري
لــمْ يــكــنْ عــنــهُ فِــعْــلُــنــا فــي تَــوَارِي
شــاءَ أنَّــا نــجــيءُ ذَنــبــاً فَــجِــئــنــا
فــلِــمَــاذا يُــلــقــي بِــنــا فــي الــنَّــارِ؟

- ٥٢ -

الترجمة الحرة:

كثيرٌ تلكَ الدِّماءُ التي سَفَكَها الدَّهْرُ الغَشُومُ
كثيرٌ تلكَ الأزهارُ التي خرجتْ من الأرضِ ثمَّ أخذتْ تتبعثرُ بَدَداً
لا تغترْ أيُّها الغلامُ بجمالكِ والشَّبابِ
فكمْ من برعومةٍ انتثرتْ على الأرضِ قبلَ أنْ تتفتَّح؟

الصياغة الموزونة:

قــتــلــتْ هــذهِ الــســمــاءُ كــثــيــراً
وأَتَــتْ مــن بــعــدِ الــقــبــيــحِ بــأقْــبَــحْ
لا يــغــرَّنَّــكَ الــشــبــابُ فــكــمْ مِــنْ
بُــرعــمٍ رَثَّ قــبــلَ أنْ يــتــفــتَّــحْ

- ٥٣ -

الترجمة الحرة:

لَمَّا ركَّبَ المالكُ الطبائعَ

لماذا جَعَلها ناقصةً لا تفي بالْمُرادِ؟

إنْ كانتْ قدْ جاءتْ جيّدةً، فلماذا حَطَمَّها؟

وإنْ جاءتْ رديئةً، فإلى من يعودُ عيبُها؟

الصياغة الموزونة:

إنْ يــكــنْ ربُّ الأمــرِ جــاءَ مــليــحــاً

فــلمــاذا يــبــيــدُ تــلكَ الْمَــلاحــة؟

وإذا كــانَ مــا أتــاهُ قــبــيــحــاً

فـعـلى مَـنْ شَـنَـارُ تـلكَ الـقَـبَـاحـة؟[1]

ـ ٥٤ ـ

الترجمة الحرة:

أتى بي في الأوَّلِ إلى الوجودِ مُضطرِباً

ولمْ أزددْ في الحياةِ إلا حيرةً

وقدْ ذَهَبنا مُكرهينَ فلا ندري

ماذا كانَ القصدُ من الإتيانِ والذهابِ بِنا؟

الصياغة الموزونة:

بــاضْــطــرارٍ جِــئــنــا وبِــالــكــرهِ مــنَّــا

قــدْ ذَهَــبــنــا والــمــوتُ شــرُّ ســبــيــلِ

---

(١) الشنار: العيب والعار.

ليتَ شِعْري ماذا هو القصدُ مِنْ إتيانِنَا والذَّهابُ بعدَ قَليلٍ؟

ـ ٥٥ ـ

الترجمة الحرة:

وَا أَسَفاهُ فقدْ خرجَ رأسُ المالِ من أيْدِينا
ودمِيَ كثيرٌ من الأكبادِ في يدِ الْمَوْتِ
لمْ يَرجِعْ أحدٌ من الآخرةِ فَنسألَهُ
عنِ الذينَ سافروا من الدُّنيا إليها.

الصياغة الموزونة:

أخَـــذَتْـــنــا الْمَـــنُــونُ أخْـــذا وبـــيـــلا
أيُّ إنــســـانٍ لا يَـــذوقُ الْمَـــنُـــونــا
لمْ يَجِئْنا من تلْكُم الدَّارِ مَنْ نَسألُهُ عن مغبَّةِ الرَّاحِلينا[١]

ـ ٥٦ ـ

الترجمة الحرة:

ذَهَبنا وقدْ عَجبَ الدَّهرُ مِنَّا
معَ أَنَّا مِن مائةِ لؤلؤةٍ ثَقَبنَا واحِدَةً!
وا حسرتاهُ! فقدْ بَقِيَتْ ألوفٌ من المعاني الدَّقيقة
لمْ نذكُرْها بعدُ، اتقاءً لِشرِّ الْحَمْقى.

---

(١) مغبّة الأمر: عاقبته وآخرته.

الصياغة الموزونة:

قــدْ ذَهَــبــنــا وفــي الــحُــشَــاشَــةِ مِــنَّــا
حَــــسَــــرَاتٌ لِخَــــيْــــبَــــةِ الآمــــالِ
وألــــوفٌ مــــن الْمَــــعَــــانــــي دِقَــــاقٌ
لــمْ تُــقَــلْ بــعــدُ خِــيْــفــةَ الــجــهَّــالِ

- ٥٧ -

الترجمة الحرة:

ما كانَ للفَلَكِ من مجيئي نفعٌ
ولا ازدادَ من ذَهابي جاهُهُ وجلالُهُ
ولمْ تَسمعْ أذناي من أحدٍ
ماذا كانَ القصدُ من الإتيانِ والذَّهابِ بي؟

الصياغة الموزونة:

لا حياتي فيها غناءٌ ولا موتي وإنِّي لَمِنْهُما في ارتياب
لـمْ يَـقُـلْ لـي امْـرؤٌ لِمَـاذا مـجـيـئـي
ولــمــاذا بــعــدَ الــمــجــيءِ ذَهَــابــي

- ٥٨ -

الترجمة الحرة:

إلى مَتَى أعرضُ جَهَالةَ نَفْسي
ضاقَ قلبي من هذا الشَّتاتِ
أريدُ أنْ أشدَّ بوسْطي زنَّاراً مجوسيَّةً
أتدري لماذا؟ للحياءِ من إسلامي!

الصياغة الموزونة:

كـــانَ جـــهـــلًا مـــا خـــطَّـــهُ أقـــلامـــي
فـــأنَـــا لائـــقٌ بـــكُـــلٍّ مـــلامِ
لـــيـــتَ لـــي زنَّـــاراً أتـــدري لـــمـــاذا؟
لـحـيـاءٍ فـي الـنَّـفـسِ مـن إسـلامـي[1]

- ٥٩ -

الترجمة الحرة:

إنْ كنتُ سكرانَ من خمرةِ المجوسِ فَأَنا ذاكَ
أو كافراً أو مُلحِداً أو وثنيّاً فَأنا ذاكَ
لِكُلٍّ طائفةٍ ظنٌّ فيَّ.. أمّا أنا
فَمِلْكُ نفسي أكونُ كما أشاء.

الصياغة الموزونة:

كَـثـرَتْ فـي صـحـوي وسُـكـري الـظَّـنـونُ
ورمـــونـــي بـــالـــكُـــفْـــرِ والـــكُـــفْـــرُ دِيـــنُ
لا أبَـــالـــي بـــظَـــنِّـــهـــم بـــي فـــإنِّـــي
مِـــلْـــكُ نـــفـــســـي كـــمـــا أشَـــاء أكـــونُ[2]

---

(١) يلاحظ في صياغته الموزونة أنه حذف كلمة مجوسية من الزنار، ولو لم تكن الصياغة الموزونة هذه مسبوقة بصياغة حرة ترد فيها كلمة مجوسية، لما كان يمكن أن يكون المعنى دالًا على ما قصد الخيام.

(٢) مرّة أخرى حذف الزهاوي كلمات أخرى من الصياغة الموزونة، مجوسي: كافر، ملحد، وثني، واختزلها بمفردة الكفر.

- ٦٠ -

الترجمة الحرة:

لو كانَ ليْ كاللَّهِ
سلطانٌ على الأفلاكِ لأعدمتُها
وأنشأتُ عِوضَاً عنها أفلاكاً آخَر
تُمكِّنُ الإنسانَ مِنْ نَيلِ مآربهِ براحةٍ.

الصياغة الموزونة:

أنـــا لـــو كـــنـــتُ كـــالإلـــهِ قـــديـــراً
لَهَـدَمْـتُ الـسَّـمـاءَ رُكـنـاً فـرُكْـنـا
ولأنـــشـــأتُ مـــن جـــديـــدٍ ســـمـــاءً
هـي تُـعـطـي الإنـسـان مـا يَـتَـمـنَّـى

- ٦١ -

الترجمة الحرة:

لم يكنْ حاصلُ الإنسانِ في هذهِ الدُّنيا
التي هِيَ مثارُ الفِتَنِ غيرَ الهمِّ وعذابِ الرّوح
فطُوبى لِمَنْ عجَّلَ في الرَّحيلِ عنها
أوْ لمْ يكنْ قدْ جاءَ إليهَا مِنَ الأوَّل.

الصياغة الموزونة:

إنَّـــمـــا الـــدنـــيـــا دارُ هـــمٍّ وبـــؤسٍ
لـيـسَ فـيـهـا غـيـرُ الـتَّـعـاسـةِ يُـوجـدْ

سَـــعِــدَ الــمــرءُ قَــدْ تــرحَّــلَ عــنــهــا
واسَـــتـــراحَ الَّذي بِـــهَـــا مـــا تـــولَّدْ

- ٦٢ -

الترجمة الحرة:

أيُّها الوردُ أنتَ تشبهُ وجهَ الحسناءِ
وأيَّتها الخمرةُ أنتِ كياقوتةٍ تُبهجُ النَّفسَ
وأيُّها الحظُّ الْمُناوئُ أنتَ في كُلِّ الوقتِ
خصيمٌ ليْ وتظهرُ بمظهرِ الصَّديق.

الصياغة الموزونة:

أيُّـهـا الـوردُ أنـتَ تُـشبـهُ حـسـنـاءَ ويـا خـمـرُ أنـتَ كـالـيـاقـوتِ
أيُّـــهـــا الـــحـــظُّ أنـــتَ تـــعـــدو وتُـــبـــدي
خَـــلَّةً كـــالـــمـــنـــافـــقِ الـــمـــمـــقـــوتِ[1]

- ٦٣ -

الترجمة الحرة:

أيُّها الفَلَكُ أنَا غيرُ فَرحٍ بَدورانِك
أطْلِقْني من القَيْدِ فإني غيرُ جديرٍ بهِ
إنْ كانتْ رَغْبتُك في الحمقى والذين ليسوا أهلًا للفضل
فأنا أيضاً لستُ ذلكَ اللبيبَ الأهْل.

---

(١) الخَلَّة: الخصلة والطبع.

الصياغة الموزونة:

أيُّها الدَّهْرُ عِشْتُ فيكَ كئيباً
مَنَعَ الظلمُ منكَ ليْ أنْ أطِيْبا
إنْ تكنْ لا تميلُ إلا إلى الحمْقَى فإنِّي كذاكَ لستُ لَبِيْبا

- ٦٤ -

الترجمة الحرة:

زعم العدوُّ أني فلسفيٌّ
وقدْ عَلِمَ اللَّهُ إنِّي لستُ كما زَعَم
ولكنِّي إذْ وَجدْتُ نفسي في دارِ الْمِحنةِ هذهِ
فهلْ أقلُّ من أنْ أعرفَ مَنْ أنا؟

الصياغة الموزونة:

زَعَمَ القومُ إنِّي فلسفيٌّ
طالَ في استقراءِ الطبيعةِ دَرْسي
أأسمَّى كما ادَّعوا فلسفيَّاً
إنْ تفكَّرتُ في حقيقةِ نَفْسي؟[1]

---

(١) يلاحظ أنه أبدل كلمة العدو، في الصياغة الحرة، بالقوم، في الصياغة الموزونة، وكان يمكنه أن ينتقي كلمة «الخصم» مثلًا لكي يستقيم الوزن الشعري، بيد أن هذه الرباعية تقترب من روح الزهاوي في أشعاره، ورميه من «القوم» ممن حوله بالكفر والزندقة في عصره، وله أبيات كثيرة تقارب هذا المعنى كقوله:

يا قَوم مهلًا مسلمٌ أَنا مثلكم   اللَه ثُمَّ اللَه في تَكفيري

أو قوله وهو لاحق لترجمته الرباعيات:

قالوا كفرتَ ولمْ أكفرْ كما زَعَموا   أكلُّ من قال حقًّا بيننا كفرا

\- ٦٥ -

الترجمة الحرة:

مهما كانَ لوني جميلًا
وعَرْفي ذكيّاً ووجهي كالشَّقيقِ وقِوامي كالسَّروة
لا أعرفُ لِماذا
زَانني النقَّاشُ الأزليُّ.

الصياغة الموزونة:

لـــيَ وَجْـــهٌ يـــبـــدو جـــمـــيـــلًا كـــوردٍ
وقـــوامٌ يُـــبـــدي اعـــتـــدالًا كـــغُـــصْـــنِ
لـــســـتُ أدري وكـــيـــفَ أدري لـــمـــاذا
هـــكـــذا قـــدْ زانَ الْمُـــصـــوِّر حُـــسْـــنـــي.

\- ٦٦ -

الترجمة الحرة:

ليتَ لنا مَثْوى للرَّاحَةِ
أوْ لطريقِنا البعيدِ نِهَاية
ليتَ لنَا أملًا في أنْ نَنْبتَ كالعُشْبِ
مِنْ قلبِ الأرضِ بعدَ مائةِ ألفِ عام!

الصياغة الموزونة:

لَيْـــتَـــنـــا فـــي مـــكـــانِـــنـــا نـــســـتـــقـــرُّ
لَيْـــتـــنـــا فـــي الـــمـــســـيـــرِ نـــســـتـــمـــرُّ

لــيتَــنــا كــالأعــشــابِ نَــنْــبــتُ أخــرى
بــعــدَ ألــفٍ مــن الــسـنـيــنِ تــمــرُّ

- ٦٧ -

الترجمة الحرة:

إنَّ الأفلاكَ اللاتي لا يزدْنَنا غيرَ الهمَّ
لا يضعْنَنا إلا لِيُنهينا مرَّةً أخْرى.
ولو عَلِمَ الذين لمْ يأتوا بَعدُ
ماذا نُقاسي من الدَّهر لما تجشَّموا المجيء.

الصياغة الموزونة:

لــمْ تــضــعْــنــا الأفــلاكُ فــي الأرضِ إلا
نــهَــتَــنَّــا بِــقَــسْــوةٍ كــالــبُــزاةِ[1]
لــوْ درَى مَــنْ لــمْ يــأتِ بَــعْــدُ وَكِــيــداً
مــا نُــقــاســي فــي هــذهِ، لا يــأتــي

- ٦٨ -

الترجمة الحرة:

قالَ الوردُ لا وجْهَ أجملُ من وجهي
فلِمَاذا يجورُ عليَّ كلُّ هذا مُستقطري
فأجابهُ البلبلُ بلسانِ الحالِ قائلًا:
مَنْ ذا ضحكَ يوماً ولمْ يبْكِ عاماً؟

---

(١) البزاة: جمع بازي وهو طائر صيد من الجوارح.

الصياغة الموزونة:

قَالَ لِيْ الوردُ: كنتُ شيئاً جميلًا
فاقتنوا مائي وهو ليسَ جَاما
إنني قد بسمتُ في الأرضِ يوماً
ثمَّ أنِّي بكيتُ في الدَّارِ عاما

- ٦٩ -

الترجمة الحرة:

وا لهفتاهُ فقدْ طُويَ كتابُ الشَّبابِ
وتحوَّلَ ربيعُ السرورِ إلى شتاءٍ
ولا أدري متى جاءَ الطائرُ الغَرِدُ
الذي كانَ يُسمَّى شباباً، ومتى ذَهَب.

الصياغة الموزونة:

لهفَ نفسي على شبابٍ تولَّى
وربيعٍ من السرورِ تَوارى
إنَّما الطائرُ الْمُسمَّى شباباً،
بعدمَا قدْ أقامَ يهتفُ، طَارا

- ٧٠ -

الترجمة الحرة:

انظرْ كيفَ أنَّ القصرَ الذي كانَ فيهِ «جمشيد» يُمسكُ الكأسَ
هو اليومَ مولدُ الذِّئابِ ومأوى الثَّعالبِ
وكيفَ أنَّ «بهرام» الذي كانَ يتصيَّدُ الحُمْرَ الوَحْشيَّةَ

قدْ صادَهُ، أخيراً، قبرٌ!

الصياغة الموزونة:

عِبْرةً خُذْ بِقَصرِ «جمشيدَ» فهو اليومَ من بعدِ الخمرِ والطَّاسِ قفرٌ
وبـ «بـهـرامُ» الـصـائـدُ الـوحـشَ إذْ قَـدْ
صـادَهُ، فـي نِـهـايـةِ الأمْـرِ، قَـبْـرُ

- ٧١ -

الترجمة الحرة:

لمْ يكنْ حاصلُ الإنسانِ في هذِهِ الدَّارِ
ذاتِ البابَيْنِ غيرَ الألمِ وزُهوقِ الرُّوحِ
فهنيئاً لِمَنْ لم يَعشْ ساعةً
وطُوبى لِمَنْ لمْ يُولدْ من أمِّهِ.

الصياغة الموزونة:

لـيـسـتِ الـدُّنـيـا غـيـرَ دَارِ شَـقَـاءٍ
وَأسـى كُـلَّ سَـاعَـةٍ يـتـجـدَّدْ
فهنيئاً لكلِّ مَنْ لـمْ يَعِشْ فيها وطُوبى لُكُلِّ مَنْ لـمْ يُولَدْ

- ٧٢ -

الترجمة الحرة:

أتَيْنا دائرةَ الوجودِ مُتأخِّرينَ
وانْحطَطْنَا عن درجةِ الإنْسَانيَّةِ
فليتَ هَذا العُمْرِ الَّذي لا يمرُّ بحسبِ هَوانا
قَدِ انقضى فقدْ سَئِمْنَاهُ.

الصياغة الموزونة:

قَـد تَـخَـذْنَـا عِـنـدَ الْمَـجـيءِ الأَنَـاتـا
وتـبـدَّلْنـا بـالـوِفَـاق الـشَّـتَـاتـا
لـيـتَ هـذي الـحـيـاةَ تُـؤذنُ فِـيـنـا
بـانـتـهـاءٍ فـقـدْ سَـئِمْـنـا الـحَـيَـاتَـا

- ٧٣ -

الترجمة الحرة:

أيُّ نفعٍ من مجيئِنا وذَهَابنا
وأيُّ سَدى لخيوطِ عُمْرِنَا[١]
كمْ رؤوسٍ وأرجلٍ للحسانِ تَحْتَرِقْ
وَمَا هُناكَ دُخان.

الصياغة الموزونة:

نـأمـلُ الـطـولَ فـي الـزَّمـانِ جِـراصـا
أيُّ نـفـعٍ فـي أنْ يـطـولَ الـزَّمـانُ
كـمْ رؤوسٍ وأرجـلٍ لـلـحـسـانِ
تـتـلـظَّـى وَمـا هُـنـاكَ دُخـانُ.

- ٧٤ -

الترجمة الحرة:

أيُّها الفَلَكُ أنْتَ في كلِّ وقتٍ

(١) السَدى: النسيج.

تغمُّ قلبي وتمزِّقُ ثوبَ سُروري
تجعلُ الماءَ الذي يهبُّ عليَّ نَاراً
والماءَ الذي أشربُهُ، تُراباً في فمي.

الصياغة الموزونة:

أيُّـــهـــا الـــدَّهـــرُ قـــدْ أطـــلْـتَ شـــقـــائـــي
فـــإلـــى كـــمْ تـــســـومُ قـــلـبـــي عَـــذابـــا
تـــجـــعـــلُ الـــرِّيـــحَ بـــيْ تـــمـــرُّ شـــواظـــاً[1]
يـــتـــلـــظَّـــى ومـــاءُ شُـــربـــي تُـــرابـــا

---

(١) الشواظ: اللهب الذي لا دخان له.

القسم الرابع: في العظة والأخلاق

ـ ٧٥ ـ

الترجمة الحرة:

كانَ قبلُكَ وقبلي ليلٌ ونهارٌ،
وكانَ الفَلَكُ يجري لغايةٍ
خفِّفِ الوطءَ على الأرضِ
فقدْ كانَ ما تطأهُ إنسانَ عينٍ حسناء.

الصياغة الموزونة:

كــانَ لــيــلٌ مِــنْ قَــبــلِنــا ونــهــارٌ
ونـــجـــومٌ تـــلجُّ بـــالـــدورانِ
رُبَّ أرضٍ وَطِـئـتَـهـا هِـيَ كـانـتْ
عَـيْـنَ حَـسْـنـاءَ فِـي قـدِيـمِ الـزَّمـانِ

ـ ٧٦ ـ

الترجمة الحرة:

ذَهَبَتْ أيَّامُ العمرِ قليلةً كالْماءِ في الوادي
والرِّيحِ في الصَّحْراءِ
أنا لا أحفلُ بيومَيْنِ من الأيَّام

اليومِ الذي لَمْ يأتِ واليومِ الذي مَضَى.

الصياغة الموزونة:

ذَهَـــبَ الـــعـــمـــرُ مـــثـــلَ مـــاءٍ بـــوادٍ
أو كـــريـــحٍ مـــرَّتْ عـــلى الـــفَـــلَواتِ
لـمْ أفكِّرْ في كُلِّ عُمري بيومين: يومٍ مضى ويومٍ يأتي

- ٧٧ -

الترجمة الحرة:

إذا وفَّى الغريبُ فهو قَريبي
وإذا جفاني القريبُ فهْوَ عَدوِّي
وإذا لاءَمَني السمُّ فهو دِرياقي[١]
وإذا خالفَني الدِّرياقُ فهو سمِّي.

الصياغة الموزونة:

إنْ وفَّـى لـي الـغـريـبُ فـهـو قَـريـبـي
أو جـفـانـي الـصـديـقُ فـهـو عـدوِّي

---

(١) الدرياق هو الترياق نفسه، كما جاء بالأصل الفارسي من الرباعية وهو: دواء السموم، فارسيٌّ معرّب. والعربُ تسمّي الخمر تِرياقاً وتِرياقةً، لأنّها تذهب بِالهمّ. ومنه قول الأعشى:

سَـقَـتْـنـي بـصَـهْـبـاءَ تِـرياقَـةٍ   مـتـى مـا تُـلَيِّنْ عِـظـامـي تَـلِنْ

ورغم أن الجوهريَّ يرى في «الصحاح» أن الدرياق لغة في الترياق، إلا أن الزهاوي فضَّلَ استخدام الدرياق، ربَّما استناداً إلى قول الأزهري في «تهذيب اللغة» إنه لا يقال ترياق بل درياق.

ربَّ سُمٍّ فيهِ شِفائي ودِرياقٍ أرى الموتَ منهُ لي في دُنوِّ

ـ ٧٨ ـ

الترجمة الحرة:

الحسنُ أنْ يُعاملَ الصديقُ والعدوُّ بالحُسْنى
وهلْ يأتي الشرَّ من جُبِلَ على الخير؟
أنتَ إنْ أسأتَ إلى الصديقِ جَعلْتَهُ عَدوَّك
وإنْ أحْسنتَ إلى العدوِّ جعلتَهُ صديقَك.

الصياغة الموزونة:

عـامـلِ الـنَّـاسَ بـالـولاءِ جَـمـيـعـاً
مَـنْ يُـسـئْ فـهـو بـالـمـلامِ خَـلـيـقُ
فـإذا كِـدْتَ فـالـصـديـقُ عـدوٌ
وإذا جُـدْتَ فـالـعـدوُّ صـديـقُ

ـ ٧٩ ـ

الترجمة الحرة:

أيُّها القلبُ هبْ أنَّ جميعَ أسبابِ الدُّنيا حصلَتْ لك.
وإنَّ روضةَ أفراحِكَ قدْ أعْشَبتْ
وإنَّكَ كَالطلِّ قد بتَّ ليلةً
فوقَ العُشبِ ثمَّ فارقتَهُ في الصَّباح.

الصياغة الموزونة:

أيُّها القلبُ هبْ ربيعَكَ قد زِيْنَ بزهرٍ من نرجسٍ وأقاحِ
وعلى الزَّهرِ ليلةً بتَّ كالطلِّ وفارَقْتَهُ بوقتِ الصَّباحِ

- ٨٠ -

الترجمة الحرة:

لا تسلْ عنْ حادثِ الزَّمانِ الآتي
وعنْ كُلِّ ما يُصيبُكَ منهُ لأنَّهُ لا يدومُ
اغْتَنِم السَّاعةَ التي أنْتَ فيها
ولا تفكِّرْ في ما مضى ولا تحفلْ بما يأتي.

الصياغة الموزونة:

ما مَضى فاتَ والَّذي سَوفَ يأتي
مختفٍ في غَياهِب الشُّبهَاتِ
اغْتنِمْ بوقتِكَ الذي أنتَ فيهِ
ثُمَّ لا تحتفلْ بماضٍ وآتِ

- ٨١ -

الترجمة الحرة:

أُبصرُ على بساطِ التُّرابِ رَاقدين
وتحتَهُ مُختفينَ
وكلَّما نظرتُ إلى صَحراءِ العَدم
أبصرتُ قادمينَ وذاهبين.

الصياغة الموزونة:

أَنَــا فَــوقَ الــثَّــرى أَرَى رَاقِـــدِيـــنَـــا
وَأَرَى تَــحــتَ وجْــهِــهــا مُــخْــتَــفِــيــنَــا
وإلـــى الـــلا وجــودِ أرســـلُ طَـــرفـــي
فـــأرَى الـــقَـــادمـــيـــنَ والـــذاهِـــبـــيـــنَـــا

ـ ٨٢ ـ

الترجمة الحرة:

لا تحملْ في قلبِكَ همَّ الدُّنيا الزَّائلةِ
وَطِبْ نَفْساً بساعةٍ لكَ تُقَّضيها في السُّرور
لو كانَ في طبيعةِ الدُّنيا وفاءٌ
لَمَا انْتَقَلتْ إليكَ من الآخرين!

الصياغة الموزونة:

هِـــيَ دُنـــيـــا مـــا إنْ لـــهـــا مِـــنْ ثَـــبـــاتِ
فَـــتَـــمَـــتَّـــعْ بِـــالـــرَّاحِ بَـــيـــنَ يـــديـــكـــا
إنَّـهـا لـو وَفَـتْ لَمَـا انْـتـقـلَـتْ قـطُّ مـن الآخـريـنَ يَـوْمـاً إلـيـكـا

ـ ٨٣ ـ

الترجمة الحرة:

ألا تخجلْ من هذا الطَّيشِ
وَعَبثِكَ بالأوامرِ والنَّواهِي؟
هَبْ أنَّ الدُّنيا صارتْ بأسرِها لكَ
أتستطيعُ في آخرِ الأمْرِ غيْرَ تركِها للآخرين؟

الصياغة الموزونة:

أنــتَ فــي الــواجــبــاتِ قــصَّــرتَ عُــمــراً
أفــلا تَــشــتــحــي مــن الــتَّــقــصــيــرِ
هــبْ جــمــيــعَ الــدُّنــيــا أتــتْ لــكَ مِــلْــكــاً
أتَــرى غــيْــرَ تَــرْكِــهــا فــي الأخــيــرِ

ـ ٨٤ ـ

الترجمة الحرة:

هبْ أنَّ الدنيا جرتْ كما تريدُ فماذا بعدَ ذلك؟
وإنَّ صحيفةَ عُمركِ قدْ قُرئتْ فماذا بعدَ ذلك؟
وإنَّكَ عِشْتَ مائةَ عامٍ سعيداً
فَماذا بعدَ ذلك....؟

الصياغة الموزونة:

هــبْ جــمــيــعَ الــدُّنــيــا أتــتْ لــكَ عــفــواً
وأفــــادَتْ وإنَّ نــــجــــمَــــك ســــعــــدُ
وافــتــرضْ أنْ قــدْ عِــشْــتَ مــائــةَ عــامٍ
وبَــــلَغْــــتَ الْمُــــنــــى فــــمَــــاذا بــــعــــدُ؟

ـ ٨٥ ـ

الترجمة الحرة:

كانتْ كلُّ ذرَّةٍ على الأرضِ في حِيْنها
جزءاً من وجْهِ فتاةٍ جميلةٍ كالزَّهرةِ
انْفُضْ بِرِفْقٍ الغبارَ عنْ وجهِ الحسناءِ

فإنَّهُ كانَ وجْهَ حسناءَ أُخْرى.

الصياغة الموزونة:

يـا يـدَ الْمـاشِـطـاتِ حَـسْـنَـاءَ رُوْداً
مُـشْـبـهـاً وجـهُـهـا مـن الـحـسْـنِ زَهْـرا
الـغـبـارَ انْـفُـضِـيْـهِ عـنـهُ بـرفْـقٍ
فـلـقـدْ كـانْ وجـهَ حَـسـنـاءَ أخـرى

- ٨٦ -

الترجمة الحرة:

انظرْ كيفَ تمزَّقَتْ أذيالُ الورْدِ بهبوبِ الصَّبا
وكيفَ يَطْرَبُ البلبلُ بجمالِهِ
إجْلسْ في ظلِّ الوَرْدِ
فكثيراً ما خرجَ هذا الوردُ من الترابِ وعادَ إليه.

الصياغة الموزونة:

إنَّ هذا الوردَ الذي قد تفيَّأْتَ وقد جاءَ بالأريجِ يجودُ
قَـدْ بَـدا مِـنْ هَـذا الـتُّـرابِ كَـثـيـراً
وكـثـيـراً إلـى الـترابِ يَـعـودُ.

- ٨٧ -

الترجمة الحرة:

العُتَقاءُ والجُدُدُ
كلُّهمْ بَعدَ أنْ جاءوا، يَذهبونَ واحِداً واحِداً
لا تبقى هذهِ الدُّنيا القديمةُ دائمةً لأحَدٍ.

ذَهبوا وسيذهبونَ ثُمَّ يأتونَ ويذهبون.

الصياغة الموزونة:

إنَّــمــا الــنــاسُ أجــمــعــيــنَ كــمَــا قــدْ
هــلــكَ الــنَّــاسُ قَــبــلهُــمْ يَــهْــلَكــونْ
أمــمٌ قــدْ أتــتْ فــمــا كــانَ لَبْــثٌ
ثــمَّ يــأتــونَ ثُــمَّ لا يــلــبــثــونْ

ـ ٨٨ ـ

الترجمة الحرة:

إلى كمْ أنْتَ تصبو إلى اللونِ والرَّائحَةِ؟
وتركضُ وراءَ كُلِّ رديءٍ وجيِّدٍ
ستغورُ في باطنِ الأرْضِ
حتَّى لو كنتَ ماءَ زَمزمٍ أو ماءَ الحياةِ.

الصياغة الموزونة:

كــمْ إلــى الــلون والــرَّوائــحِ تــصــبــو
وتــرومُ الأخــبــاثَ والــطَّــيِّــبــاتِ
أنتَ يوماً تغورُ مُختفياً في الأرضِ حَتَّى إنْ كُنْتَ ماءَ الحياةِ

ـ ٨٩ ـ

الترجمة الحرة:

أيُّها القلْبُ قَدْ غمَّكَ الدَّهْرُ وسيفارِقُ جسدُكَ الرُّوحَ.
فالأولى أنْ تجلسَ فوقَ العشبِ،
وتعيشَ رَغداً عليهِ بضعةَ أيَّامٍ

قبلَ أنْ ينبتَ العُشْبُ من تُرابك.

الصياغة الموزونة:

أيُّــهــا الــقــلبُ مَــضَّــكَ الــدَّهــرُ غــمَّــاً
أنــتَ فــي يــومِ مــيِّــتٌ فــي عــذابِــكْ
اتــخــذْ مَــقــعــداً مــن الــعُــشْــبِ وانْــعَــمْ
قَــبــلَمَــا يــنــمــو نَــابِــتَــاً مــن تــرابِــكْ.

- ٩٠ -

الترجمة الحرة:

سواءٌ في نَظرِ المحقِّقين: الجميلُ والقبيحُ.
ونَظَرِ العارفينَ: الجنَّةُ والنَّارُ
ونَظرِ الذين ماتَتْ قُلوبُهم: القشيبُ من الثيابِ والرثُّ
ونَظَرِ العاشقينَ: الوسادةُ تحتَ رؤوسِهْم والحَجَر.

الصياغة الموزونة:

فــي عُــيُــونِ الــمــحــقِّــقــيــنَ ســواءٌ
أجــنــانٌ مــكــانُــهُــمْ أمْ جَــحــيــمُ.
حَــسَــنٌ يَــسْــمــعــونَــهُ أو قــبــيــحٌ
وجــمــيــلٌ يَــرَونَــهُ أو دَمــيــمُ.

- ٩١ -

الترجمة الحرة:

لا تضرنَّ بإنسانٍ ما استطَعْتَ
ولا تُجْلِسْ أحداً على نارِ غَضبِك.

وإذا أردْتَ سلاماً دائماً
فاقبلْ أذى نفسِكَ ولا تُؤذِ أحَداً.

الصياغة الموزونة:

إنْ تــحــاوِلْ أنْ تــســتــريــحَ فــجــامِــل
كُــلَّ مــن جــامَــلَ الْمــخــاصــمِ بَــذا[1]
ســـالـــمِ الـــنَّـــاسَ أنْ أردْتَ ســـلامـــاً
إنَّ مَـــنْ يـــؤذي غـــيْـــرَهُ يـــتـــأذَّى.

ـ ٩٢ ـ

الترجمة الحرة:

ليسَ من الموجودِ في اليدينِ شيءٌ
ولا في المعدومِ نقصٌ وصدعٌ
فلكَ أنْ تفرضَ كُلَّ موجودٍ في العالمِ معدوماً
وكُلَّ معدومٍ موجوداً.

الصياغة الموزونة:

افـرضِ الـشـيءَ الـذي هـو مـوجـودٌ ولَمَّـا تـفـزْ بـه مَـفـقـودا
واحسبنَّ الشيءَ الذي هوَ مفقودٌ، وقدْ رُمْتَ نَيْلَهُ، مَوجودا

ـ ٩٣ ـ

الترجمة الحرة:

أتدري لماذا ينوحُ الدِّيكُ كُلَّ صباح؟

---

(١) بذا: سبق وغلب.

إنَّهُ يقول:
قدْ مضتْ ليلةٌ من عُمركَ
وأنتَ لا تدري.

الصياغة الموزونة:

إنَّــمــا الــدِّيــكُ قــائــلٌ بــصــيــاحٍ
مِــنــهُ شــبــهُ الــنَّــحــيــبِ قَــبْــلَ الــنَّــهــارِ
قــدْ مــضــتْ لــيــلــةٌ مــن الــعُــمْــرِ أخــرى
فــي غــضــونِ الــكَــرى ومــا أَنْــتَ داري

ـ ٩٤ ـ

الترجمة الحرة:

إنَّ كُلَّ شقيقةٍ في الصَّحراءِ
هي دمُ أحدِ الْمُلوكِ
وَكُلُّ بنفسجةٍ تنبتُ في الرِّياضِ
قدْ كانتْ خالًا في وجنةِ إحدى الحسان.

الصياغة الموزونة:

كــانَ هــذا الــشَّــقــيــقُ مــن قــبــلِ حــيــنٍ
دمَ مَـــلْكٍ فـــي الأرضِ ذي سُـــلــطـــانِ
وكذا كانتِ البنفسجةُ الزَّرقاءُ خالًا بوجْهِ إحْدى الحسانِ

ـ ٩٥ ـ

الترجمة الحرة:

كُنْ حِماراً معَ الذين يزعمونَ لجهلِهِمْ

أنَّهم فريدو دَهْرِهم في المعرفة
فإنَّهُم يرمونَ بالكُفْرِ
كلَّ مَنْ لا يكونُ على شاكلتِهِمْ حِماراً.

الصياغة الموزونة:

كُنْ حماراً مع الأُلى زَعموا أنَّ لهمْ في كلِّ العلومِ اقتدارا
مــن حــمــيــرٍ يــكــفِّــرونَ بــجــهــلٍ
كُــلَّ إنــســانٍ لا يــكــونُ حِــمــارا!

- ٩٦ -

الترجمة الحرة:

قسَّمَ الخالقُ بالعدْلِ الرِّزْقَ
فلا يزيدُ مِثقالَ ذرَّةٍ ولا يَنقُص
فيجبْ أنْ تستريحَ من كلِّ ما هو معدوم
وتتحرَّرَ من كلِّ ما هو موجود.

الصياغة الموزونة:

إنَّما الرِّزقُ لا يزيدُ ولا يَنقُصُ مهما ذَمَمْتَهُ أو حِدْتَا
استــرحْ مــن جــمــيــعِ مــا لــمْ تَــجِــدْهُ
وتــحــرَّرْ مــن كُــلِّ مــا قــدْ وَجَــدْتــا

- ٩٧ -

الترجمة الحرة:

إذا ذَهبَ من جَسَدينا رُوحي ورُوحُك
يضعونَ آجرَّتين أو ثلاثةً على قَبْرينا

ثُمَّ يصبُّونَ ترابَنا في قالبٍ
ليصنعوا منهُ آجرَّاً لقبورِ الآخرين!

الصياغة الموزونة:

إنْ هَـلكْـنَـا حَـثَـوا عـلى الـوجْـهِ مـنَّـا
مـن ثَـرَىً كـانـتْ مِـثـلَنـا إنْـسَـانـا
ثـمَّ يَـحْـثُـونَ بـعـدَمـا نـحـنُ نَـبـلى
مـن ثَـرَانـا عـلى وجـوهِ سِـوانـا

القسم الخامس: في الحكمة والشك

ـ ٩٨ ـ

الترجمة الحرة:

لا تعزونَّ إلى الفَلَكِ
الخيرَ والشرَّ اللذين هما من غريزةِ الْبَشَر
والفرحَ والغمَّ اللذين هما من القضاءِ والْقَدَر
فإنَّهُ أعجزٌ مِنْكَ ألفَ مرَّة.

الصياغة الموزونة:

أنَّما الهمُّ والسرورُ وهذا الخيرُ كُلُّ ذلكَ مُوعزْ
لا تَحِلْهَا إلى السَّماءِ بجهلٍ
إنَّها ألفُ مرَّةٍ مِنْكَ أعجزْ.

ـ ٩٩ ـ

الترجمة الحرة:

لو عرفَ المرءُ سرَّ الحياةِ كما هي
لعرفَ بعدَ الْموتِ كذلكَ أسرارَ اللاهوت
أنتَ اليوْمَ مع نفسِكَ ولا تعرفُ شيئاً
فكيفَ تَعرِفُ إذا فقدْتَ نفسَك في غدٍ؟

الصياغة الموزونة:

أنــتَ لــوْ كــنــتَ فــي الــحــيــاةِ خَــبــيــرا
لــعــرفْــتَ الــذيَ لــدى الــمــوتِ يــجــري
أنتَ في هذا اليومِ حيٌّ ولا تدري فَتِيلًا فكيفَ إذا متَّ تَدري(١)

- ١٠٠ -

الترجمة الحرة:

إنَّ الذينَ أحاطُوا بالعلمِ والآدابِ
فكانوا سُرجَاً منيرةً للأصحابِ
ما وَجَدوا طريقاً للخروجِ من هذا الليلِ البهيمِ
وفي النِّهايةِ قَصُّوا قصَّةً وَنَاموا.

الصياغة الموزونة:

إنَّ أهلَ العُلومِ قدْ قدحوا بالفِكْرِ زَنداً فلمْ يَخفّ الظَّلامُ
لــم يــروا مَــخْــرَجــاً مــن الــليــلِ يُــنــجــي
ولــقــدْ قــصُّــوا قــصَّــةً ثُــمَّ نَــامُــوا

- ١٠١ -

الترجمة الحرة:

إنَّ العقْلَ الَّذي يسيرُ في طريقِ السَّعادةِ
يقولُ لكَ كلَّ يومِ اغتنمْ وقتَكَ هذا

---

(١) الفتيل: الشقُّ الصغير كخيط في النواة، ويستعار للدلالة على القلة، وفي سورة الإسراء ٧١: «ولا يُظلمونَ فَتيلا»

فأنْتَ لستَ ذلكَ الكرَّاثَ الذي
إنْ حَصَدُوهُ نَبَتَ مرَّةً أُخْرَى!

الصياغة الموزونة:

اغْتَنِمْ فُرصةَ الحياةِ وخُذْ باللهْوِ وانْعَمْ فالعمرُ إنْ مرَّ، مرَّا
لـســـتُ ذاكَ الَّذي إذا حَـــصَـــدُوهُ
مَـــرَّةً كـــالــكــرَّاثِ يــنــبــتُ أخْـــرى

- ١٠٢ -

الترجمة الحرة:

كمْ لَعبُوا بالتُّرابِ
حتَّى صوَّروا مِنْهُ صُورَتي
أَنَا لا أقْدرُ أنْ أكونَ خيرَاً منِّي
فأنَّهُمْ هَكذا من الكورِ أفْرَغُوني

الصياغة الموزونة:

لَعِـــبـــوا بـــالـــتـــرابِ دَهْـــراً إلـــى أنْ
جَـبَـلوا مـنـهُ فـي الـنِّـهـايـةِ طِـيـنـي
أَنَـــا مـــا إنْ أكـــونَ أحـــســـنَ مـــنِّـــي
فـــمـــنِ الـــكـــورِ هـــكـــذا أفـــرغـــونـــي[1]

---

(١) الكور: الفرن الذي تصهر فيه المعادن.

- ١٠٣ -

الترجمة الحرة:

هُناكَ قومٌ مُتفكِّرونَ في الْمَذاهبِ والأدْيانِ
وجماعةٌ متحيِّرونَ بينَ الشكِّ واليقينِ
وإذا بِمُنَادٍ قدْ خَرجَ من مَكْمنهِ قائلًا:
أيُّها الضَّالونَ ليسَ الطَّريقُ ذاكَ ولا هذا!

الصياغة الموزونة:

فئةٌ في اليقينِ والشكِّ هَاموا
وفريقٌ بالدِّينِ رَاموا لَواذا
وإذا صائِحٌ يقولُ مُشيراً:
ليسَ ذاكمْ هُو الطَّريقُ ولا ذا

- ١٠٤ -

الترجمة الحرة:

لا أَنْتَ تعرفُ أسرارَ الأزَلِ ولا أَنَا
لا أَنْتَ تَقرأُ هذا اللغْزَ ولا أَنَا
إنَّ وراءَ السِّتارِ لحديثاً عنِّي وعنْكَ
فإذا ارْتفعَ السِّتارُ فلا أنْتَ تبقى ولا أَنَا.

الصياغة الموزونة:

إنَّ خلفَ السِّتارِ عنكَ وعنِّي
لحديثاً على الْمَسَامعِ يُلقى

فإذا ما انطوى السِّتارُ فلا أنْتَ عليهِ تَبقى ولا أَنا أَبْقى

ـ ١٠٥ ـ

الترجمة الحرة:

نحنُ الذينَ يشترونَ كلتا الخمرتينِ الْمُعتَّقةَ والجديدةَ
ثمَّ يبيعونَ الجنَّةَ بِشَعِيرتينِ
تقولُ: إلى أينَ أذهبُ بعدَ الموتِ؟
هاتِ لي خمرةً واذهبْ إلى حيثُ تَشاء.

الصياغة الموزونة:

أنا لا اشتري الجنانَ بِفِلْسٍ
وتبيعُ الدُّنيا بأُخْرَاكَ أنْتا
قلتَ: مِنْ بعدِ الموتِ أين ذَهابي؟
هاتِ خمراً واذهبْ إلى حيثُ شِئْتَا.

ـ ١٠٦ ـ

الترجمة الحرة:

لا بَدَاءةَ ولا نهايةَ للدَّائرةِ
التي جِئنا مِنْها والَّتي نَذهبُ إليْهَا
ولمْ تسمعْ أذنايَ مِنْ أَحدٍ يقولُ:
من أينَ جئنا وإلى أين نحنُ ذاهبونَ؟

الصياغة الموزونة:

ما لهذا الوجودِ من أولٍ أوْ
أخرٍ فافتكرْ بهِ وتَعجَّبْ

لَيْـتـنـي عـلمْـتُ مِـن أيـنَ جِـئـنـا
وإلـى أيـنَ، بـعـدَ حـيـنٍ، سـنـذهـبْ

- ١٠٧ -

الترجمة الحرة:

لا يعرفُ بآلة العقلِ
ومقياسِ القياسِ
مبدأُ حركةِ هذا الفَلَكِ المذهَّبِ
ومُنتهى خَرابِ هذا البناءِ الجيِّدِ الأساس.

الصياغة الموزونة:

ليسَ تدري العقولُ مبدأَ هذا الكونِ والْمُنتهى فيا للعقولِ
مـن سـمـاءٍ فـيـهـا نـجـومٌ وأرضٍ
جـمـعـتْ بـيـنَ تـافـهٍ وجـلـيـلِ

- ١٠٨ -

الترجمة الحرة:

أنَّ تلكَ النجومَ اللائي يتكوَّرنَ في الأفلاكِ فيزيِّنَّ الدهرَ
يأتينَ ويذهبنَ ثمَّ يأتينَ معَ الزَّمانِ
وفي ذيلِ السَّماءِ وجيبِ الأرضِ
خَلقٌ يُولدونَ ما لمْ يَمِت اللَّهُ!

الصياغة الموزونة:

أمـمٌ قـدْ بـادتْ وعـادتْ وبـادتْ
ثُـمَّ عـادتْ لا تـسـأمُ الـتِّـكـرَارا

إنَّ خـلقـاً يـحـيـونَ فـي الأرضِ مـا لـمْ
يـــمِـــتِ الـــلَّهُ يُـــولـــدونَ مِـــرَارا.

ـ ١٠٩ ـ

الترجمة الحرة:

إنَّ الذين أَحْسنوا فهمَ الْمَعاني
تكلَّموا كَثِيراً في ذاتِ اللَّهِ
ولمْ يعرفْ أحدٌ منهم السرَّ
إنما هَذروا أوَّلًا وناموا أخيرَاً..

الصياغة الموزونة:

قـــالَ أهـــلُ الـــحـــجـى بـــربٍّ قـــديـــرٍ
وأطـــالـــوا فـــي ذاتِـــهِ الـــتَّـــفـــكـــيـــرَا
ثُـــمَّ لـــمْ يـــعـــرفـــوا حـــقـــيـــقـــتَـــهُ بـــلْ
هـــــذروا أوَّلًا ونـــــامُـــــوا أخِـــــيـــــرَا

ـ ١١٠ ـ

الترجمة الحرة:

يقولونَ: هناكَ جنَّةٌ وحورٌ عِيْن
وخمرٌ ولبنٌ وعسلٌ
وإذا حقَّ ذلكَ فلا تثريبَ عَليْنا
من عِبادةِ الخمرِ والمعشوقة.

الصياغة الموزونة:

إنَّــهــم قــدْ قــالــوا هُــنــاكَ جــنــانٌ
لــكَ فــيــهــا خــمــرٌ وحــورٌ عِــيْــنُ
فــاتــخــذْ فــي دنــيــاكَ خــمــراً وحُــوراً
مــثــلَمــا فــي أُخْــراك ســوفَ يــكــونُ!

- ١١١ -

الترجمة الحرة:

أمَرَ أنْ أفرَّ ممَّا لا محيصَ ليْ منْهُ
وقدْ بقيتُ عاجزاً بينَ أمرِهِ ونهيِهِ
فهْو كمَنْ يقولُ:
أقلب الكأسَ ولا تُرِقْ ما فيه!

الصياغة الموزونة:

أمــرَ الــنــاسَ بــاجــتــنــابِ الــمــعــاصــي
وهْــو فــي الــوقــتِ نــفــســهِ يُــغــريــهــا
إنَّ هَذا كمنْ يقولُ: اقلبِ الكأسَ بأمريْ ولا تُرِقْ ما فيها.

- ١١٢ -

الترجمة الحرة:

كنتُ تسألُ: ما نقشُ المجازِ هذا؟
وإذا قلتُ الحقيقةَ فالشرحُ يطولُ
إنَّما هو فقاعةٌ ظهرتْ
في وجهِ بحرٍ خضمٍّ ثمَّ رجعتْ إليه.

الصياغة الموزونة:

إنَّ ذاكَ النَّقْشَ الذي وقعَتْ عينُكَ يوماً بينَ النقوشِ عليهِ
لــيــسَ إلا فــقــاعــةً ظــهــرتْ فــي
وجــهِ بــبحــرٍ طَــمــا وآلــتْ إلــيــهِ

القسم السادس: في العشق

ـ ١١٣ ـ

الترجمة الحرة:

الشعرُ عنوانُ دفترِ المعاني
وبيتُ قصيدةِ الشباب
أيُّها الجاهلُ للعشقِ
أعلمْ بأنَّ الحياةَ هي العشق.

الصياغة الموزونة:

إنَّـمـا الـعـشـقُ فـي الـشـبـابِ جـلاء
لـحـيـاةِ الـفـتـيـانِ والـفـتـيـاتِ
أيُّها الغافلُ البعيدُ عن العشقِ تعشَّقْ فالعشقُ كلُّ الحياةِ

ـ ١١٤ ـ

الترجمة الحرة:

في شَيْبي أخَذَني عِشقُكَ في شرْكِهِ
وإلا ما مَدَدْت يدي إلى كأس الحميَّا
إنَّ التوبةَ التي وهبني إيَّاها العقلُ سلبها الحبيبُ
وذلكَ الثوبُ الذي خاطَه الصبرُ مزَّقتهُ الأيَّام.

الصياغة الموزونة:

إنَّــمــا الــتــوبــةُ الــتــي جــاءَ عــقــلي
سَــلَبــتْــهــا حــبــيــبــتــي بــالــتــمــامِ
والــقــمــيــصُ الــذي لــه خــاطَ صــبــري
مــــزَّقــــتــــهُ حــــوادثُ الأيــــامِ

- ١١٥ -

الترجمة الحرة:

أريدُ أنْ أفضِي إليكَ بِخَبَرٍ
واختصرَ القولَ في كِلْمَتينِ:
سأدخلُ الترابَ مع عِشقِكَ
وأخرُجُ منهُ مَعَه!

الصياغة الموزونة:

إنَّــنــي الــطَّــائِرُ الــذي كــلَّ يــوم
بِــهــوى مــن أَحَــبَّ قَــلْبــيَ أشــدو
فَــمَــعَ الــعِــشْــقِ فــي الــترابِ سأُخْــفَــى
ومَــعَ الــعــشــقِ مــنــهُ أظــهــرُ بــعــدُ

القسم السابع: في ما خاطب به الله

ـ ١١٦ ـ

الترجمة الحرة:

أنا في حربٍ دائمةٍ مع نفسي أتألَّمُ من أعمالي
هَبكَ عفوتَ عنِّي بكرمِكَ ولكنْ
ماذا أفعلُ بخجلي
مِنْ أنَّكَ رأيتَ ما كنتُ آتيه!

الصياغة الموزونة:

أنــا فــي حــربٍ مُــرَّةٍ مــع نــفــســي
أنــا مِــمَّــا قــدَّمــتُــهُ نــدمــانُ
هَــبْــك يــومــاً عــفــوتَ عــنِّــي ولــكــنْ
أنــا، مِــمَّــا أتــيــتُــهُ، خــجــلانُ

ـ ١١٧ ـ

الترجمة الحرة:

قلتَ: إنِّي سوفَ أعذِّبُكَ
فما زادَني قولُكَ هذا خشيةً
فإنَّ المكانَ الذي أنتَ فيهِ لا يكون فيهُ عذاب.

وأينَ المكانُ الذي أنتَ لستَ فيه؟

الصياغة الموزونة:

قُــلْتَ: إنِّــي مــعــذِّبٌ لــكَ فــارْهَــبْ

لــيــتَ شــعــري أيــنَ الــعــذابُ يــكــونُ؟

مِــنْــكَ لا يــخــلو فــي الــوجــودِ مــكــانٌ

وأنــا حــيــثــمــا تــكــونُ مــصــونُ

ـ ١١٨ ـ

الترجمة الحرة:

أنا عبدُك العاصي فأينُ رضاؤك؟

أنا المظلمُ قلبُه فأينَ نورُكَ وصفاؤكَ

إنْ كنْتَ تَهِبُنا الجنَّةَ بالطاعةِ لكَ

كانَ ذلكَ بَيعاً فأينَ فضلُكَ وعطاؤك؟

الصياغة الموزونة:

أنــا عــاصٍ فــأيــنَ مــنــكَ الــرِّضــاء؟

أنــا داجٍ فــأيــنَ مــنــكَ الــضِّــيــاءُ؟

أنَّما وقفةُ الجنانِ على الطاعةِ بيعٌ فأينَ مِنْكَ العطاءُ؟

ـ ١١٩ ـ

الترجمة الحرة:

أنتَ جَبَلْتَنِي من ماءٍ وطِيْن فأنَا مَاذا أفعل؟

وأنتَ غَزَلْتَ صُوفتي فأنَا مَاذا أفعل ؟

أنتَ كتبتَ علينا كلَّ ما يظهرُ من

من خيرٍ وشرٍّ فأنَا مَاذا أفعل ؟

الصياغة الموزونة:

أنتَ مَنْ أنشأتَنا وشِئتَ لنا عصيانَ ما أمَرْتَنا فَعَصَيْنا
كلٌّ ما نأتِيْهِ من الخيرِ والشرِّ فأنْتَ الذي كتبْتَ عَلَيْنَا

- ١٢٠ -

الترجمة الحرة:

قلْ لي: مَنْ ذا الذي لَمْ يُذنبْ في دُنياه؟
أو مَنْ ذا أستطاعَ أنْ يعيشَ من غيرِ ذَنبٍ يأتيه؟
إذا كنتَ تُحزيني على سيّئتي بسيّئةٍ
فما هو الفرقُ بيني وبينَك؟

الصياغة الموزونة:

أيَّ إنسانٍ لم يجئ قطّ ذَنباً
كيفَ عاشَ الذي زَكَا وتوقَّى
إنْ تكافِئْ سُوئي بسوءٍ فقُلْ لِيْ
أيُّ فرقٍ بيني وبينَكَ يَبْقَى؟

- ١٢١ -

الترجمة الحرة:

تضعُ الأشْراك في ألفِ مكانٍ من طريقي
وتقولُ: إذا وطِئتها فإنّي مُهلكُك
لا تخلو ذرَّةٌ في العالمِ من جبَرُوتِك
أنتَ تُجبرني وأنتَ تسمِّيني بالعاصي!

الصياغة الموزونة:

في طريقي وضعْتَ ألفاً من الأشراكِ حتَّى استحال منها مناصي
إنَّ عصياني كان مِنْكَ بِجَبْرٍ فلماذا سَمَّيتَني بالعاصي؟

- ١٢٢ -

الترجمة الحرة:

ليس لِكُنْهِ عَقلي قابليةُ إثباتِك
فلا أفتكرُ إلا في مُناجاتِك
أنا لا أعرفُ ذاتَك كما هي
إنَّما ذاتُكَ تعرفُ ذاتَك.

الصياغة الموزونة:

إنَّ عقلي لا يستطيعُ وإنْ حاولَ عُمراً في نفْسِهِ إثباتَكْ
أنا مالِي بِكُنْهِ ذاتِكَ عِلْمٌ
إنَّما الذاتُ مِنْكَ تَعرِفُ ذاتَكْ

- ١٢٣ -

الترجمة الحرة:

إنِّي وإنْ لَمْ أؤدِّ حتَّى طاعتك
ولم أنفضْ من وجهي غبارَ الخطيئةِ
لستُ باليائِس مِنْ كرمِكَ
لأنِّي لَمْ أقلْ للواحدِ اثنين.

الصياغة الموزونة:

أنا يا ربِّي الرَّحيم وإنْ كنتُ لِجهلي مقدِّماً كلَّ شينِ
ليسَ بي يأسٌ منكَ إذْ لَمْ أقلْ للواحِدِ الفَرْدِ في حياتي اثْنينِ

ـ ١٢٤ ـ

الترجمة الحرة:

ارحمْ صَدري المفعمَ آلاماً
وقلبي الْمُوثقَ بالهمومِ
ورِجْلي الماشيةَ إلى الحاناتِ
ويدي الماسكةَ للكؤوسِ!

الصياغة الموزونة:

أيُّها الربُّ آثمٌ أنا فارْحَمْ
لي قلباً مِنْ خَفْقهِ ما اسْتَراحَا
ثمَّ رِجلًا كانتْ على الحانِ تَمشي
ويداً كانتْ تُمسكُ الأقْدَاحا

ـ ١٢٥ ـ

الترجمة الحرة:

ذابتِ الأرواحُ ودَمِيَتِ القلوبُ لِمعرفةِ ما هو وراءَ الستار
يا مَن جَنْبَ عِلمِهُ، العقلَ طائشٌ والسَّماءُ وطيئةٌ
قد امتلأ بكَ العالمانِ
وأنْتَ خارجٌ مِنهُما!

الصياغة الموزونة:

رَجَعَ العقلُ القَهْقرى عنْكَ إعياءً وقدْ سارَ في جميعِ المناهجِ
إنَّـــمـــا هـــذهِ الـــعـــوالِمُ طـــرًّا
مـــنـــكَ مـــلأى وأنـــتَ مـــنـــهـــنَّ خـــارجْ

- ١٢٦ -

الترجمة الحرة:

أنا ذاكَ الذي ظهرتُ بقدرتِك
ورَبيْتُ بدلالٍ في نعمتِك
سوفَ أُكثِرُ من الذنوبِ مائةَ عامٍ
لأعلمَ أيُّهما أعظمُ: خطايا أمْ رحمتُك؟

الصياغة الموزونة:

بِـــكَ قـــدْ نـــلْتُ يَـــا إلَهـــي وجـــودي
وأنـــا الـــيـــومَ فـــي نـــعـــيـــمِـــكَ أرْتَـــعْ
ســـأزيـــدنَّ مـــن ذنـــوبـــي لأدْرِي
أذنـــوبـــي أمْ عَـــفْـــوك الـــجـــمُّ أوْسَـــعْ؟

القسم الثامن: في مطالب شتى

ـ ١٢٧ ـ

الترجمة الحرة:

لا تظنَّنْ إنني أخافُ الناسَ
أو أخشى الْمَنيَّةَ أو زهوقَ الرُّوحِ
الموتُ حقيقةٌ لا أخشاها
ولكنَّني أخشى كوني لم أُحسِن العيشَ.

الصياغة الموزونة:

لا تـظـنَّـنْ بـي الـمـخـافـةَ مـن أنْ
يَـدْهَـم الـموتُ نـازلًا بـي ويـغـشـى
أنـا لا أخـشـى الـموتَ فـالـموتُ حـقٌّ
غـيـرَ أنّـي مـن سـوءِ عـيـشـيَ أخـشـى

ـ ١٢٨ ـ

الترجمة الحرة:

قالَ شيْخٌ لِمُومسٍ: أنتِ سكْرى
وكلَّ ساعةٍ مربوطةٍ بخليلٍ
فأجابتْ: أنا أيُّها الشيخُ كما تقولُ

فهلْ أنْتَ كما تظهرُ للناس؟

الصياغة الموزونة:

قـــالَ شـيْـخٌ لِمُـومـسٍ: أنـتِ سـكْـرى

كـــلَّ يـــومٍ مـــربـــوطـــةٍ بـــخـــديـــنِ[1]

فأجابتْ: إنِّي كذاكَ فهلْ أنتِ كما أنت ظاهرٌ للعيونِ

- ١٢٩ -

الترجمة الحرة:

إنَّ هذهِ السَّماءَ كطاسةٍ مقلوبة

فيها الأذكياءُ أذلاءٌ

أنظروا إلى الصَّداقةِ بين الإبريقِ والكأس

الشِّفاهُ فوقَ الشِّفاهِ، وبينهما الدَّمُ![2]

---

(١) يبدو لي أن كلمة «الخدين» في الصياغة الموزونة ليست مناسبة لتنوب عن كلمة «الخليل» كما جاءت في الترجمة الحرة، فالخِذْنُ في المعاجم: الصديقُ، وهو الصاحبُ المُحدِّثُ وخِدْنُ المرأة: مُحَدِّثُها، وكان العرب في الجاهلية يبيحون للرَّجل ان يتحدَّث مع المرأة، فجاء الإسلامُ فمنعه: سورة النساء آية ٢٥ «مُحْصَناتٍ غيرَ مُسافحاتٍ ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ» أي يَتَّخِذْنَ أَصدقاء يتحدثن إليهنَّ، وجاء المفسرون ليذهبوا أبعد فجعلوا من الخدين بمثابة الخليل، لتحريم محادثة الرجل للمرأة. ولهذا فقد وقع الزهاوي تحت تأثير المستوى التفسيري الأخلاقي الإسلامي في اختيار مفردة خدين، وليس في دلالتها اللغوية الأصلية، لتبدو وكأنها مضارعة لمفردة الخليل أو العشيق، كما ورد في الرباعية.

(٢) هذه الترجمة تتطابق حرفيّاً مع ترجمة الصراف في الطبعة الأولى من الترجمة.

الصياغة الموزونة:

أنظروا في صَّداقةِ الكأس والإبريقِ مرفوعتين فوق اليدينِ
فشفاهٌ على شفاهٍ تلاقى
ودمٌ قانئٌ من الجانبينِ!

- ١٣٠ -

الترجمة الحرة:

إن الفَلَك خبرٌ من عمرِنا المتهدَّم
و«جيحون»[١] أثرٌ من عَيْننا المغرورقة
والجحيمُ شرارةٌ من نارِ تَعبنا
والفردوس لحظةٌ من أوقات راحتنا.

الصياغة الموزونة:

الجحيمُ التي بها أوعدونا
ليس إلا أتعابُنا ألوانا
والنعيمُ الذي لنا وصفوهُ
ليسَ إلا ارتياحُنا أحيانا

---

(١) جيحون: نهر وراء خراسان عند «بلخ» بأفغانستان الحالية، وفي التراث اللاهوتي أن موقع جنة عدن عند حدود أربعة أنهار هي فيشون وجيحون وحداقل «دجلة» والفرات، وأرجِّح هذا التأويل الأخير، بدلالة أن الرباعية جعلت «الجحيم» في الشطر الثاني طرفاً آخر في الطباق البلاغي. وكذلك الفردوس في الشطر الأخير. والملاحظ أن الزهاوي أسقط نهر الدموع «جيحون» برمته، من الصياغة الموزونة.

رباعيّات الخيّام

ترجمة أحمد الصافي النجفي

طُبِعتْ في مطبعة التوفيق، سوق مدحت باشا ـ دمشق ١٩٣١

حرف الألف

\- ١ -

كُلُّ ذَرّاتِ هذهِ الأرْضِ كانَتْ
أَوجُهاً كالشُّموسِ ذاتَ بَهاءِ
أَجْلُ عن وجهِكَ الغُبارَ برِفْقٍ
فهو خَدٌّ لكاعبٍ حَسناءِ

\- ٢ -

إنَّ رُوحاً من عالَمِ الطُّهرِ جاءَتْ
لَكَ ضَيفاً ما التَاثَ بِالغَبْراءِ
إسْقِها أَكْؤُسَ الصَّبوحِ صَباحاً
قبْلَ تَوديعِها أَوانَ المَساءِ

\- ٣ -

منْ تَحرَّى حقيقةَ الدَّهْرِ أضْحى
عندهُ الحزْنُ والسرورُ سَواءَ
إنْ يكُنْ حادثُ الزَّمانِ سَيفْنى
فلْيكُنْ كلُّهُ أَسىً أَو هناءَ

- ٤ -

قالَتِ الوَرْدةُ: لا خدَّ كخدِّي في البهاءِ
فإلى مَ الظلْمُ ممَّنْ يَبتغي عَضْراً لِمائي
فأَجابَ البُلبلُ الغرِّيدُ في لَحْنِ الغناءِ
مَنْ يكنْ يضحكُ يومَاً يقْضِ حَولًا بِالبُكاءِ

- ٥ -

ليسَ يُدْرَى بِمنطقٍ وقِياسِ
أيَّ وقْتٍ دارتْ بِهِ الزَّرقاءُ
أَو متى تُصبِحُ السَّماءُ خراباً
قد تداعتْ وانْهدَّ مِنها البِناءُ

- ٦ -

دعْ عنْكَ حِرْصَ الوجودِ واهْنأ
إنْ أحْسنَ الدَّهْرُ أَو أَساءَ
واعبثْ بِشَعْرِ الحبيبِ واشْربْ
فالعمرُ يمْضي غداً هباءَ

- ٧ -

إنْ تواعدْتمُ رِفاقِي لأُنْسٍ
وسعِدتُمْ بِالغادةِ الهيفاءِ
وأدارَ الساقِي كُؤوسَ الحُميا
فاذْكرُونِي في شُرْبِها بِالدُّعاءِ

- ٨ -

إنْ تلاقيتُمُ أَخِلاي يوماً

فأَطِيلُوا ذكرايَ عندَ اللِّقاءِ

وإذا ما أَتى لدى الشُّرْبِ دورِي

فأَريقُوا كأسِي على الغَبراءِ

- ٩ -

إنْ كُنتَ لا تَفْنى سوى مرَّةٍ

فافْنَ ودعْ هذا الأَسى والشَّقاءْ

وكُنْ كأَنْ لمْ تَحْوِ ذا الجِلدَ أَو

ذا الدَّمَ واللَّحْمَ وخلِّ العَناءْ

- ١٠ -

قدْ خاطبَ السَّمكُ الأَوَزَّ مُنادياً:

سيعودُ ماءُ النَّهرِ فاصْفُ هناءَ

فأَجابَ: إنْ نُصبحْ شِواءً فلْتكُ الدُّنيا سراباً بعدنا أَو ماءَ

- ١١ -

ما الكونُ دارُ إقامةٍ فأَخُو النُهى

أَولى بِهِ أَنْ يُدمنَ الصَّهباءَ

أَطفِئْ بماءِ الكرْمِ نِيرانَ الأَسى

فلسوفَ تذهبُ في الهواءِ هباءَ

- ١٢ -

طالَ كهَمِّي عمرُ الحَبِيبِ فقدْ
أولانِي اليومَ خيرَ نَعْماءِ
فقدْ رنا لِي ومَرَّ يُومِئُ أَنْ:
«أَحْسِنْ وأَلْقِ الإحْسانَ في المَاءِ»

- ١٣ -

إخْتَرْ بدهرِكَ قلَّةَ الرُّفقاءِ
واصحبْ بَنِيهِ وأَنتَ عنهمْ ناءِ
فمن اعْتمدْتَ عليهِ إنْ تَنظرْهُ فِي
عينِ البصيرةِ أعظمُ الأَعداءِ

- ١٤ -

لاتَنظُرنَّ إلى الفتى وفُنونِهِ
وانظرْ لحفظِ عُهودِهِ ووفائهِ
فإذا رأَيتَ المرْءَ قامَ بعهدِهِ
فاحسبْهُ فاقَ الكلَّ في عليائه

- ١٥ -

لقدْ آنَ الصَّبوحُ فقُمْ حبيبي
وهاتِ الرَّاحَ واشرعْ بِالغِناءِ

فـكـمْ «جِـمْـشِـيـدَ» أَردى أَو «قُـبَـادٍ»[1]
مَـجِـيءُ الـصـيـفِ أَو مَـرُّ الـشِّـتـاءِ

ـ ١٦ ـ

مـا شـهِـدَ الـنَّـارَ والـجِـنـانَ فـتـىً
أَيُّ امْـرِئٍ مِـن هُـنـاكَ قـدْ جـاءَ؟
لـمْ نـرَ مـمَّـا نـرجـو ونَـحـذرهُ
إلا صِـفـاتٍ تُـحـكـى وأَسْـمـاءَ

ـ ١٧ ـ

إنْ تَـجُـدْ لـيْ بـالـعـفْـوِ لـمْ أَخـشَ ذَنـبـاً
أَو تَـهـبْ لِي زاداً أَمِـنْـتُ الـعـنـاءَ
أَو تُـبَـيِّـضْ بِـالـعـفْـوِ وجْـهِـي فـإنِّـي
لَـسْـتُ أَخـشَـى صَـحِـيـفَـتِـي الـسَّـوداءَ

(١) قباد: أو قباذ في المصادر العربية، وكيخسرو، في بعض المصادر الفارسية، هو قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام، وهو الملك الثامن عشر في سلسلة الملوك الساسانيين، ظهرت في زمنه الديانة المزدكية، فمال إليها، فجرى خلعه لأن الزرادشتية كانت هي الديانة القومية للدولة الساسانية، لكنه سرعان ما عاد للحكم، ودام حكمه ثلاثة وأربعين عاماً.

حرف الباء

ـ ١٨ ـ

قدِ انْطوى سِفرُ الشبابِ واغْتدى
رِبيعُ أفْراحِي شِتاءً مُجدِبا
لَهفي لِطيرٍ كانَ يُدْعى بِالصِبا
متى أَتى وأَي وقْتٍ ذَهبا؟

ـ ١٩ ـ

إلهِي قُلْ لِي مَنْ خلا من خطِيئةٍ
وكيف تُرى عاشَ البرِيءُ مِن الذَّنْبِ؟
إذا كُنْتَ تُجْزِي الذَّنْبَ مِنِّي بِمِثْلِهِ
فما الفرْقُ ما بينِي وبينَكَ يا ربِّي؟

ـ ٢٠ ـ

يا باقِياً رهْنَ الرِّياءِ ورائحاً
لِقصِيرِ عيشِكَ في عَناءٍ مُتْعِبِ
أَتقُولُ: أَينَ ترُوحُ من بعْدِ الرَّدى
هاتِ المُدامَ وأَينَ ما شِئْتَ اذْهبِ

- ٢١ -

رأَيتُ في النومِ ذا عقْلٍ يقُولُ: أَلا
لا يجْنِينَّ الفتى من نَومِهِ طرَبا
حتَّى مَ ترْقُدُ كالموتى فقُمْ عَجِلًا
فسوف تهْجعُ في جوفِ الثَّرى حُقُبَا

- ٢٢ -

غدونا لِذي الأَفْلاكِ ألعابَ لاعِبِ
أَقُولُ مقالًا لستُ فِيهِ بِكاذِبِ
على نطْعِ هذا الكونِ قدْ لعِبتْ بِنا
وعُدْنا لِصنْدُوقِ الفنا بِالتَّعاقُبِ

- ٢٣ -

أَولُ دفْترِ المعانِي الهوى
وإِنَّهُ بيتُ قصِيدِ الشَّبابْ
يا جاهِلًا معْنَى الهوى إِنَّما
معْنى الحياةِ: الحُبُّ والانْجِذابْ

- ٢٤ -

إِنْ تجلُ لدى الرَّبِيعِ كفُّ السُحْب
خدَّ الأَزْهارِ فابْتدِرْ لِلشُرْبِ

فـالـيـوم بـذِي الـرَّوضـةِ تـرْتـاحُ ومِـنْ
ذرّاتـكَ سَـوف تَـزْدهِـي بِـالـعُـشْـبِ[1]

ـ ٢٥ ـ

تَـزْدَادُ حـيـرَةُ عَـقـلي كـلَّ دَاجِـيَـةٍ
والـدَّمْـعُ حـولِيَ مِـثْـلَ الـدُّرِّ مـسـكُـوبُ
لا يـمْـتَـلِي جَـامُ رَأسِي مـن وسَـاوِسِـهِ
ولـيـسَ يُـمْـلأُ جَـامٌ وهـو مَـقْـلُوبُ

ـ ٢٦ ـ

قدْ حظِينَا بِالغِنا والراحِ في الدَّارِ الخراب
وفرغْنا من مُنَى الرَّحْمةِ أَو خَوفِ العِقابْ
وسَـمـونـا ثَـمَّ عـن مـاءٍ ونـارٍ وتُـرابْ
فالكِسا والكأسُ والعقلُ معاً رَهْنُ الشَّرابْ

ـ ٢٧ ـ

أمـا تَـرى الأزْهـار فِـيهـا عبَـثتْ يـدُ الـصَّـبـا
ومِـنْ جـمـالِهـا غـدا الـبـلْـبـلُ يـشْـدُو طَـربـا
فـبـادرِ الـزَّهْـرَ ودَعْ عـنْـكَ الأسـى والـكُـربَـا
فـهـذِهِ الأزْهـارُ كـمْ زهـتْ وكـمْ عـادَتْ هَـبـا

---

(١) يستخدم الصافي النجفي هنا بحر الدوبيت. وهو البحر الأصلي للرباعيات، وهي من المرّات النادرة في الترجمة

- ٢٨ -

قالَ قومٌ: ما أَطْيبَ الحُورَ في الجَنَّةِ قُلْتُ المُدامُ عِندي أَطْيبْ
فـاغْـنـمِ الـنَّـقـدَ واتْـرُكِ الـدَّيـنَ واعـلمْ
أَنَّ صـوتَ الـطُّـبُـولِ فـي الـبُـعْـدِ أَعْـذَبْ

- ٢٩ -

إنْ تـشْـربِ الـمُـدامَ أُسْـبُـوعـاً فـلا
تَـدَعْ لَدَى الـجُـمْـعَـةِ قُـدْساً شُـرْبَـهـا
أَلـسـبْـتُ والـجُـمْـعـةُ عِـنْـدِي اسْـتَـويـا
لا تـعْـبُـدِ الأَيَّـامَ واعـبُـدْ ربَّـهـا

- ٣٠ -

هـذا أَوانُ الـصَّـبُـوحِ والـطَّـرَبِ
ونَـحْـنُ والـحَـانُ وابْـنَـةُ الـعِـنـبِ
أُصْـمُـتْ نـدِيـمِـي هـلْ ذا مـحـلٌّ تُـقـىً
واشْـرَبْ وخَـلِّ الـحـدِيـثَ واجْـتَـنِـبِ

- ٣١ -

لـمْ أَشْـربِ الـرَّاحَ لأَجْـلِ الـطَّـرَبِ
أَو تَـرْكِ دِيـنِـي واطِّـراحِ الأَدَبِ
رُمْـتُ الـحـيـاةَ دُونَ عَـقْـلٍ لَحْـظَـةً
فـهِـمْـتُ بِـالـسُّـكْـرِ لِهـذا الـسَّـبـبِ

- ٣٢ -

لا عِشْتُ إلا بِالغوانِي مُغْرماً
وعلى يدِي تِبْرُ المُدامِ الذائبُ
قالُوا: سَيقْبَلُ مِنْكَ رَبُّكَ تَوبةً
لا اللَّهُ قابِلُها ولا أَنَا تائبُ

- ٣٣ -

لا تَتُبْ قطُّ عَنِ الرَّاحِ فكم
تَوبةٍ مِنْها يتُوبُ التَّائبُ
قدْ شدَا البُلبلُ والوزْدُ زَها
أَبِذا الوقْتِ يتُوبُ الشَّارِبُ؟

- ٣٤ -

نَفْسِي تَميلُ إلى الحُميا دائماً
والسَمْعُ يهْوى مِعْزفاً ورَبابا
إنْ يصْنَعُوا كُوزاً ثَرَايَ فليتَهُمْ
أَنْ يملئُوهُ مدى الزَّمانِ شَرابا

- ٣٥ -

ما خَلَقَ اللَّهُ رَاحَةً وهنَا
إلا لِمنْ عاشَ مُفْرداً عَزبَا
مَنْ تَرَكَ الانْفِرادَ واقْترنَا
فقدْ جنى بعْدَ راحةٍ تَعَبا

- ٣٦ -

أَتَى بِي لِهذا الكونِ مُضْطَرِباً فلم
تَزِدْ لِيَ إلَّا حيرةٌ وتعجُّبُ
وعُدْتُ على كُرْهٍ ولَمْ أدْرِ أنَّني
لماذا أَتَيتُ الكونَ أَو فِيمَ أذْهبُ

- ٣٧ -

كُلَّ يومٍ أَنْوِي المتابَ إذا ما
جاءَنِي اللَّيلُ عن كُؤوسِ الشَّرابِ
فأَتَانِي فصْلُ الزُّهُورِ وإنِّي
فِيهِ يا ربِّ تائبٌ عن مَتابِي

- ٣٨ -

ما زالَ ظِلٌّ على الأَزْهارِ لِلسُّحُب
ولَمْ يَزَلْ بِي مَيلٌ لابْنَةِ العِنبِ
فلا تَنمْ ليسَ ذا وقْتَ الكرى وأَدِرْ
كأساً حبيبي فإنَّ الشَّمْسَ لمْ تَغِبِ

- ٣٩ -

لِماذا غداةَ الرَّبُّ رَكَّبَ هذهِ العناصِرَ لمْ يُحْكِمْ تَناسُبها الرَّبُّ
إذا راقَ مَبْنَاها فَفِيمَ خَرابُها
وإنْ لمْ تَرُقْ مَبْنىً فمِمَّنْ أَتَى العَيبُ

- ٤٠ -

وجَامٍ يـرُوقُ الـعـقـلُ لُطْـفـاً ورِقَّـةً
ويـهْـفُـو عَـلَيـهِ الـقـلْبُ مـن شِـدَّةِ الـحُـبِّ
تَـفـنَّـنَ خَـزَّافُ الـوجـودِ بِـصُـنْـعِـهِ
ويـكْـسِـرهُ مـن بـعْـدِ ذاكَ عـلى الـتُّـرْبِ

- ٤١ -

كـمْ لِلَّذِي بـسـطَ الـثَـرى وبَـنـى الـسَّـمَـا
مـن لَوعَـةٍ بِـقـلـوبِـنـا وعـذابُ
كـمْ مـن شِـفـاهٍ كـالـعَـقِـيـقِ وطُـرَّةٍ
كـالـمِـسْـكِ أَودعَـهـا حِـقـاقَ تُـرابِ[1]

- ٤٢ -

أُنْـظُـرْ حِـسـابَـكَ مـا أَتـيـتَ بِـهِ ومـا
تـغْـدُو بِـهِ مـن بـعْـدُ مـهْـمـا تَـذْهـبِ
أَتَـقُـولُ لا أَحْـسُـو الـطِّـلا خـوفَ الـرَّدَى
سـتـمُـوتُ إِنْ تَـشْـربْ وإِنْ لـمْ تَـشْـربِ

- ٤٣ -

كـمْ سِرْتُ طِفْلًا لِتـحْـصِيـلِ الـعُـلومِ وكـمْ
أَصـبـحْـتُ بـعْـدُ بِـتـدْرِيـسِـي لَهـا طَـرِبَـا

---

(١) الحِقاق: جمع حقَّة، وهو وعاءٌ يصنع من الخشب أو العاج، تذخر فيه النفائس كالدرّ والياقوت وتحفظ فيه العطور كذلك.

فاسمعْ خِتامَ حدِيثِي ما بلغْتُ سِوى
أنِّي بُدِئْتُ تُراباً ثُمَّ عُدْتُ هَبَا

- ٤٤ -

ألا ارحمْ يا إلهي لِي فُؤاداً
مِنَ الأشْجانِ أمْسى في عَذابِ
ورِجْلًا بِي سَعتْ لِلْحانِ قِدْماً
وكفّاً أمْسكتْ قدحَ الشَّرابِ(١)

---

(١) هناك رباعية كان يجب أن تكون في هذا الباب، باب «حرف الباء» كان الصافي قد ذكرها في تقديمه للرباعيات، في سياق شهادة لأحد كبار شعراء الفرس وهو محمد حسين بهار الملقب بـ«ملك الشعراء» للإشارة إلى الدقَّة والجمالية، في الترجمة التي تضاهي الأصل الفارسي وتفوقُهُ أحياناً، ولم ترد هذه الرباعية في متن الطبعتين الإيرانية والدمشقية، ولعلَّها سقطت سهواً لذلك ارتأينا إضافتها هنا مع الإشارة إلى ذلك، والرباعية هي:

لَمْ يحظَ في الدَّهرِ من وردِ الخدودِ فتىً   إلّا وكَابدَ من أشواكِهِ العَطَبا
أنظرْ إلى المُشطِ لَمْ تبلغْ أناملُه   أصداغَ أغيدَ ما لَمْ يَنْشعبْ شُعَبا

حرف التاء

ـ ٤٥ ـ

إِجْعَلوا قُوتِي الطِّلا وأَحِيلُوا
كَهْرُباءَ الخُدُودِ للياقوتِ
وإِذا مِتُّ فاجْعَلُوا الرَّاحَ غُسْلِي
ومِنَ الكَرْمِ فاصنَعُوا تابُوتي

ـ ٤٦ ـ

يقولُ المُتَّقُونَ: غَداً ستحيى
على ما كُنْتَ في هذِي الحَياةِ
لِذا اخْتَرْتُ الحبيبةَ والحُمَيا
لأُحْشرَ هكذا بَعْدَ المَماتِ

ـ ٤٧ ـ

جاءَ من حانِنا النِّداءُ سُحيراً
يا خَليعاً قدْ هامَ بِالحَانَاتِ
قُمْ لِكي نَملأَ الكُؤوسَ مُدَاماً
قبلَ أَنْ تَمْتَلِي كُؤُوسُ الحَياةِ

- ٤٨ -

هبِ الدُّنيا كما تَهْواهُ كانَتْ
وكُنْتَ قرأتَ أَسْفارَ الحَياةِ
وهبْكَ بَلَغْتَها مائتينِ حولًا
فماذا بَعْدَ ذاكَ سِوى المَماتِ؟

- ٤٩ -

ألبدرُ شقَّ بنُورهِ جيبَ الدُّجى
فاشربْ فلنْ تلقى كذِي الأوقاتِ
واهنأ ولا تأمنْ فهذا البدرُ كم
سيُضِيءُ فوقَ ثرىً لنا ورُفاتِ

- ٥٠ -

إنْ نِلتُ من حِنطةٍ رغِيفاً
وكُوزَ خمرٍ وفخذَ شاةِ
وكانَ إلفِي معِي بِقفرٍ
فُقتُ بِذا عِيشةَ الوُلاةِ

- ٥١ -

من نالَ ذرَّةَ عقلٍ عادَ مُنتبِها
فلمْ يُضِع من ثمِينِ العُمرِ لحظتهُ
إمَّا سعى لِرضاءِ اللّهِ مُجتهِداً
أو عبَّ كأسَ الطِّلا واختارَ راحتهُ

- ٥٢ -

ما اسطعتَ كُنْ لِبنِي الخلاعةِ تابِعاً
واهدِمْ بِناءَ الصَّومِ والصَّلواتِ
واسمعْ عنِ الخيَّامِ خيرَ مقالةٍ
إشربْ وغنِّ وسِرْ إلى الخيراتِ

- ٥٣ -

أُحسُ الطِّلا عنكَ يزُلْ همُّ الورى
وقِلَّةُ الأُمورِ أو كثرتُها
ولا تُجانِبْ كِيمياءَ قهوةٍ
تُزيلُ ألفَ عِلَّةٍ قَطرتُها

- ٥٤ -

جُسُومُ ذوِي هذِي القُبُورِ تحلّلتْ
فبينَ بُخارٍ قدْ علا ورُفاتِ
فما هذِهِ الرَّاحُ الّتِي صرَعتهُمُ
ولم ينهلُوا مِنها سِوى جُرُعاتِ

- ٥٥ -

هلُمّ حبِيبِي نترُكِ الهمَّ في غدٍ ونغنمْ قصِيرْ العُمرِ قبل فواتِ
سنُزمِعُ عن ذِي الدَّارِ رِحلتنا غداً
بِسبعةِ آلافٍ مِن السَّنواتِ

- ٥٦ -

مَن كان نِصفُ رغِيفٍ في الحياةِ لهُ
ومسكنٌ فِيهِ مثواهُ وراحتُهُ
لم يغدُ سيِّدَ شخصٍ أو غُلام فتىً
فهنِّهِ فلقدْ راقتْ معِيشتُهُ

- ٥٧ -

إلى الحانِ أغْدُو كُلَّ يومٍ مُبكِّراً
وأصْحبُ فِيهِ ثمَّ أهْلَ الخلاعاتِ
فيا عالِمَ الأسْرارِ هبْنِي هِدايةً
ورُشْداً لأغْدُو لِلدُّعا والمُناجاةِ

- ٥٨ -

لا تحسبنِّي جِئتُ من نفْسِي ولا
قطعْتُ وحْدِي ذا الطَّرِيق المُعنِّتا
إنْ يكُ مِنْهُ جوهرِي ومنْشئي
فمنْ أنا؟ وأين كُنْتُ؟ ومتى؟

- ٥٩ -

كُنْ كالشَّقائقِ مُمْسِكاً كأساً لدى النيرُوزِ معْ وزْدِيةِ الوجْناتِ
واشْربْ فإنّك سوف تُصْبِحُ كالثَّرى
ضِعةً بِسيرِ الدَّهْرِ ذِي النّكباتِ

- ٦٠ -

ألْيَومُ يَومُ صِباي فلأشْربْ بِهِ
كأسَ الشَّرابِ وأجْتَنِي لِذاتِي
لاتُزْرِ فِيهِ لئنْ يمرَّ فقدْ حلا
لا غزوَ إنْ يكُ مَرَّ فهُو حياتِي(١)

- ٦١ -

أحْسُو المُدام ولا أُعرْبِدُ قطُّ أو
كفِّي تُمدُّ لِما عدا الكاساتِ
تدْرِي لِما اخْترْتُ الطِّلا؟ كيلا أرى
يا صاحِ مِثْلك مُولعاً في ذاتِي

- ٦٢ -

إنَّ بذرِي يلُوحُ في كُلِّ شكْلِ
حيواناً طوراً وطوراً نباتاً
لا تخلْهُ يزُولُ هيهات فالموصُوفُ إنْ يفْنَ وصْفُهُ يبْق ذاتا(٢)

- ٦٣ -

يا عالِماً بِجمِيعِ أسْرارِ الورى
ونصِيرهُمْ في العجْزِ والكُرُباتِ

---

(١) لا غَزوَ: لا عجب.

(٢) هذه الرباعية، تشير بوضوح إلى فلسفة التناسخ لدى الخيَّام.

كُــنْ قــابِــلًا عُــذْرِي إلــيــك وتــوبــتِــي
يــــا قــــابِــــل الأعْـــــذارِ والــــتّــــوبــــاتِ

حرف الجيم

ـ ٦٤ ـ

يـا زُبْـدَةَ الـخِـلَّانِ خُـذْ نُـصْـحِـي ولا
تُـصْـبِـحْ مِـنَ الـدُّنْـيـا بِـهـمٍّ مُـزْعِـجِ
واجْـلُسْ بِـزاويـةِ اعْـتِـزالِكَ وانْـظُـرَنْ
ألـعـابَ دَهْـرِكَ نـظْـرةَ الـمُـتـفـرِّجِ

ـ ٦٥ ـ

قُـمْ قـبْـلَ غـارةِ الأَسـى مُـكِّـراً
وادْعُ بِـهـا وِرْدِيـة تَـجْـلُو الـدُّجَـى
فـلسْـتَ يـا هـذا الـغـبِـيُّ عـسْـجَـداً
حـتَّـى تُـوارى فـي الـثَّـرى وتُـخْـرجَـا

حرف الحاء

ـ ٦٦ ـ

إنَّ ذاكَ القصْرَ الَّذِي ضَمَّ «جَمْشِيدَ» وفِيهِ تنَاولَ الأَقْدَاحَا
ولدتْ ظَبْيةُ الفلا خِشْفها فِيهِ وأَمْسَى إلى ابْنِ آوى مَراحَا[1]
يا «لَبَهْرامَ» كيف كانَ يَصِيدُ الوحْشَ من قبْلُ غُدْوةً ورواحَا
فانْظُرِ الآنَ كيفَ قدْ صَادَهُ القبْرُ وأَمْسَى لا يسْتَطِيعُ بَراحَا

ـ ٦٧ ـ

نَحْنُ يا مُفْتِي الورى مِنْكَ أَدْرى
لمْ تُزِلْ عقْلَنا مدى السُّكْرِ راحُ
أَنْتَ تحْسُو دمَ الأَنامِ ونحْسُو
دمَ كرْمٍ فأَيُّنا السَّفاحُ

ـ ٦٨ ـ

إلَى مَ تُعَانِي لِلْمُقَدَّرِ مِحْنَةً
ومِنْ بَاطِلِ الأَفْكارِ تُمْسِي بِأَتْراحِ

(١) الخشف: ابن الظبية.

فعِشْ في سُرُورٍ واقْضِ دَهْرَكَ بِالهنَا
فلمْ يكِلُوا أَمْرَ القضا لكَ يا صاحِ

- ٦٩ -

نعمْ أنَا من راحِ المَجُوسِ بِنَشْوةٍ
وصَبٌّ خَليعٌ لمْ أزَلْ مُدْمِنَ الرَّاحِ
يرَى كُلُّ حِزْبٍ فيَّ رَأياً ومَذْهباً
وإنِّي لِنفْسِي كيفما كُنْتُ يا صاحِ

- ٧٠ -

دعَى لِلصَّبُوحِ مليكُ النَّهارِ
ولاحَ سنا الفجْرِ فوقَ السُّطُوحِ
ونادى مُنادِي الأُلى بَكِّرُوا
ألا فاشْرَبُوا آنَ وقْتُ الصَّبُوحِ

- ٧١ -

أَلْفجْرُ لاحَ فقُمْ لنا يا صاحِ
وامْلأْ زُجاجَكَ من عقِيقِ الرَّاحِ
فزمانُ أُنْسِكَ إنْ يفُتْ لمْ تلْقَهُ
وتظلُّ تنشُدُ ساعةَ الأَفْراحِ

- ٧٢ -

لا تَغْرِسَنَّ الحَشا غرْسَ التَّرَحْ
واقْرَأْ، حيِيتَ، دائماً سِفْرَ الفرَحْ

وعـاقِـرِ الـرَّاحَ ونَـلْ أَقْـصـى الـمُـنـى
فـالـعُـمْـرُ مـا أَقْـصَـرَهُ كـمـا اتَّـضَـحْ

ـ ٧٣ ـ

بـادِرْ فـسـوف تـعـودُ أَدْراجَ الـفـنـا
وسـتـتْـرُكُ الـجُـثْـمـانَ مِـنْـكَ الـرُّوحُ
واشْـرَبْ وعِـشْ جـذِلًا فـلسْـتَ بِـعـالِمٍ
مـن أَيـنَ جِـئْتَ؟ وأَيـنَ بـعـدُ تَـرُوحُ؟

ـ ٧٤ ـ

لِلصَّـومِ والـصَّـلَواتِ مِـلْتُ تـنـسُّـكـاً
فـتـيـقَّـنـتْ نَـفْـسِـي غـداً بِـنـجـاحِـي
أَسـفـاً فـقـدْ نُـقِـضَ الـوضـوءُ بِـنَـسْـمَـةٍ(١)
والـصَّـومُ زالَ بـنـصْـفِ جُـرْعـةِ رَاحِ

---

(١) هنا يظهر اختلاف جذري في ترجمة هذا الشطر بين الصرّاف والصافي، فالصرّاف ترجمها: «لكنْ أسفاً لقدْ بَطَلَ ذلكَ الوضوءُ بضرطةٍ» ومن المهم الإشارة إلى أن النص الفارسي الذي أورده كل من الصراف والصافي مختلف عند هذه الكلمة بالذات، فنصُّ الصراف كالتالي: «افسوس كه آن وضو به «گوزى» بشكست» أما نص الصافي فجاء كالتالي: «افسوس كه آن وضو به «بادي» بشكست» ولعله بسبب اختلاف النسخ التي اعتمدها كل منهما، ومع هذا كان يمكن للصافي اختيار كلمة «ريح» لأن هذا هو معنى المفردة بالفارسية، وليس نسمة. وربما تحاشاها متعمّداً لأسباب ذوقية، أو رقابة ذاتية وتحايل على المفردة.

إشْـــرَبِ الـــرَّاحَ فـــهِـــي رُوحُ الـــرُّوحِ
بَـلْـسـمُ الـنَّـفْـسِ والـحَـشـا الـمَـجْـرُوحِ
وإذا مـــا دهـــاكَ طُـــوفـــانُ هـــمٍّ
فـانْـجُ فِـيـهـا فـذِي سـفـيـنـةُ نُـوحِ

حرف الخاء

ـ ٧٦ ـ

إذا العُمْرُ يمْضي فلْيرُقْ لِي أو يسُؤ
وسيانِ إنْ أَهْلِكَ ببغْدادَ أَو «بَلْخِ»
فقُمْ واحْسُها فالشَّهْرُ كمْ بعْدَ سَلْخِهِ
إلى غُرَّةٍ يمْضي ومنها إلى سَلْخِ

حرف الدَّال

- ٧٧ -

لا يُــورِثُ الــدَّهْــرُ إلا الــهــمَّ والــكــمـدَا
والــيــومَ إِنْ يُــعْــطِ شَــيــئـاً يــسْــتَــلِبْــهُ غَــدَا
مَــنْ لــمْ يــجِــيــئُــوا لِهـذا الــدَّهْــرِ لَو عَــلِمُــوا
مــاذا نُــكــابِــدُ مِــنْــهُ مــا أَتَــوا أَبَــدَا

- ٧٨ -

إِنْ لــمْ يــكُــنْ حَــظُّ الــفــتَــى فــي دَهْــرِهِ
إلا الــرَّدَى ومــرارةَ الــعــيــشِ الــرَّدِي
سَــعِــدَ الَّذِي لــمْ يــحْــيَــى فِــيــهِ لَحْــظَــةً
حــقــاً وأَسْــعَــدُ مِــنْــهُ مَــنْ لــمْ يُــولَدِ

- ٧٩ -

لَثِــمْــتُ مــن جَــرَّةِ الــصَّــهْــبَــاءِ مَــرْشَــفَــهــا
حِــرْصــاً لأَسْــأَلَ مِــنْــهــا عِــيــشَــةَ الأَبَــدِ
فــقــابــلتْ شــفــتِــي بِــالــلَّثْــمِ قــائــلةً
سِــرَّاً: أَلا اشــرَبْ فــإِمَّــا رُحــتَ لــمْ تــعُــدِ

- ٨٠ -

أَتْرِعْ كُؤوسكَ فالصَّباحُ قدِ انْجلَى
راحاً لَها يغْدُو العَقِيقُ حَسُودَا
وهلُمَّ بالعُودَينِ واكْتَمِلِ الهنَا
وقِّعْ على عُودٍ وأَحْرِقْ عُودَا

- ٨١ -

إرْتَشِفْها فذا لَعَمْرِي الخُلُودُ
فِيهِ تَمْتَازُ لِلشَّبَابِ عُهُودُ
ذا أَوانُ الأَزْهارِ والرَّاحِ والصُّحْبُ نَشَاوى فاهْنَأ فهذا الوجودُ

- ٨٢ -

أَلْعِيدُ جاءَ فسوفَ يُصْلِحُ أَمْرَنَا
والرَّاحُ لِلإبْرِيقِ سَوف تَعُودُ
ويفُكُّ عن هذِي الخمِيرِ لِجَامَها
بِالصَّومِ والصَّلَواتِ هذا العِيدُ

- ٨٣ -

ليسَ لِذا العالَمِ ابْتِداءٌ
يبْدُو ولا غايةٌ وحَدُّ
ولمْ أَجِدْ مَنْ يقُولُ حقّاً:
من أَينَ جِئْنَا؟ وأَينَ نَغْدُو؟

- ٨٤ -

إنْ لـمْ يُـطِـقْ أحَـدٌ مِـنَّـا ضـمـانَ غَـد
فـطِـبْ بِـذا الـوقْـتِ نَـفْـساً وانْـتَـعِـشْ كَـبِـدَا
واشْـرَبْ على ضَوءِ ذا البَدْرِ المُنِيرِ فكم
يُـضِـيءُ بَـعْـدُ ومِـنَّـا لا يـرَى أحَـدَا

- ٨٥ -

لَـئِـنْ جـالَـسْـتَ مَـنْ تَـهْـواهُ عُـمْـراً
وذُقْـتَ جَـمِـيـعَ لَذاتِ الـوُجُـودِ
فسوفَ تُفارِقُ الدُّنْيا كأَنَّ الَّذِي شَاهدْتَ حُلْمٌ في هُجُودِ

- ٨٦ -

لا تَـخْـشَ حَـادِثَـةَ الـزَّمَـانِ فـإنَّـهـا
لـيـسَـتْ بِـدَائـمَـةٍ عَـلَـيـنَـا سَـرْمَـدَا
واغْـنَـمْ قـصِـيرَ الـعُـمْـرِ فـي طَـرَبٍ ولا
تَـحْـزَنْ عـلى أَمْـسٍ ولا تَـخْـشَ الـغَـدَا

- ٨٧ -

عَـادَ الـسَّـحَـابُ عـلى الـخَـمَـائـلِ بَـاكِـياً
فـالـعَـيـشُ لا يـصْـفُـو بِـدُونِ الـصَّـرْخَـدِ
هـذِي الـرِّيـاضُ الـيـومَ مُـنْـتَـزَةٌ لَنَـا
فـلِـمَـنْ رِيـاضُ رُفـاتِـنَـا هِـي فـي غَـدِ؟

- ٨٨ -

أَرَى أُنَاساً عَلى الغَبْرَاءِ قَدْ هَجَدُوا
ومَعْشَراً تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى رَقدُوا
وإِنْ نَظَرْتُ لِصَحْرَاءِ الفَنَاءِ أَرَى
قوماً تَولَّوا وقوماً بَعْدُ لَمْ يرِدُوا

- ٨٩ -

إِجْلِسْ إلى الرَّاحِ تَبْلُغْ مُلْكَ مَحْمُودِ(١)
وأَصْغِ لِلْعُودِ تَسْمَعْ لَحْنَ دَاوُدِ
دَعْ ذِكْرَ ما لَمْ يجِيءْ أو ما أَتَى ومَضَى
والآنَ فاهْنَأ فهذا خَيرُ مَقْصُودِ

- ٩٠ -

إِنَّ الأُلَى بلَغوا الكمالَ وأَصْبحوا
ما بَينَ صَحْبِهِمُ سِراجَ النَّادِي

---

(١) محمود: هو السلطان محمود سبكتكين الغزنوي «٩٧١ ـ ١٠٣٠» ينحدر من أصول تركية وولد في غزنة بأفغانستان الحالية، وإليها ينسب، أرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة، فقصد بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدي السامانية فغزا الهند ووسَّعَ حدود مملكته لتشمل بخارى وسمرقند وصولًا إلى كوجرات وقنوج وشملت أفغانستان وما وراء النهر وسجستان وخراسان، وبعد وفاته انتقل ملكه العريض إلي السلاجقة.
عاش في عهده عدد من العلماء والشعراء، منهم: ابن سينا وأالبيروني والفردوسي الذي كتب «الشاهنامة» في عهد محمود الغزنوي.

لَـمْ يـكْـشِـفُـوا حَـلَكَ الـدَّيـاجِـي بَـلْ حَـكَـوا
أُسْــطُــورَةً ثُــمَّ انْــثَــنَــوا لِرُقَــادِ

- ٩١ -

لَئِـنْ سَـقـانِـي فـي فَـصْـلِ الـرَّبِـيـعِ رَشـاً
فـي الـرَّوضِ كـأسـاً دِهـاقـاً تُـنـعِـشُ الـكَـبِـدَا
وإِنْ يـكُـن لـمْ يـرُقْ هـذا الـمَـقـالُ فـتـىً
فـالـكَـلْـبُ يـفـضِـلُـنِـي إِنْ أَذْكُـرَ الـخُـلـدَا

- ٩٢ -

يــا رَبِّ إِنَّــكَ ذُو لُطْــفٍ وذُو كــرمٍ
فـفِـيـمَ لا يـدْخـلَنَّ الـمُـذْنِـبُ الـخُـلـدَا؟
مَـا الـجُـودُ إِعْـطَـاءُ دَارِ الـخُـلْـدِ مُـتَّـقِـيـاً
إِنَّ الـعـطـاءَ لأَصْـحَـابِ الـذُّنُـوبِ نَـدَى

- ٩٣ -

بِــجَــمِــيــلِ الآمَــالِ أَفْــنَــيــتُ عُــمْــرِي
دُونَ أَنْ أَبْـــلُغَـــنَّ يَـــومـــاً مُـــرَادَا
أَنَا أَخْشَى أَنْ لا يُساعدَنِي العمرُ لأَشْفِي مِنَ الزَّمانِ الفُؤَادَا

- ٩٤ -

يــبُــثُّــكَ عــقــلٌ لِلسَّــعــادةِ طَــالِبٌ
مَــدَى كُــلِّ يــومٍ نُــصْــحَــهُ ويُــرَدِّدُ

أَلا اغْنَمْ قَصِيرَ العُمْرِ لَسْتَ بِنَبْتَة
تَعُودُ فتنمُو بَعْدَ ما هِي تُحْصَدُ

- ٩٥ -

أَلا إنَّ مَنْ زَانُوا الوُجُودَ بِخَلْقِهِمْ
أَتَوا وتَولَّوا ثُمَّ يأتُونَ من بَعْدُ
فكمْ في السَّمَا والأَرْضِ خَلْقٌ وأَنْفُسٌ
تَجِيءُ لِهذا الكونِ ما بَقِي الفَرْدُ

- ٩٦ -

دَعْ ذِكْرَ أَمْسِ فهُو قدْ مَرَّ ودَعْ
ذِكْرَ غَدٍ فإِنَّهُ ما ورَدَا
لا تُعْنَ فِيمَا لمْ يرِدْ ومَا مَضى
واشْرَبْ لِئَلَّا يذْهبَ العُمْرُ سُدَى

- ٩٧ -

لستُ لِدَيرٍ صَالِحاً كلَّا ولا لِمَسْجِدِ
أَللَّهُ أَدْرَى بِثَرىً كوَّنَ مِنْهُ جَسَدِي
لا دِينَ أَو دُنيا ولا أَرجو الجِنانَ في غَدِ
كمُومِسٍ دَمِيمَةٍ أَو كفقِيرٍ مُلْحِدِ

- ٩٨ -

لِهلاكِنا تَجْرِي السَّماءُ ومَا لَها
إلا اغْتِيالُ نُفُوسِنَا من مَقْصَدِ

إجْلِسْ بِزَاهِي الرَّوضِ وارْتَشِفِ الطَّلا
فالرَّوضُ ينْبُتُ من ثَرَانَا في غَدِ

- ٩٩ -

كالمَاءِ في النَّهْرِ أو كالرِّيحِ وسْطَ فلا
الأَمْسُ من عُمُرِنَا ولَّى ولم يعُدِ
يومَانِ ما عِشْتُ لا أَعْنَى بِأَمْرِهِمَا
يومٌ تَولَّى ويومٌ بعْدُ لم يرِدِ

- ١٠٠ -

إنَّ ذاكَ القصْرَ الَّذِي زَاحَمَ الأُفُقَ وخَرَّتْ لَهُ المُلُوكُ سُجُودَا
هتَفَ الورْقُ في ذُرَاهُ يُنَادِي:[1]
أَينَ مَنْ صَيرُوا المُلُوكَ عَبِيدَا

- ١٠١ -

أُقْطُفْ وعَاقِرْ كأسَها مَعَ شَادِنٍ
كالسَّرْوِ قداً والزُّهُورِ خُدُودَا
فسَيغْتَدِي كالورْدِ من كفِّ الرَّدَى
ثَوبُ الحَياةِ مُخَضَّباً مَقْدُودَا

---

(١) الورق: ذَكَر الورقاء: الحمامة.

- ١٠٢ -

مَا نَفعَ الدَّهْرَ مَجِيئي ولا
يزِيدُهُ شَأنَاً رَحِيلِي غَدَا
مَا سَمِعَتْ أُذْنَاي من قائلٍ
ما نَفْعُ ذا العَيشِ وجَدْوى الرَّدَى؟

- ١٠٣ -

سُرورُ حَشاً يفُوقُ لَديَّ أجْراً
على تَعْمِيرِ أَنْحَاءِ الوُجُودِ
وجعْلِ الحُرِّ بالإحْسَانِ عَبْداً
أَرَاهُ يفُوقُ تَحْرِيرَ العَبِيدِ

- ١٠٤ -

لِلنَّجمِ يعْلُو زَفِيرِي كُلَّ دَاجِيةٍ
وسَيلُ دَمْعِي يمُدُّ البَحْرَ في مَدَدِ
قدْ قُلْتَ لِي: سَوف نَحْسُو الرَّاحَ بَعْدَ غَدٍ
لَعَلَّ عُمْرِي لا يمْتَدُّ بِي لِغدِ

- ١٠٥ -

خلِّ الهنَاءَ فعُمرُنا نَفسٌ ومِنْ
«جَمْشِيدَ» ذرَّاتُ الثَّرى و«قُبادِ»
ليسَ الوُجُودُ وعُمْرُنا الفانِي سِوى
وهْمٍ وتضْلِيلٍ وحُلْمِ رُقادِ

- ١٠٦ -

قالَ شيخٌ لِمُومِسٍ: أَنْتِ سَكْرى
كُلَّ آنٍ بِصاحِبٍ لكِ وجْدُ
فأَجابتْ: إِنِّي كما قُلْتَ لكنْ
أَنْتَ كما لدى النَّاسِ تبْدُو؟

- ١٠٧ -

دعْ كُلَّ قلْبٍ لمْ يُمازِجْهُ الهوى
أَحواهُ دَيرٌ أَمْ حواهُ مَسْجِدُ
وبِدفترِ العشَّاقِ مَنْ خُطَّ اسْمُهُ
لمْ يغْنِهِ خُلْدٌ ونارٌ تُوقدُ

- ١٠٨ -

يا صاحِبَ الدَّلِّ هذا الفجْرُ لاحَ فقُمْ
وغنِّ واشْربْ وأَطْفِئْ حُرقةَ الكَبِدِ
فمَنْ تراهُمْ هُنا لنْ يلْبثُوا أَمداً
ولنْ يعُودَ مِنَ الماضِينَ من أَحدِ

- ١٠٩ -

المالُ إنْ لمْ يغْدُ ذُخْرَ أُولِي النُّهى
فالفاقِدُونَ لهُ بِعيشٍ أَنْكَدِ
أَضْحى البنفْسجُ مُطْرِقاً من فقْرِه
والوَرْدُ يضْحكُ لاقْتناءِ العَسْجَدِ

- ١١٠ -

كـانَ هـذا الـكُـوزُ مِـثْـلِي عـاشِـقـاً
والِهـاً فـي صـدْغِ ظـبـيٍ أَغْـيـدِ
وأَرى عُـروتـهُ كـانـتْ يـداً
طـوَّقـتْ جِـيـدَ حـبِـيـبٍ أَجْـيـدِ

- ١١١ -

تُـسـائـلُنِـي مـا هـذِهِ الـنَّـفْـسُ إِنْ أَقُـلْ
حـقـيـقـتَـهـا يـضْـفُـو الـكـلامُ ويـمْـتـدُّ
هِـي الـنَّـفْـسُ مـن بـحْـرٍ بـدتْ ثُـمَّ إِنَّـهـا
تـغـيـبُ بِـذاكَ الـبـحْـرِ يـا صـاحِ مـن بَـعْـدُ

- ١١٢ -

قـضـيـنـا ولـمَّـا نـقْـضِ، وا أَسـفـي، الـمُـنـى
ومِـنْـجـلُ ذي الـزَّرْقـاءِ لـجَّ بِـنـا حـصْـدَا
فـلهْـفـاهُ مـا كِـدْنـا لِـنـفْـتـحَ طَـرْفـنـا
إِلـى أَنْ فـنِـيـنـا دُونَ أَنْ نُـدْرِكَ الـقـصْـدَا

- ١١٣ -

أَيـا خـزَّافُ إِنْ تـشْـعُـرْ فـحـاذِرْ
إِلـى مَ تُـهِـيـنُ أَنْـتَ ثـرى الـعِـبـادِ

سـحـقْـتَ بـنـانَ «إفْـرِيـدُونَ»[1] ظُـلْـمـاً
وَدُسْـتَ الـكـفَّ مـن كِـسْـرى «قُـبـادِ»

- ١١٤ -

إلـيـكَ نُـصْـحِـي إذا مـا كُـنـتَ مُـسْـتـمِـعـاً
لا تَـلْـبِـسـنْ ثـوبَ تَـدْلِـيـسٍ عـلـى الـجَـسَـدِ
الـعـمْـرُ يـفْـنَـى وعُـقْـبَـى الـمَـرْءِ دَائِـمَـةٌ
فـلا تَـبِـيـعَـنْ بِـفـانٍ عِـيـشـةَ الأَبَـدِ

- ١١٥ -

قـدْ قِـيـلَ لِي «رَمَـضَـانُ» جـاءَ فـسَـوف لا
تَـسْـطِـيـعُ رَشْـفـاً لابْـنَـةِ الـعُـنْـقُـودِ
فـسـأحْـتـسِـي بِـخِـتَـام «شَـعْـبَـانَ» الـطِّـلا
عَـلًّا لِـتـصْـرعَـنِـي لِـيـومِ الـعِـيـدِ

- ١١٦ -

خُـذْ بِـالـسُّـرورِ فـكـمْ بـفـكـرِكَ فـكَّـرُوا
بِـالأَمْـسِ دُونَ بُـلـوغِ أَدْنَـى مَـقْـصَـدِ

---

(١) الملك أفريدون من أحفاد جمشيد، وقد زعم بعض نسابة الفرس أن «نوحاً» هو أفريدون الذي قهر الضحّاك، وزعم بعضهم أنّ أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم لأن قصته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح ولحسن سيرته وهلاك الضحّاك «النمرود» على يديه. وقيل: إنه أول من سمّي الصوفي، وهو أوّل من نظر في علم الطبّ. وتذكر المصادر العربية القديمة أنه كان يقول: الأيام صحائف أعماركم فخلدوها بأحسن أعمالكم.

وانْـعَـمْ فـإِنَّـهُـمْ بِـأَمْـسِ قـرَّرُوا
لَكَ دُونَ أَنْ تَـدْعُـوهُـمْ أمْـرَ الـغَـدِ

- ١١٧ -

يـا مـنْ تـولَّدَ مـن «سـبْـعٍ وأَرْبـعَـةٍ»(١)
وراحَ مِـنْـهـا يُـعـانِـي سَـعْـي مُـجْـتَـهِـدِ
إِشْـرَبْ فـكـمْ لـكَ قـدْ كـرَّرْتُ مَـوعـظَـتِـي:
إِنْ رُحْـتَ رُحْـتَ ولـمْ تَـرْجِـعْ ولَـم تَـعُـدِ

- ١١٨ -

لا عَـيـشَ لِي بِـسِـوى صَـافِـي الـمُـدَامِ ولا
أُطِـيـقُ حَـمْـلًا بِـدُونِ الـرَّاحِ لِلْجَـسَـدِ
مَـا أَطْـيـبَ الـسُّـكْـرَ والـسَّـاقِـي يُـنـاوِلُـنِـي
كـأسـاً وتَـعْـجَـزُ عـن أَخْـذِ الـكُـؤُوسِ يـدِي

(١) ثمة نزعة هرمسية في هذه الرباعية خاصة في ما يتعلّق بأول الخلق، إذ تعتقد الهرمسية بأنَّ ألله خلق المواد الابتدائية التي هي كيان الكون. ثم فصل العناصر الأربعة: الماء، النار، الهواء والتراب. ثم كلّف تلك العناصر بتكوين السماوات السبع «عطارد، زهرة، جوبتر، زحل، الشمس، القمر وهذه الكواكب تدور فتفرض في دورانها القضاء في الأرض.

حرف الرَّاء

ـ ١١٩ ـ

مَـا لِلْبَـقـا هـادٍ وإِنْ يـكُ فـالـطِّـلا
والـكـأسُ أَفْـضَـلُ مُـرْشِـدِ الـمُـتَـحَـيِّـرِ
الـرَّاحُ مُـؤْنِـسـتـي فـلـيـسَ بِـمُـسْـعِـدِي
مـاءُ الـحـيـاةِ ولا حِـيـاضُ الـكـوثَـرِ

ـ ١٢٠ ـ

خُـذِ الـكُـوزَ والأَقْـدَاحَ يـا مُـنْـيـةَ الـحَـشَـا
وطُـفْ بِـهِـمَـا بِـالـرَّوضِ فـي ضـفَّـةِ الـنَّـهْـرِ
فـكـمْ قـدَّ هـذا الـدَّهـرُ مـن قـدِّ شَـادِنٍ
كُـؤوسـاً وإِبْـرِيـقـاً لِصَـافِـيـةِ الـخَـمْـرِ

ـ ١٢١ ـ

ولَـكـمْ شَـرِبْـتُ الـرَّاحَ حـتَّـى إنْ أَغـبْ
فـي الـرَّمْـسِ ضَـاعَ مِـنَ الـتُّـرَابِ عَـبِـيرُهـا
أَو مَـرَّ مَـخْـمُـورٌ عـلـى قـبْـرِي انْـتَـشَـا
مِـنْـهـا وأَفْـقَـدَهُ الـنُّـهـى تَـأْثِـيـرُهـا

- ١٢٢ -

عــلامَ تَــأســى لِلذَّنْــبِ يــا «عُــمَــرُ»
مــاذا تُــفِــيــدُ الــهُــمــومُ والــفِــكَــرُ
لا عَــفْــو عَــمَّــنْ لــمْ يــجْــنِ مــعْــصِــيــةً
الــعَــفْــوُ عَــمَّــنْ عــصــى فــمــا الــحَــذَرُ

- ١٢٣ -

إلَى مَ بِهذا الحِرْصِ تقْضِي مدى العُمْرِ
وتُــصــبــحُ لِلإثْــراءِ والــفــقْــرِ فــي فِــكْــرِ
أَلا اشْــرَبْ فــعُــمْــرٌ سَــوف يُــعــقــبُــهُ الــرَّدى
حَــقِــيــقٌ بــأَنْ تــقــضــيــهِ بــالــنَّــومِ والــسُّــكْــرِ

- ١٢٤ -

مُــذِ ازْدهــرتْ بِــالــبــدْرِ والــزُّهــرةِ الــسَّــمــا
إلــى الآنَ لــمْ يُــوجــدْ أَلَذُّ مــنَ الــخَــمْــرِ
فــيــا عــجــبــي مــن بــائــعِ الــرَّاحِ هــلْ يــرَى
أعــزَّ مِــنَ الــصَّــهــبــاءِ إنْ بــاعــهــا يــشْــرِي

- ١٢٥ -

إنَّ دِيــنِــي الــهــنــا ورشْــفُ الــحُــمَــيــا
وابْــتِــعــادِي عــن كُــلِّ دِيــنٍ وكُــفْــرِ

قُلْتُ ماذا يكُونُ مَهْرُ عرُوسِ الدَّهْرِ قالَتْ: جَذْلانُ قلْبِك مَهْرِي

ـ ١٢٦ ـ

كــانَ يـبْـدُو قـبْـلِي وقـبْـلَكَ صُـبْـحٌ
ودُجــىً والـسَّــمــا تــدورُ لأَمْــرِ
طَــأ بِــرِفْــقٍ هــذا الـتُّـرابَ فـقِـدْمَـا
كــانَ إنْـسَـانَ عَـيـنِ ظَـبْـيٍ أَغَــرٍّ[1]

ـ ١٢٧ ـ

إنْ كُنْتُ قبْلُ أَتَيتُ الدُّنيا بِدُونِ اخْتِيار
وسَوف أرْحَلُ حَتْماً عَنْها غَداً بِاضْطِرَارِ
فقُمْ نَدِيمِي سَرِيعاً واعْقِدْ نِطَاقَ الإزَارِ
فسَوف أَغْسِلُ همَّ الدُّنْيا بِصافِي العُقارِ

ـ ١٢٨ ـ

عِــشْ والـمُــدامَ بـضـفَّـةِ الـنَّـهْـرِ
ودَعِ الـهُـمُـومَ بِـجـانِـبٍ تَـجْـرِي
يـومـانِ ذا الـعُـمْـرُ الـثَّـمـيـنُ فـعِـشْ
طَـلْقَ الـمُـحَـيـا بـاسـمَ الـثَّـغْـرِ

---

(١) واضح أنَّ هذا البيت من الرباعية صياغة أخرى لبيت المعري: خفف الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الأرضِ إلا من هذه الأجسادِ.

- ١٢٩ -

شاهدْتُ ألفي جرَّةٍ في مَعْمَلٍ
تدْعُو ولمْ تَفْتَحْ بِنُطْقٍ فاها
فإذا بِإحْداها تُنادِي أينَ مَنْ
صنعَ الجِرارَ وباعَها وشَراها؟

- ١٣٠ -

كقطْرةٍ عادَتْ إلى الخِضَمِّ أَو
كذَرَّةٍ قدْ رجَعتْ إلى الثَّرَى
أَتيتَ لِلدُّنْيا وعُدْتَ حاكِياً
ذُبابةً بَدتْ وغابتْ أَثَرا

- ١٣١ -

لَئنْ عُمِّرْتَ صاحِي ألفَ حَولٍ
فسوفَ تعافُ هذِي الدَّارَ قهْراً
وإنْ تَكُ سائلًا أَو ربَّ تاجٍ
فذانِ غداً سيستويانِ قَدْرَا

- ١٣٢ -

سعى لِقصُورِ الخُلْدِ والحُورِ معشَرٌ
وإنَّ فريقاً بِالجُزافِ قدِ اغْتَرَّا
سيبدُو لهُمْ إنْ ينْجلِ السِّتْرُ أنَّهُمْ
نأَوا عنكَ أَقصى النَّأيِ في ذلكَ المَسْرَى

- ١٣٣ -

كُــلُّ عُــشْــبٍ يــبْــدُو بِــضــفَّــةِ نَــهْــرِ
قــدْ نــمــا مــن شــفــاهِ ظَــبْــيٍ أَغَــرِّ
لا تــطــأ ويــحــكَ الــنَّــبــاتَ احْــتِــقَــاراً
فــهُــو نــامٍ مــن مُــزْهِــرِ الــخــدِّ نَــضْــرِ

- ١٣٤ -

مــا بــيــنَ أُفْــقٍ لا ظُــهُــورَ لِغَــورِهِ
إِشْــرَبْ فــإِنَّ الــدَّهْــرَ لَجَّ بِــجَــورِهِ
واجْــرَعْ بِــدَورِكَ صَــابِــراً كــأسَ الــرَّدَى
فــالــكُــلُّ سَــوف يــذُوقُــهــا فــي دَورِهِ

- ١٣٥ -

لأَرْتَــشِــفُ الــمُــدامــةَ أَيَّ وقــتٍ
وإِنْ يــكُ أَشْــرَفَ الأَوقــاتِ قَــدْرَا
مَــلأتُ الــدَّنَّ مــن عِــنَــبٍ حَــلالٍ
فــقُــلْ لِلَّهِ لا يــجْــعَــلْهُ خَــمْــرَا

- ١٣٦ -

أَيــا فَــلَكــاً يــجْــرِي بِــبُــؤْسِــي خَــلِّنِــي
فــلســتُ حَــرِيّــاً أَنْ تَــسُــومــنــي الأَسْــرَا
إِذا كُــنْــتَ تَــهْــوى غــيــرَ حُــرٍّ وعَــاقِــلٍ
فــلســتُ كــمــا قــدْ خِلْتَنِي الــعَــاقِــلَ الــحُــرَّا

- ١٣٧ -

أَلا لـيـتَ الـثَّـواءَ يـكُـونُ أَو أَنْ
يـكُـونَ لـنـا انـتـهـاءٌ فـي الـمَـسِـيـرِ
ولـيـتَ لـنـا وإِنْ سـلفـتْ قُـرُونٌ
رجـاءَ أَنْ سـنـنـبُـتَ كـالـزُّهُـورِ

- ١٣٨ -

رَأَيـتُ فـي حـانَـةٍ شَـيـخـاً فـقُـلْتُ لَهُ:
أَلا تُـخـبِّـرُنـا عـمَّـنْ مضَـوا خَـبَـرا
قـالَ: ارْتَـشِـفْـهـا فـكـمْ أَمْـثـالُنـا رحَـلُوا
ولـمْ يـعُـودُوا ولـمْ نَـشـهـدْ لَهُـمْ أَثَـرا

- ١٣٩ -

مـرَرْتُ بِـمـعْـمـلِ الـخَـزَّافِ يـومـاً
وكـانَ يـجِـدُّ فـي الـعَـمَـلِ الـخَـطِـيـرِ
ويـصْـنَـعُ لِلْجِـرَارِ عُـرىً ثَـراهـا
يـدُ الـشَّـحَّـاذِ أَو رَأسُ الأَمِـيـرِ

- ١٤٠ -

عَـاطِـنِـي الـرَّاحَ فـهـي قُـوتٌ لِنَـفْـسِـي
واسْـقِـنِـيـهـا وإِنْ تَـزِدْ فـي خُـمَـارِي
إِنَّ هـذِي الـدُّنْـيـا أَسَـاطِـيـرُ وهـمٍ
وخَـيـالٍ والـعُـمْـرُ كـالـرِّيـحِ سَـارِي

- ١٤١ -

رَأَيـتُ فـي الـسُّـوقِ خَـزَّافـاً غَـدَا دَئِبـاً
يـدُوسُ فـي الـطِّـيـنِ رَكْـلًا غـيـرَ ذِي حَـذَرِ
والـطِّـيـنُ يـدْعُـو لِسَـانُ الـحـالِ مِـنْـهُ: أَلا
قـدْ كُـنْـتُ مِـثْـلَكَ فـارْفِـقْ بِـي ولا تَـجُـرِ

- ١٤٢ -

قِـيـلَ خُـلْدٌ غَـداً وحُـورٌ وكـوثَـرْ
أَنْـهُـرٌ مـن طِـلًا وشَـهْـدٍ وسُـكَّـرْ
فـعَـلَى ذِكْـرِهـا أَدِرْ لِي كـأسـاً
إنَّ نَـقْـداً مـن ألـفِ دَيـنٍ لأَجْـدَرْ

- ١٤٣ -

يـقُـولُونَ: حُـورٌ فـي الـغَـدَاةِ وجَـنَّـةٌ
وثَـمَّـةَ أَنْـهـارٌ مِـنَ الـشَّـهْـدِ والـخَـمْـرِ
إذا اخْـتَـرْتُ حَـورَاءَ هُـنَـا ومُـدَامَـةً
فـمَـا الـبَـأسُ فـي ذا وهـو عَـاقِـبَـةُ الأَمْـرِ

- ١٤٤ -

كـمْ فِـتْـنَـةٍ قِـدْمـاً أَثَـارَ مِـنَ الـثَّـرَى
إِذْ كـوَّنَ الـبَـارِي ثَـرَايَ وصَـوَّرَا
أَنَـا لا أُطِـيـقُ تَـرَقِّـيَـا عَـمَّـا أَنَـا
فِـيـهِ فـطِـيـنِـي أَفْـرَغُـوهُ كـمـا تَـرَى

- ١٤٥ -

فِـيـمَ وروضُ سَـعْـدِكَ الـيـومَ زَهـى
كـفُّـكَ مـن كـأسِ الـمُـدَامِ تُـصْـفِـرُ
إشْـرَبْ فـهـذا الـدَّهـرُ خَـصْـمٌ غَـادِرٌ
ونَـيـلُ مِـثْـلِ الـيـومِ سَـوف يـعْـسُـرُ

- ١٤٦ -

هـاتِ ذَوْبَ الـعَـقِـيـقِ وسَـطَ زُجَـاجِ
هـاتِ خَـيـرَ الـجَـلِـيـسِ لِلأَحْـرَارِ
إنَّـمَـا عَـالَمُ الـتُّـرَابِ كـريـحٍ
يـنْـقـضِـي مُـسْـرِعـاً فـجِـئْ بِـالـعُـقَـارِ

- ١٤٧ -

مَـا تَـصْـنَـعُ الأَفْـلاكُ يـومـاً طِـيـنَـةً
إلا وتَـكْـسِـرُهـا وتُـرْجِـعُـهـا الـثَّـرَى
لَو كـانَ يـحْـتَـمِـلُ الـسَّـحَـابُ ثَـرىً غَـدَا
لِنُـشُـورِنَـا بِـدَمِ الأَعِـزَّةِ مُـمْـطِـرَا

- ١٤٨ -

إذا كُـنْـتَ تَـسْـعَـى فـي الـحَـيـاةِ لِمَـطْـعَـمٍ
إلـى مَـشْـرَبٍ أَو مَـلْـبَـسٍ فـلَـكَ الـعُـذْرُ
وفِـيـمَـا عَـدَا هـاتِـيـكَ فـالـسَّـعْـيُ ذاهِـبٌ
هـبَـاءً فـحَـاذِرْ أَو يـضِـيـعَ بِـهِ الـعُـمْـرُ

- ١٤٩ -

غَسَلَ الرَّبِيعُ بِغَيثِهِ الصَّحْرَاءَ والأَ
فْرَاحُ عَادَتْ لِلزَّمَانِ فأَزْهَرَا
إشَرْبَ ومُخْضَرَّ العِذارِ بِرَوضَةٍ
لِتَسُرَّ مَنْ مِنْ رَمْسِهِ اخْضَرَّ الثَّرَى

- ١٥٠ -

مَتَى اقْتَلَعَتْ كفُّ المَنِيةِ دَوحَتِي
وعُدْتُ لَدَى أَقْدَامِهِا أَتَعَفَّرُ
فلا تَصْنَعُوا طِينِي سِوى كُوزِ قَرْقَفٍ
عَسَى يمْتَلِي بِالرَّاحِ يوماً فأُنْشَرُ

- ١٥١ -

لَمْ يبْقَ مِنِّيَ فِي الدُّنْيا سِوى رَمَقٍ
ولَيسَ في اليدِ من صَحْبِي سِوى الكَدَرِ
لَمْ يبْقَ لِي من طِلا أَمْسِ سِوى قَدَحٍ
ولَسْتُ أَعْلَمُ ما البَاقِي مِنَ العُمُرِ

- ١٥٢ -

حتّى مَ ذِكْرُكَ لِلْجِنَانِ أَو الجَحِيمِ المُسْعَرَه
وإلَى مَتَى سُرُجُ المَسَاجِدِ أَو بُخُورُ الأَدْيِرَهْ
أُنْظُرْ إلى لَوحِ القضَا واسْتَجِلْ واقْرَأ أَسْطُرَهْ
فاللَّهُ قِدْماً كُلَّمَا هُو كائنٌ قدْ قدَّرَهْ

- ١٥٣ -

كُلُّ شَوكٍ يدُوسُهُ حَيوانٌ
كانَ صِدْغاً أَو حَاجِباً لِغَرِيرِ
وكذا اللِّبْنُ في ذُرَى كلِّ قصْرٍ
رَأسُ مَلْكٍ أَو إصْبعٌ لِوزِيرِ

- ١٥٤ -

لا تغْضبنَّ على النَّشاوى والتزِمْ(١)
حُسْنَ السُّلوكِ وسِيرةَ الأَخْيارِ
واشْربْ فلسْتَ بِشُرْبِها أَو تَرْكِها
تَرِدُ الجِنانَ وأَنْتَ طُعمةُ نارِ

- ١٥٥ -

أَخافُ أَنْ لا أَعِيشَ بعدُ ولا
أُدْرِكَ جَمْعَ الرِّفاقِ إنْ حَضَرُوا

---

(١) النشاوى: جمع نشوان.

فلْنغتنِمْ لحظةً نَعِيشُ بِها
لعلَّ من بعدُ ينْفدُ العُمُرُ

- ١٥٦ -

قالُوا: ألا إنَّ النَّشَاوى في لَظى
قولٌ لَهُ عَقْلُ المُفكِّرِ مُنْكِرُ
إنْ كانَ مَنْ يهوى ويسكرُ في لظى
سترَى الجِنانَ كراحةِ اليدِ تُصْفِرُ

- ١٥٧ -

أرَانِي مِنَ الصَّهباءِ لمْ أصْحُ لحظةً
وأَثْملُ حتَّى إنْ تَكُنْ ليلةُ القَدْرِ
أُعَانِقُ دِنّاً أو أُقبِّلُ أكْؤُساً
وكفِّي بجِيدِ الكُوزِ تَبْقى إلى الفجْرِ

- ١٥٨ -

وشَيخٌ بِنَومِ السُّكْرِ مُغْفٍ رَأَيتُهُ
ولمْ تبقَ فِيهِ فِطْنَةٌ وشُعُورُ
حساها وأَغْفى وهو نَشْوانُ قائلًا
إلَهِي لَطِيفٌ بِالعبادِ غَفُورُ

- ١٥٩ -

قدْ قِيلَ لِي: قلِّلْ تعاطِي الخَمْرِ
بِأيِّ عُذْرٍ لمْ تزلْ في سُكْرِ

نُـورُ الـطِّـلا عُـذْرِي وخـدُّ الـسَّـاقِـي
فـهـلْ تـرى أَوضـحَ مـن ذا الـعُـذْرِ

- ١٦٠ -

إنَّ أَجـرامَ ذا الـرَّواقِ الـمُـعَـلَّى
حـيَّـرتْ مـن ذوِي الـنُّـهـى الأَفْـكـارَا
إحْـتَـفِـظْ فـي شـريـفِ عـقـلكَ وأَنْـظُـرْ
دورَ هـذِي الـمُـدبِّـرَاتِ حَـيـارَى

- ١٦١ -

قُـمْ أَيُّـهـا الـشَّـيـخُ الـلَّـبِـيبُ مُـسـارِعـاً
وانْـظُـرْ لِذاكَ الـطِّـفْـلِ يُـذْرِي بِـالـثَّـرَى
فانْصحْهُ أَنْ يُذْرِي بِرِفْقٍ عينَ «بَرْوِيزِ»[1] ومُخَّ «قُبَادَ» سُلْطانِ الورى

- ١٦٢ -

لـمْ يـهْـنَ فـي هـذا الـزَّمـانِ سِـوى امْـرِئٍ
عـرفَ الـوُجُـودَ بِـخَـيـرِهِ وبِـشَـرِّهِ

(١) وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، ومعنى أبرويز بالعربية: المظفر، ويعرف بخسرو الثاني، وهو جد كسرى يزدجرد آخر ملوك الدولة الساسانية، التي انهارت على يد الجيش الإسلامي، وارتبطت فترة حكم أبرويز بالتحولات الكبرى في المنطقة، فهو الذي هزم الروم في بلاد الشام وفي ذلك نزلت الآية من سورة الروم «الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ» ووصلت حدود مملكته أقصى حدود ذروتها قبل أن تنهار، على يد العرب، فقد حدثت في فترة حكمه معركة ذي قار بين العرب والفرس، وفي عهده كذلك ظهر الإسلام في الجزيرة العربية. وهو الذي أرسل له النبي محمد رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فمزق أبرويز الرسالة، ولما علم النبي محمد بذلك قال: اللهمَّ مزِّق ملكه.

أَو غَـافِـلِ عـن نَـفْـسِـهِ وزَمـانِـهِ
لـمْ يـدْرِ مـا فـي نَـفْـسِـهِ أَو دَهـرِهِ

ـ ١٦٣ ـ

هـلِ الـجَـامُ مَـهـمَـا تَـمَّ صُـنْـعـاً ودِقَّـةً
يـرَى كـسْـرَهُ مَـنْ كـانَ مُـنـتَـشِـيـاً سُـكْـرَا
فـفِـيـمَ بـرى الـخَـلَّاقُ سـاقـاً لَطِـيـفـةً
ورَأْسـاً وكَـفّـاً ثُـمَّ يـكْـسِـرُهـا كَـسْـرَا؟

ـ ١٦٤ ـ

لَو كـانَ لِي كـالـلَّهِ فـي فـلَكٍ يـدٌ
لـمْ أُبْـقِ لِلأَفْـلاكِ مـن آثَـارِ
وخَـلَقْـتُ أَفْـلاكـاً تَـدُورُ مَـكـانَـهـا
وتَـسِـيـرُ حَـسْـبَ مـشـيـئـةِ الأَحْـرارِ

ـ ١٦٥ ـ

مـا أَسْـرعَ مـا يـسِـيـرُ رَكْـبُ الـعُـمْـرِ
قُـمْ فـاغْـنَـمْ لَحْـظَـةَ الـهـنَـا والـبِـشْـرِ
دَعْ هـمَّ غَـدٍ لِمَـنْ يـهِـمُّـونَ بِـهِ
والـلَّيـلُ سَـيـنْـقـضِـي فـجِـئ بِـالـخَـمْـرِ

ـ ١٦٦ ـ

قـالُوا دَعِ الـرَّاحَ سَـتَـلْقـى الـبَـلا
مِـنْـهـا وتُـلْقـى فـي لَظـىً مُـسْـعَـرَهْ

نـعـمْ ولـكـنْ نـشْـوتِـي لـحْـظـةٌ
أَحْـلَى مِـنَ الـدُّنْـيـا مَـعَ الآخِـرَهْ

ـ ١٦٧ ـ

أَوجَـدْتَـنِـي يـا رَبِّ مـن عَـدَمٍ ولِي
أَسْـدَيـتَ فـضْـلًا مـا لَهُ مِـقْـدَارُ
عُـذْرِي بِـأَنِّـي عِـنْـدَ حُـكْـمِـكَ عَـاجِـزٌ
مـا دَامَ يـومـاً مـن ثَـرَاي غُـبَـارُ

ـ ١٦٨ ـ

كـمْ جُـبْـتُ مـن وادٍ وسَـهْـلٍ دُونَ أَنْ
أَحْـظَـى بِـتَـحْـسِـينٍ لِبَـعْـضِ أُمُـورِي
قـدْ سَـرَّنِـي أَنَّ الـحَـيـاةَ قـدِ انْـقـضَـتْ
عَـنِّـي وإِنْ تَـكُ مـا انْـقـضَـتْ بِـسُـرُورِ

ـ ١٦٩ ـ

قـدْ دَاعَـبَـتْ رِيـحُ الـصَّـبَـا الـورْدَ وقـدْ
هـاجَ الـهِـزَارَ حُـسْـنُـهُ فـاسْـتَـبْـشَـرَا
إِجْـلِسْ لَدَى الـزَّهـرِ فـكـمْ عـلى الـثَّـرَى
تَـنَـاثَـرُ الأَزْهـارُ إِذْ نَـحْـنُ ثَـرَى[1]

(١) وقد ورد البيت الثاني من الرباعية المذكورة بشكلٍ آخر هذا تعريبه:
إِجْلِسْ بِظِلِّ الزَّهْرِ فالأَزْهارُ كَمْ مِنَ الثَّرَى بَدَتْ وعَادَتْ لِلثَّرَى

- ١٧٠ -

أَلا لَيتَ رَبِّي يقْلِبَ الكونَ بَغْتَةً
ويُنْشِؤُهُ حالًا لأَنْظُرَ ما يجْرِي
فإِمَّا يزِيدُ الرِّزْقُ لِي أو يُميتُني
ويمْحُو اسْمِي المَسْطُورَ من دَفْترِ الدَّهْرِ

- ١٧١ -

هاتِ المُدَامَ ففِي الفُؤَادِ لَواعِجٌ
والعُمْرُ مِثْلُ الزِّئْبَقِ الفرَّارِ
إِنْهضْ فيقْظَةُ عُمْرِنَا نومٌ ومَا
نَارُ الصِّبَا إلا كمَاءٍ جَارِي

- ١٧٢ -

قالُوا سَيشْتَدُّ الحِسَابُ بِنَا غَداً
ويضِيقُ صَدْرُ حَبِيبِنَا في المَحْشَرِ
أَيكُونُ من حَسَنٍ سِوى حَسَنٍ إِذَنْ
حَسُنَتْ عَواقِبُنَا فطِبْ واسْتَبْشِرِ

- ١٧٣ -

سَأَلْتُكَ: هلْ زَادَتْ بِمُلْكِكَ طَاعَتِي
وهلْ أَنْقصَتْ مِنْهُ خَطَايَاي من قَدْرِ
فدَعْنِي ودَعْ نَصْرِي فطَبْعُكَ بَانَ لِي
سَرِيعٌ لِخِذْلانٍ بَطِيءٌ عَنِ النَّصْرِ

- ١٧٤ -

أُسْلُكْ سَبِيلَ بَنِي الحَانَاتِ واسْعَ إلى
راحٍ وعُودٍ وظَبْيٍ يبهج النظرا
في الكف كأسٌ وفوق المتنِ كُوزُ طِلا
إشْرَبْ حَبِيبِي الحُمَيا واتْرُكِ الهذَرَا

- ١٧٥ -

لم ينَمُ في الصَّحْرَاءِ رَوضُ شَقائقٍ
إلا وكانَ دماً جرى لأميرِ
وكذاكَ كُلُّ وُرَيقةٍ بِبَنَفْسَجٍ
خالٌ بدا زمنا بِخَدٍّ غريرِ

- ١٧٦ -

إنْ كُنْتَ تَفْقهُ يا هذا الفقِيهُ فلِمْ
تلحو فلاسفةً دانوا بأفكار
هُمْ يبْحَثُونَ عنِ البارِي وصَنْعَتِهِ
وأنْتَ تبحثُ عن حيضٍ وأقْذارِ

- ١٧٧ -

أَتَدْرِي لماذا يُصْبِحُ الدِّيكُ صَائحاً
يُرَدِّدُ لَحْنَ النَّوحِ في غُرَّةِ الفجْرِ؟
يُنَادِي: لقدْ مَرَّتْ مِنَ العُمْرِ لَيلَةٌ
وها أَنْتَ لمْ تَشْعُرْ بِذاكَ ولمْ تَدْرِ

- ١٧٨ -

هـذا الـفـضَـاءُ الَّذِي فِـيـهِ نَـسِـيـرُ حَـكـى
فـانُـوسَ سِـحْـرٍ خَـيـالِيَّـاً لَدَى الـنَّـظَـرِ
مِـصْـبَـاحُـهُ الـشَّـمْـسُ والـفـانُـوسُ عَـالَمُـنـا
ونَـحْـنُ نَـبْـدُو حَـيـارَى فِـيـهِ كـالـصُّـورِ

- ١٧٩ -

إذا لـمْ أَنَـلْ ورْداً فـحَـسْـبِـيَ شَـوكُـهُ
وإنْ لـمْ أَنَـلْ نُـوراً كـفـتْ عِـنْـدِيَ الـنَّـارُ
وإنْ لـمْ أَكُـنْ شَـيـخـاً بِـبُـرْدٍ وتَـكْـيـةٍ
فـحَـسْـبِـيَ نَـاقُـوسٌ ودَيـرٌ وزِنَّـارُ

- ١٨٠ -

دَخَـلْـتُ فـي الـحَـانِ نَـشْـوانـاً وكـانَ بِـهِ
شَـيـخٌ عـلى مَـتْـنِـهِ كُـوزٌ وقـدْ سَـكِـرَا
فـقُـلْـتُ: هـلَّا مِـنَ الـلَّهِ اعْـتَـرَاكَ حَـيَـا
قـالَ: اخـسِـهـا فـهْـو يـغْـفُـو واتْـرُكِ الـهـذَرَا

حرف الزَّاي

- ١٨١ -

عَـنِ الـهـمِّ أَعْـرِضْ مـا اسْـتَـطَـعْـتَ ولا تَـدعْ
لِمَـا مَـرَّ أَو مـا لَـم يـرِدْ فـي الـحَـشَـا وخْـزَا
وعِـشْ وارْتَـشِـفْ واهْـنَـأ فـلسْـتَ بِـآخـذٍ
لـرمْـسِـكَ مـن فـلْسٍ وإنْ تَـمْـتَـلِكْ كـنْـزَا

حرف السّين

ـ ١٨٢ ـ

يـا لِهـذا الـقـلْبِ الـبَـئـيـسِ الـمُـعَـنَّـى
لـمْ يُـفِـقْ مـن هـوى الـحَـبِـيـبِ الـقـاسِـي
مُـــذْ أَدَارُوا سُــلافَــةَ الــحُــبِّ قِـــدْمــاً
مَــلأوا مَــن دَمِ الــحُــشَــاشَــةِ كــاسِــي

ـ ١٨٣ ـ

حـتَّـى مَ أُضـبِـحُ فـي هـمٍّ بِـأَنِّـيَ: هـلْ
أَهْــنَــا وأَحْـزَنُ؟ أَو أُثْــرِي وأبْــتَــئِــسُ؟
هـاتِ الـمُـدَامَ فـإِنِّـي لـسـتُ أَعْـلَـمُ هـلْ،
مَـتَـى زَفـرْتُ لِصَـدْرِي، يـرْجِـعُ الـنَّـفـسُ؟

ـ ١٨٤ ـ

الرَّاحُ أَطْيبُ لِي من مُلْكِ «طُوسَ»[١] ومِنْ
سَرِيـرِ كِسْرَى وتَـخْـتِ الـمَـلْكِ قـابُـوسِ[٢]

---

(١) طُوس: هي مدينة بخراسان، قريبة من نيسابور، وبها قبر علي بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد. وتعد ممراً قديما نحو الصين.

(٢) قابوس بن المنذر الثالث، ويعرف كذلك بقابوس ابن هند، ملك من ملوك العرب

وإِنَّمَا أَنَّةُ السِّكِّيرِ في سَحَرٍ
خَيرٌ مِنَ الزُّهْدِ والتَّقوى بِتَدْلِيسِ

- ١٨٥ -

رُبَّ طَيرٍ في «طُوسَ» ألقى لَديهِ
رَأسَ قابُوسَ ذِي العُلَى والبَاسِ
وهُو يدْعُوهُ أَيُّها الرَّأسُ لَهْفاً
أَينَ صَوتُ الطُّبُولِ والأَجْرَاسِ؟

- ١٨٦ -

أَلا قُمْ لِنَحْسُوها ونُعْمِلَ عُودَنَا
ونُبْدِلَ حُسْنَ الصِّيتِ بِالعَارِ والرِّجْسِ
ودَعْنا نبِعْ بِالكأسِ سَجَّادَةَ التُّقى
ونَكْسِر فوقَ الصَّخْرِ قارُورَةَ القُدْسِ

- ١٨٧ -

إِنْ اشْتَهرتَ فشَرُّ النَّاسِ أَنْتَ وإِنْ
كُنْتَ انْزَويتَ فقدْ عَانَيتَ وُسْواساً

اللخميين، ملوك «الحيرة» عاصمة العراق في الجاهلية. تولاها بعد مقتل أخيه «عمرو ابن هند» ولطرفة بن العبد أبيات في هجائه وهجاء أخيه عمرو لن هند:

لعمركَ إنّ قابوسَ بنَ هندٍ ليخلِطُ مُلكَهُ نوكٌ كَثيرُ
قسَمْتَ الدّهرَ في زمنٍ رخيٍّ كذاكَ الحُكْمُ يَقصِدُ أو يجورُ

لَو كُنْـتَ خِـضْـراً وإلْيـاسـاً سـعِـدْتَ بِـأَنْ
لا تُـعْـرَفــنَّ وأَنْ لا تَـعْــرِف الـنَّــاسَــا

ـ ١٨٨ ـ

دَعْ كُــلَّ مَــفْــرُوضٍ ومَــنْــدُوبٍ ومِــنْ
قُــوتٍ لَدَيْــكَ فــأَطْــعِــمَــنَّ الــنَّــاسَــا
لا تُــؤْذِ خَــلْقَ الــلَّهِ أَو تَــغْــتــبْــهــمُ
وأَنَــا الــضَّــمِــيــنُ غَــداً فــهــاتِ الــكــاسَــا

ـ ١٨٩ ـ

يــا خَــمْــرُ مــا أَحْــلاكِ وسْــطَ زُجَــاجَــةٍ
تَــالــلَّهِ أَنْــتِ عِــقــالُ عَــقْــلِ الــحَــاسِــي
لا تُــمْــهِــلِــيــنَ مَــنِ احْــتَــسَــاكِ هُــنَــيــهــةً
حــتَّــى تُــبِــيــنِــي كُــنْــهَــهُ لِلنَّــاسِ

ـ ١٩٠ ـ

إِذا ازْدَانَــتِ الــدُّنْــيــا لَدَيْــكَ فــلا تَــثِــقْ
بِــمَــا لــمْ يــثِــقْ فِــيــهِ لَبِــيــبٌ وكــيِّــسُ
فــمِــثْــلُكَ كــمْ آتٍ إِلَيــهــا وذاهِــبٍ
فقُــمْ واخْــتَــلِسْ حَــظــاً بِــهــا فــسَــتُــخْــلَسُ

ـ ١٩١ ـ

مَــرَّتْ لَيــالٍ نَــحْــنُ لــمْ نُــغْــمِــضْ بِــهــا
طَــرْفــاً ولــمْ نَــتْــرُكْ دِهــاقَ الــكــاسِ

قُـمْ نَـخْـسُـهـا قـبْـلَ الـصَّـبـاحِ فـكـمْ لَهُ
نَــفَــسٌ ونَـــحْــنُ لَقــىً بِــلا أَنْــفــاسِ

- ١٩٢ -

لــمْ يـبْـقَ غَـيـرُ اسْـمٍ مِـنَ الــلَّذاتِ أو
غَـيـرُ الـسُّـلافـةِ مـن جَـلِيـسٍ كـيِّـسِ
لا تُـلْقِ مـن يـدِكَ الـمُـدَامَ فـمَـا بَـقِـي
فـي الـكـفِّ هـذا الـيـومَ غَـيـرُ الأَكْـؤُسُ

حرف الشّين

- ١٩٣ -

هاتِ المُدَامَ فمَا الدُّنْيا سِوى نَفسٍ
يكْفِيكَ عَيشُكَ آناً مِنْهُ مُنْتَعِشَا
إهْنَأ بِكُلِّ الَّذِي يأتِي الزَّمانُ بهِ
فلَيسَ يجْرِي كما يهْوى امْرُؤٌ وبَشَا

حرف الصّاد

- ١٩٤ -

لَو تَسْقِي الطَّودَ لاعْتَرَاهُ الرَّقْصُ
مَنْ ينْتَقِصِ الرَّاحَ فَفِيهِ النَّقْصُ
حتَّى مَ تَقُولُ لِي: عَنِ الرَّاحِ فتُبْ
هذِي رُوحٌ بِها يُرَبَّى الشَّخْصُ

حرف الضّاد

- ١٩٥ -

أُنْظُرِ العُمْرَ كيف يمْضِي حَزِيناً
فابْتَدِرْهُ فسوف يُودِي ويقْضِي
مَا رَأَيتُ الهنَاءَ عُمْرِي فلَهْفِي
لِحَيَاةٍ كذا تَمُرُّ وتَمْضِي

- ١٩٦ -

إذا ما أَتَينَا خَاشِعِينَ لِمَسْجِدٍ
فلمْ نَأتِ نَقْضِي لِلصَّلاةِ فُرُوضَها
ولَكِنْ سَرَقْنا مِنْهُ سَجَّادَةً ومُذْ
عَرَاها البِلَى جِئْنا لِكي نسْتَعِيضَها

حرف العين

- ١٩٧ -

مَا أَهْرَقَ السَّاقِي سُلافاً في الثَّرَى
إلا وأَطْفأَ نارَ قلْبٍ مُولَعِ
أَتَظُنُّ رَاحاً ذَلِكَ المَاءَ الَّذِي
يُودِي بِمَائةِ عِلَّةٍ في الأَضْلُعِ

- ١٩٨ -

إِلَهِي ومُجْرِي كُلِّ حَيٍّ ومَيِّتٍ
ورَبَّ السَّمَا ذاتِ النُّجُومِ السَّواطِعِ
لَئنْ كُنْتُ ذا سُوءٍ فإِنَّكَ سَيِّدِي
ومَا هُو ذَنْبِي إنْ تَكُنْ أَنْتَ صَانِعِي

- ١٩٩ -

الدَّهْرُ من عُمْرِيَ لَحْظَةٌ ومَا
«جَيحُونُ» إلا قَطْرَةٌ من أَدْمُعِي
النَّارُ من أَحْزَانِنا شَرَارَةٌ
والخُلْدُ لَحْظَةُ الهَنَاءِ المُسْرِعِ

- ٢٠٠ -

كُنْتُ بَازاً فطِرْتُ من عَالَمِ السرِّ لأَغْدُو عَنِ الحَضِيضِ رَفِيعَا
حَـيـثُ إنِّـي لـمْ الـقَ لِلسِّـرِّ أَهْـلًا
عُـدْتُ مـن حَـيـثُ قـدْ أَتَـيـتُ سَـرِيـعَـا

- ٢٠١ -

إنْ يـهْـوِ كـالـكُـرَةِ الـوُجُـودُ بِـهُـوةٍ
لـمْ يـغْـنِـنِـي وأنـا بِـسُـكْـرِي هـاجِـعُ
بالأَمْسِ في حَانِ المُدَامِ رُهِنْتُ والخَمَّارُ كانَ يقُولُ: رَهْنٌ نَافِعُ

- ٢٠٢ -

ذُ اللُّبِّ لا يُصْبِحُ في همٍّ عَدِيمِ المَنْفعَةْ
ويشْرَبُ الرَّاحَ تِبَاعاً في كُؤُوسٍ مُتْرَعَةْ
أَلهمُّ في القلبِ وفِي الكُوزِ المُدَامُ مُودَعةْ
بُؤْساً لِمنْ عَاف الطِّلا واحْتَملَ الهمَّ مَعَهْ

- ٢٠٣ -

إذا كـانَ يـجْـرِي الـدَّهْـرُ عَـكْـسَ مَـرَامِـنـا
فـهـلْ جِـدُّنـا يُـجْـدِي أَوِ الـفِـكْـرُ يـنْـفـعُ
جَـلَـسْـنـا زَمَـانـاً حَـائـرِيـنَ لأَنَّـنـا
إلـى الـعَـيـشِ أَبْـطَـأنـا ولِلمَـوتِ نُـسْـرِعُ

حرف الفاء

ـ ٢٠٤ ـ

نـحـنُ نـبـيـعُ الـتَّـخْـتَ والـتَّـاجَ بـصـوتِ الـمِـغْـزَفِ
ونـشـتـرِي بِـسُـبْـحَـةِ الـرِّيـاءِ كـأسَ قَـرْقَـفِ

ـ ٢٠٥ ـ

مـررْتُ أَمْـسِ بِـخـزَّافٍ يُـدقِّـقُ فـي
صُـنْـعِ الـثَّـرى دائـبـاً مـن دُونِ إنْـصَـافِ
شاهـدْتُ إنْ لـمْ يُـشاهِـدْ غَـيرُ ذي بـصَـرِ
ثَـرى جُـدودِي بـكـفَّـي كُـلِّ خَـزَّافِ

ـ ٢٠٦ ـ

حُـسْـنُ الأُمُـورِ وقُـبْـحُـهـا مـن نـحـوِنـا
ومِـنَ الـقـضـا فـرَحٌ وحُـزْنٌ مُـذْنِـفُ
لا تَـعْـزُ لِلأَفْـلاكِ تِـلـكَ فـإنَّـهـا
أوهـى بِـشَـرْعِ الـحُـبِّ مِـنْـكَ وأَضْـعَـفُ

- ٢٠٧ -

مَنْ نالَ في اليومينِ جُرْعةَ ماءٍ
من جرَّةٍ مكسُورةٍ ورَغِيفا
لِمَ يغْتَدي عَبْداً لِمَنْ هُو مِثْلُهُ
أَو سائماً مَنْ دُونهُ تكْلِيفا؟

- ٢٠٨ -

قُمْ نصْطَبِحْها خَمْرَةً ورْدِيةً
في رَنَّةِ العُودِ وصَوتِ المِعْزَفِ
أُصْحُ فأَيامُ التَّرَاوِيحِ انْقضتْ
واليومَ عِيدٌ فلنسِرْ لِلقَرْقَفِ[1]

- ٢٠٩ -

يا دَهْرُ هلْ بالَّذِي تَأتِيهِ تَعْتَرِفُ
أَلمْ تَزَلْ بِزَوايا الظُّلمِ تَعْتَكِفُ
تُعْطِي اللَّئيمَ نعِيماً والكرِيمَ عَنا
لا شَكَّ إمَّا حِمَارٌ أَنْتَ أَو خَرِفُ

- ٢١٠ -

غَداً إذا ما كانَ يومُ الجَزَا
قدْرُكَ يغْدُو حَسَبَ المَعْرِفهْ

---

(١) القرقف: من أسماء الخمر.

فـنَـلْ صِـفـاتٍ حَـسُـنـتْ إنَّـمَـا
تُـحْـشَـرُ إنْ مُـتَّ بِـشَـكْـلِ الـصِّـفَـهْ

- ٢١١ -

أَلْبَـحْـثُ فـي الـدَّهْـرِ لـمْ يُـثْـمِـرْ لَـنا ثَـمَـراً
فـمَـا نـحَـاهُ امْـرُؤٌ بِـالـحِـكْـمـةِ اتَّـصَـفـا
كُـلُّ امْـرِئٍ هـزَّ غُـصْـنـاً مِـنْـهُ مُـضْـطَـرِبـاً
الـيـومُ كـالأَمْـسِ والآتِـي كـمـا سَـلـفـا

- ٢١٢ -

يـدٌ لِي فـي جَـامٍ وأُخْـرَى بِـمُـصْـحَـفِ
وطَـوراً أَنـا الـجـانِـي وطَـوراً أَنـا الـعَـفُّ
أَعِـيـشُ ومَـا لِـي تَـحْـتَ ذا الأُفْـقِ مَـبْـدَأٌ
فـلا مُـسْـلِـمٌ مَـحْـضٌ ولا كـافِـرٌ صِـرْفُ

حرف القاف

ـ ٢١٣ ـ

تَـوضَّـأ إذا مـا كُـنْـتَ فـي الـخَـانِ بِـالـطِّـلا
فـمَـنْ يـفْـتَـضِـحْ شَـأنـاً فـلا يـرْجُ أَنْ يـرْقـى
أَدِرْ لِي الـحُـمَـيـا إنَّ سِـتْـرَ عَـفـافِـيـا
قَـدِ انْـشَـقَّ حـتَّـى لا نُـطِـيـقَ لَهُ رَتْـقـا

ـ ٢١٤ ـ

إنَّ مَـنْ لازَمُـوا الـمَـحَـارِيـبَ لَيـلًا
والأُلَى عَـاقـرُوا كُـؤُوسَ الـرَّحِـيـقِ
غَـرِقَ الـكُـلُّ مـا بِـهِـمْ قَـطُّ نـاجٍ
وغَـفـوا كُـلُّهُـمْ فـمَـا مـن مُـفِـيـقِ

ـ ٢١٥ ـ

هـاتِـهـا كـالـشَّـقِـيـقِ أَو كـالـعَـقِـيـقِ
وأَسِـلْ بِـالـدِّمَـا فَـمَ الإبْـرِيـقِ
مـا لِيَ الـيـومَ غَـيـرُ كـأسِ الـحُـمَـيـا
مـن صَـدِيـقٍ صَـافِـي الـضَّـمِـيـرِ رَفِـيـقِ

- ٢١٦ -

لا يـروقُ الـوُجُـودُ مـن دُونِ سَـاقِـي
ومُـدَام وصَـوتِ نـايِ عِـرَاقِـي
لا أَرَى الـعَـيشَ مـا تَـفـكَّـرْتُ فِـيـهِ
غَـيـرَ نـيـلِ الـسُّـرُورِ بَـيـن الـرِّفـاقِ

- ٢١٧ -

مَتَى انْبَلَجَ الصُّبْحُ المُشَعْشِعُ فلْيكُنْ
بِـكـفِّـكَ لِلصَّـهْـبَـاءِ جَـامٌ مُـرَوقُ
يـقُـولُون إنَّ الـرَّاحَ مُـرٌّ مَـذاقُـهـا
فـقُـلْتَ إذنْ فـالـرَّاحُ حَـقٌّ مُـحَـقَّـقُ

- ٢١٨ -

الـدَّهْـرُ مـا صَـافـى امْـرءاً كـلَّا وكـم
مـن عَـاشِـقٍ أَرْدَى ومِـنْ مَـعْـشُـوقِ
مَـنْ مَـاتَ لا يـحْـيـى لَعَـمْـرُكَ مَـرَّةً
أُخْـرَى فـبَـادِرْ واحْـسُ جَـامَ رَحِـيـقِ

- ٢١٩ -

فـكَّـرَتْ فـي الـدِّيـنِ أَقْـوامٌ كـمَّـا
حَـارَ بَـيـن الـشَّـكِّ والـقـطْـعِ فـرِيـقْ
فـإذا الـهـاتِـفُ يـدْعُـوهُـمْ أَيـا
بُـلْهُ لا هـذا ولا ذاك الـطَّـرِيـقْ

ـ ٢٢٠ ـ

زَيـنْـتَ وجْـنـةَ ذيـاكَ الـمَـلِيـحِ لَنـا
يـا رَبِّ فـي سُنْبُلٍ كـالـمِسْـكِ ذِي عَـبَـقِ
ورُحْـتَ تَـأمُـرُ أَنْ لا تَـنْـظُـرَنَّ لَهُ
كـمـا تَـقُـولُ: «أَمِـلْ كـأسـاً ولا تُـرِقِ»

ـ ٢٢١ ـ

يـحْـلُو لَدَى الـنَّـيـرُوزِ فـي الـزَّهْـرِ الـنَّـدى
ويـرُوقُ فـي الـرَّوضِ الـمُـحَـيـا الـشَّـائـقُ
الأَمْـسُ مَـرَّ فـمَـا يـرُوقُ حَـدِيـثُـهُ
فـاهْـنـأ ودَع أَمْـسـاً فـيـومُـكَ رَائـقُ

ـ ٢٢٢ ـ

مَـا عِـشْـتَ أَسْـرَ الـدَّهْـرِ فـاجْـهـدْ وارْتَـشِـفْ
كـاسَ الـطِّـلا مـا دُمْـتَ تَـحْـمِـلُ طَـوقَـهُ
إِنْ كـانَ أَوَّلُـنَـا وآخِـرُنـا الـثَّـرَى
فـاحْـسَـبْ كـأَنَّـكَ فـي الـثَّـرَى لا فـوقَـهُ

- ٢٢٣ -

لا أَنا عَالِمٌ ولا أَنْتَ سِرَّ الدَّهْرِ أَو حَلَّ مُشْكِلٍ مِنْهُ دَقَّا
نتَظَنَّى خَلْفَ السِّتَارِ فإِنْ زَالَ فلا أَنْتَ ولا أَنا ثَمَّ نَبقى

- ٢٢٤ -

بِكَرِّ الرَّبِيعِ ومَرِّ الشِّتَاءْ
حَيَاتُكَ تبْلى وأَوراقُها
فلا تَأْسَ واشْرَبْ فإِنَّ الهُمومَ
هِي السُّمُّ والرَّاحُ تِرْياقُها

- ٢٢٥ -

آنَ الصَّبُوحُ هلُمَّ فافتحْ حَانَنا
هذِي «ذُكاءٌ»(١) تَهِمُّ بِالإشْرَاقِ
إِنْ كانَ يُسْرِعُ لِلْفناءِ زَمَانُنا
فهلُمَّ في كأسِ إِليَّ دِهاقِ

- ٢٢٦ -

إِنَّ هذِي الكأسَ الظَّريفةَ صُنْعاً
كُسِرَتْ ثُمَّ أُلقِيتْ في الطَّرِيقِ
لا تَطَأها، وَيْكَ، احْتِقاراً فقِدْماً
صَنعُوها من كأسِ رَأسٍ سَحِيقِ

---

(١) ذُكاء: من أسماء الشمس.

رَاقَ الـصَّـبَـاحُ فـقُـمْ أرِقْ بِـزُجـاَجَـةٍ
بَـاقِـي سُـلافَـةٍ لَيـلِنـا يـا سَـاقِـي
ثُـمَّ اسْـقِـنِـي كـأسـاً وبَـادِرْ لَحْـظَـةً
مـن عُـمْـرِنـا سَـتَـزُولُ فـالـغَـدُ بَـاقِـي

حرف الكاف

ـ ٢٢٨ ـ

يـا قـلْبُ إنْ يـمـنـحْـكَ ذا الـدَّهْـرُ الأَسَـى
وسـيـفْـجـعـنَّـكَ بِـاغْـتِـيـالِ حَـيـاتِـكـا
فـاغْـنـمْ بِـهـذا الـرَّوضِ أَوقـاتَ الـهـنـا
قـبْـلَ امْـتِـزاجِ نـبـاتِـهِ بِـرُفـاتِـكـا

ـ ٢٢٩ ـ

لا تَـدَعِ الـهـمَّ يـعـتـرِيـكَ ولا
يـضِـقْ بِـكَ الـعَـيـشُ واطَّـرِحْ كـمَـدَكْ
ولازِمِ الـرَّوضَ والـمِـيـاهَ وطِـبْ
مَـنْ قـبْـلِ أَنْ يـعْـصُـرَ الـثَّـرَى جَـسـدَكْ

ـ ٢٣٠ ـ

أَلْقـيـتَ فـي كُـلِّ مَـنْـهـجٍ شَـرَكـا
وقُـلْـتَ: مَـنْ يـخْـطُ خَـطْـوةً هـلَـكـا
بِـالـذَّنْـبِ أَغْـرَيـتَـنِـي وتَـنْـسـبُ لِي
ذَنْـبـاً وكُـلُّ الأَحْـكـامِ فـي يـدِكـا

- ٢٣١ -

قُــمْ ودَعْ هــمَّ عــالِمٍ سَــوف يــفْــنــى
واغْــتــنِــم لَحْــظَــةَ الــسُّــرُورِ لــدَيــكــا
إنْ يــكُــنْ فــي الــزَّمَــانِ أَدْنــى وفــاءٍ
لــمْ تَــصِــلْ نــوبَــةُ الــهــنــاءِ إِلَيــكــا

- ٢٣٢ -

كــيــف يــحُــومُ الــقــلْــبُ يــومــاً عَــلَى
غَــيــرِكَ أَو يــبْــغِــي هــوىً مَــعْ هــواكْ
إنَّ دُمُــوعِــي لــمْ تَــدَعْ لَحْــظَــةً
عَــيــنِــي تَــرْنُــو لِحَــبِــيــبٍ سِــواكْ

- ٢٣٣ -

قُــلْتُ: سَــأَتْــرُكُ الــشَّــرَابَ تَــائــبــاً
فــهُــو دَمُ الــكــرْمِ ولَسْــتُ أَسْــفِــكُــهْ
قــالَ لِي الــعــقــلُ: أَجِــدّاً قُــلْتَ ذا؟
قُــلْتُ: لَقــدْ مَــازَحْــتُ، كــيــفَ أَتْــرُكُــهْ؟

- ٢٣٤ -

يــا مَــنْ يُــفــكِّــرُ لَيــلَهُ ونَــهــارَهُ
بِــالــعَــيــشِ هــلَّا خِــفْــتَ يــومَ رَدَاكــا
إرْجِــعْ لِنــفْــسِــكَ واصْــحُ وانْــظُــرْ لَحْــظَــةً
فِــعْــلَ الــزَّمَــانِ وصُــنْــعَــهُ بِــسِــواكــا

أَنـا عَـبْـدُكَ الـعَـاصِـي فـأَيـنَ رِضـاكـا
ولـقـدْ دَعَـى قـلْـبِـي فـأَيـنَ سَـنـاكـا
إِنْ كـنْـتَ تَـمْـنـحُـنـا الـجِـنـانَ بِـطَـاعَـةٍ
يـكُ ذا لَـنـا بَـيـعـاً فـأَيـنَ عَـطَـاكـا

حرف اللاّم

ـ ٢٣٦ ـ

أَصْبَحْتُ بِالسُّكْرِ والصَّهْبَاءِ مُفْتَتِناً
فَفِيمَ يُكْثِرُ لِي هذا الورى العذَلا
يا لَيتَ كُلَّ حَرَامٍ مُسْكِرٌ لأَرَى
في الكَونِ كُلَّ فتىً من ذَنْبِهِ ثَمِلا

ـ ٢٣٧ ـ

عِشْ وابْنَةَ الكَرْمِ في هَناءِ
واشْرَبْ ودَعْ بَاطِلَ الخَيالِ
فالبِنْتُ مَهْمَا تَكُنْ حَرَاماً
أَطْيَبُ من أُمِّها الحَلالِ

ـ ٢٣٨ ـ

أَرَى كُلَّ خِلَّانِ الوفاءِ تَفَرَّقُوا
فبَينَ صَرِيعٍ لِلرَّدَى وقَتِيلِ
شَرِبْنا شَرَاباً واحِداً غيرَ أَنَّهُمْ
بِهِ ثَمِلُوا من قَبْلِنا بِقَلِيلِ

- ٢٣٩ -

أَيا قلْبُ ما تَدْرِي بِسِرِّ أُولِي النُّهى
ولَسْتَ لِذا الرَّمْزِ الدَّقِيقِ تَرَى حَلَّا
مِنَ الرَّاحِ فاصْنعْ ها هُنا لَكَ جَنَّةً
فثَمَّ جِنانٌ هلْ تَفُوزُ بِها أَو لا

- ٢٤٠ -

كسَرْتُ كُوزاً لِلطِّلا عن جَهْلِ
إِذْ كُنْتُ نشْواناً سَلِيبَ العَقْلِ
فراحَ يدْعُو بِلِسانِ الحالِ
مِثْلَكَ قدْ كُنْتُ وتَغْدُو مِثْلِي

- ٢٤١ -

لَيسَ يدْرِي سِرَّ الوُجُودِ ابْنُ أُنْثَى
وبِتَكْوِينِهِ تَحارُ العُقُولُ
مَا أَرَى لِلْفتَى سِوى الرَّمْسِ مَثْوىً
وهْو لَهْفِي حِكايةٌ ستَطُول

- ٢٤٢ -

إِنْ مِتُّ فاكْتُمُوا رُفاتِي واجْعَلُوا
آخِرَ أَمْرِي عِظَةً بَينَ المَلا

وبِـالـطِّـلا امْـزُجُـوا ثَـرَاي واصْـنـعُـوا
مـن طِـيـنِـهِ غِـطَـاءَ رَاقُـودِ الـطِّـلا[1]

- ٢٤٣ -

ذا يـومُـكَ رَاقَ والـهـواءُ اعْـتَـدَلا
والـرَّوضُ بِـواكِـفِ الـغُـيُـوثِ اغْـتَـسَـلا[2]
والـبُـلْـبُـلُ بِـالـبَـهـارِ نـادَى جَـذِلًا[3]
قَـدْ أَفْـلَـحَ مَـنْ لأَكْـؤُسِ الـرَّاحِ جَـلا

- ٢٤٤ -

يـا صَـنَـمِـي قُـمْ وأتِـنِـي مُـعَـجِّـلًا
وحُـلَّ فـي حُـسْـنِـكَ لِي مـا أَشْـكَـلا
وهـاتِـنِـي كُـوزَ الـمُـدَامِ قَـبْـلَ أَنْ
يُـصْـنَـعَ مـن رُفـاتِـنـا كُـوزُ الـطِّـلا

- ٢٤٥ -

خَـيَّـامُ طِـبْ إنْ نِـلْـتَ نَـشْـوةَ قَـرْقَـفِ
وحَـبَـاكَ ورْدِيُّ الـخُـدُودِ وِصَـالا

---

(١) الراقُودُ: دَنٌّ خزف طويل يطلى داخله بالقار وفي حديث عائشة: لا يشرب في راقود ولا جرّة. وهو معرب كما تقول المعاجم.

(٢) واكف الغيوث: الأمطار الغزيرة.

(٣) البَهارُ: العَرارُ وهو نبت بري ينبت أَيَّام الربيع.

إنْ كـانَ عَـاقِـبَـةُ الـوُجُـودِ هِـي الـفَـنـا
فـافْـرُضْ فـنـاكَ وعِـشْ سَـعِـيـداً بَـالا

ـ ٢٤٦ ـ

إذا نِـلْتَ رِطْلَي قَـرْقَـفٍ فـاحْـسُ جَامَـها
بِـكُـلِّ اجْـتِـمَـاعٍ رَاقَ أَو مَـحْـفـلٍ حَـالِي
فـمَـا يـعْـتَـنِـي بَـارِي الـوُجُـودِ بِـشَـارِبٍ
لِمِـثْـلِكَ أَو يـهْـتَـمُّ فـي ذَقْـنِ أَمْـثَـالِي

ـ ٢٤٧ ـ

دَعِ الـمَـاضِـي ومَـا سَـيـجِـيءُ وانْـعَـمْ
وطِـبْ نـفْـسـاً بِـكـاسَـاتِ الـشَّـمُـولِ
وأَنْـفُـسُـنـا مُـعَـارَاتٌ فـأَطْـلِقْ
سَـرَاحَ الـنَّـفْـسِ مـن قـيـدِ الـعُـقُـولِ

ـ ٢٤٨ ـ

أَخَـذْتُ بِـدَفْـتَـرِ الأَيـامِ فـالاً
فـجَـاءَ نِـدَاءُ ذِي ذَوقٍ وعَـقْـلِ
سَـعِـيـدٌ مَـنْ لَهُ ألـفٌ كـبَـدْرٍ
يُـنِـيـرُ ولَيـلَةٌ فـي طُـولِ حـولِ

ـ ٢٤٩ ـ

كُـلُّمَـا قـدْ رَأَيـتَ فـي الـدَّهْـرِ وهْـمٌ
والَّذِي قُـلْتَ أَو سَـمِـعْـتَ خَـيـالُ

بَـاطِـلًا قـدْ غَـدَوتَ فـي الأَرْضِ تَـغْـدُو
وكَـــذا الانْـــزِواءُ فَـــي الــــدَّارِ آلُ

- ٢٥٠ -

أَعِـبُّ الـطِّـلا عَـمْـداً ومِـثْـلي ذُو حِـجِـي
لَهُ يـغْـتَـدِي عِـنْـدَ الـنُّـهـى شُـرْبُـهـا سَـهْـلا
دَرَى الــلّـهُ قِـدْمـاً بِـارْتِـشَـافِـي لِلطِّـلا
فـإِنْ أَجْـتَـنِـبْـهـا يـنْـقـلِبْ عِـلْمُـهُ جَـهْـلا

- ٢٥١ -

يـا نـدِيـمِـي أَدِرْ عَـقِـيـقَ الـحُـمَـيـا
وأَرِحْـنِـي مِـن هـمٍّ قِـيـلٍ وقـالِ
واسْـعَ فـي كُـوزِهـا فـسَـوف تُـسَـوِّي
مِـن ثَـرانـا كُـوزاً أَكُـفُّ الـلَّيـالِي

- ٢٥٢ -

يـا قـلْبُ هـبْ أَنَّـكَ نِـلْتَ الأَمَـلا
ورَوضُ أَفْـرَاحِـكَ بِـالـنَّـبْـتِ حَـلا
فـلَسْـتَ فـي رَوضِ الـهـنـا سِـوى نـدىً
هـوى لَدَى الـلَّيـلِ وفِـي الـصُّـبْـحِ عَـلا

- ٢٥٣ -

كـمْ ضَـرَبْـنـا فـي كُـلِّ قُـطْـرٍ وفـجٍّ
وادِيـاً كـانَ أَو فـلاةً وسَـهْـلا

لمْ نَجِدْ مَنْ يقُولُ مَنْ عَادَ من ذاكَ الطَّرِيقِ الَّذِي مَضَى فِيهِ قبْلا

ـ ٢٥٤ ـ

أُنْـظُـرْ لِسُـوءِ فِـعَـالِ أَفْـلاكِ الـسَّـمَـا
وانْـظُـرْ لِدَهْـرِكَ مـن رِفـاقِـكَ خَـالِي
مَا اسْطَعْـتَ فاهْـنَ اليومَ لا تَـنْـظُرْ غَداً
أَو مـا تَـقـضَّـى وانْـظُـرَنْ لِلْحَـالِ

ـ ٢٥٥ ـ

أُجِيـلُ بِـهـذا الـكـونِ طَـرْفِـي مُـدَقِّـقـاً
وأُمْـعِـنُ فِـيـهِ فِـكْـرَةً وتَـأَمُّـلا
فـسُـبْـحَـانَ رَبِّـي كُـلَّ شَـيءٍ نَـظَـرْتُـهُ
رَأَيـتُ بِـهِ يـأسِـي لِعَـيـنِـي مُـمَـثَّـلا

ـ ٢٥٦ ـ

نَـفْـسِـي الـفِـدَاءُ لِكُـلِّ كُـفءٍ عَـارِفٍ
أَهْـوِي عـلى قـدمَـيـهِ غـيـرَ مُـبـالِ
أَتُـريـدُ مـعْـرِفـةَ الـجَـحِـيـمِ بِـكُـنْـهِـهـا
إِنَّ الـجـحِـيـمَ لَصُـحْـبَـةُ الـجُـهَّـالِ

ـ ٢٥٧ ـ

بَـادِرْ زمـانَـكَ واحْـسُ الـرَّاحَ صَـافِـيـةً
فـالـعُـمْـرُ يـومـانِ لَنْ نـلْقـاهُ إنْ كـمُـلا

تَدْرِي بِدُنْياكَ نحو العُدْم سَائِرَةً
فكُنْ نهاراً ولَيلًا بِالطِّلا ثَمِلا

- ٢٥٨ -

قُمْ هاتِها وَرْدِيةً مِسْكِيةً
وداوِ من هذا الفُؤادِ العِلَلا
وإنْ تَرُمْ مُفرِّحاً يجْلُو الأَسَى
فأَحْضِرِ العُودَ وياقُوتَ الطِّلا

- ٢٥٩ -

أَيا مَنْ أَتَى بِي لِلْوُجُودِ بِقِدْرَةٍ
ورُبِّيتُ في نَعْمائهِ أَتَدَلَّلُ
سَأَمْتَحِنُ العِصْيانَ مَائَةَ حَجَّةٍ
لأَعْلَمَ ذَنْبِي أَمْ سَمَاحُكَ أَجْزَلُ؟

- ٢٦٠ -

إِشْرَبْ فكمْ سَتَنامُ في قعْرِ الثَّرَى
يا صَاحِ دُونَ حَلِيلَةٍ وخَلِيلِ
لا تُفْشِ ذا السِّرَّ الخَفِيِّ لَدَى امْرِئٍ
لَنْ تَزْهُوَ الأَزْهارُ بعدَ ذُبُولِ

- ٢٦١ -

إِنْ لمْ يكُنْ رَبِّي قدْ شاءَ ما
شِئْتُ فهلْ يُمْكِنُنِي فِعْلُهُ

فإنْ يكُنْ شاءَ صواباً فما
شِئْتُ سِواهُ خَطَاءٌ كُلُّهُ

- ٢٦٢ -

أَلْيومَ ما لكَ في أَمْرِ الغَدَاةِ يدٌ
ولَيسَ فِكْرُ غدٍ إلا مِنَ الخَجَلِ
فاغْنَمْ بَقِيةَ عُمْرٍ إنْ تَكُنْ يقِظاً
فالعُمْرُ يفنى بِلا بُطْءٍ ولا مَهلِ

- ٢٦٣ -

لمْ تَحظَ يا قلبي بِغَيرِ أَسىً ومَا
تَنفكُّ تَرْزَأُ بُكْرَةً وأَصِيلا
يا نَفْسُ فِيمَ تَخِذْتِ جِسْمِي مَسكناً
إنْ كُنتِ عنهُ سَتُزْمِعِينَ رَحِيلا

حرف الميم

- ٢٦٤ -

يُـــدَقِّــقُ ذَلِكَ الـــخَـــزَّافُ فِـــكْـــراً
بِـصُـنْـعِ الـطِّـيـنِ تَـدْقِـيـقَ الـفـهِـيـمِ
إلامَ يـــسُـــومُـــهُ دَوساً ولَكْـــمـــاً
يـخَـالُ الـطِّـيـنَ غـيـرَ ثـرى الـجُـسُـومِ؟

- ٢٦٥ -

وُجُـودُ ذا الـكـونِ مـن بـحْـرِ الـخـفـاءِ بَـدا
وسِـرُّهُ لـمْ يـبِـنْ يـومـاً لـدى الأُمَـمِ
كُـلُّ امْـرِئٍ قـالَ وهْـمـاً عـن حـقـيـقـتِـهِ
والـحَـقُّ مـا فـاهَ فِـيـهِ واحِـدٌ بِـفَـمِ

- ٢٦٦ -

أَزْهـرَ الـرَّوضُ يـا نـدِيـمِـي فـبَـادِرْ
فـسَـيـغْـدُو ثَـرىً ويُـمْـسِـي عَـدِيـمَـا

إرْتَشِفْ واقْتَطِفْ فسَوف ترى الورْدَ تُراباً والنَّبْتَ فِيهِ هشِيما

- ٢٦٧ -

إنْ تَـشْـرَبِ الـرَّاحَ فـاِشْـربْ مَـعْ ذَوِي أَدبِ
أَو ذِي جـمـالٍ صَـقِـيـلِ الـخَـدِّ مُـبْـتَـسِـمِ
ودَعْ تَـعـاطِـيـهـا بـيـنَ الـمَـلا عَـلَـنـاً
واشْـربْ خـفـاءً ولا تُـكْـثِـرْ ولا تُـدِمِ

- ٢٦٨ -

طـوى الـصُّـبْـحُ رايـةَ جـيـشِ الـظَّـلامْ
فـقُـمْ يـا نـدِيـمِـي وهـاتِ الـمُـدَامْ
وفُـكَّ لـنـا نـرْجِـسَ الـمُـقْـلتَـيْـنْ
وقُـمْ فـلسـوفَ تُـطِـيـلُ الـمَـنـامْ

- ٢٦٩ -

حـتَّـى مَ أَنْـتَ أَسِـيـرٌ
لِلَّونِ والـطَّـعْـمِ والـشَّـمْ
ومُـقْـتَـفٍ كُـلَّ زيـنٍ
وكُـلَّ شـيْـنٍ مُـدمَّـمْ
فـإنْ تـكُـنْ مـاءَ عـيـنِ الـحـيـاةِ أَو بِـئْرِ زمـزمْ
سـتُـودَعُ الـرَّمْـسَ حـتْـمـا
لـدى الـقـضـاءِ الـمُـحـتَّـمْ

- ٢٧٠ -

يا نفْسُ لا ترتجِي من دهرِكِ الكرَما
ولا مِنَ الفَلَكِ الدَّوارِ مُغْتنما
يزِيدُ داؤُكَ إنْ داويتِهِ أَلَما
فأَعْرِضِي عن دَواهُ وأَحْمِلي السَّقما

- ٢٧١ -

سنفْنى وهذا الكونُ سوف يدُومُ
وتذْهبُ أَسْماءٌ لنا ورُسُومُ
كما لم نكُنْ والكونُ كانَ مُنظَّماً
سنفْنى ويبْقى بغْدُ وهْو نظِيمُ

- ٢٧٢ -

بدا الصُّبحُ وانْشقَّ جيبُ الظَّلامْ
فقُمْ ودعِ الهمَّ واحْسُ المُدَامْ
فكمْ من صَباحٍ سَيبْدُو لَنا
ونحْنُ نِيامٌ بِبَطْنِ الرُّغَامْ(١)

- ٢٧٣ -

خُذْ نَصيباً من دَورِ دَهْرِكَ واجْلِسْ
فوقَ عَرْشِ السُّرُورِ واحْسُ الجَامَا

(١) الرغام: التراب.

غَنِي اللَّهُ عن ذُنُوبٍ وطَاعَاتٍ فأَدْرِكْ مِنَ الزَّمَانِ المَرَامَا

- ٢٧٤ -

عطَاءُ الدِّنِّ يغْدِلُ ألف نَفْسٍ
وتغْدِلُ مُلْكَ ذِي الدُّنْيا المُدَامُ
أَرى مِنْديلَ مسْحِ الرَّاحِ عِنْدِي
لهُ فوقَ الطَّيالِسةِ احْتِرامُ(١)

- ٢٧٥ -

حقِيقةُ الكونِ ليسَتْ عِنْدَ ناظِرِ
سِوى مجازٍ ففِيمَ الهمُّ والأَلمُ
فجارِ دهْرَكَ واخْضعْ لِلْقضاءِ فلنْ
تُطِيقَ تبْدِيلَ ما قدْ خطَّهُ القَلمُ

- ٢٧٦ -

تساقطْنَا كطيرٍ في شِباكٍ
تُعانِي من أَذى الدَّهْرِ اهْتِضاما
ونخْبِطُ في فضاءٍ ليسَ يبْدُو
لهُ حدٌّ ولمْ نَبْلُغْ مَراما

---

(١) الطيالسة: جمع طيلسان: كلمة معرَّبة عن الفارسية، وهو وشاح يُلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، وعادة ما يلبسه رجال الدين والمشايخ.

- ٢٧٧ -

أَنْتَ أَبْدعْتنِي مِنَ الماءِ والطِّينِ كمَا قدْ نسَجْتَ أليافَ جِسْمِي
كُـــلُّ شـــرٍّ مِـــنِّـــي يـــلُوحُ وخـــيـــرٍ
أَنْـــتَ قـــدَّرْتـــهُ فـــمـــا هُـــو جُـــرْمِـــي؟

- ٢٧٨ -

ثُـــوبُ قُـــدْسِـــي خـــلعْـــتُـــهُ فـــوقَ دِنٍّ
وتـيـمَّـمْـتُ فـي ثـرى الـحـانِ حَـزْمَـا
فـعـسـانِـي ألـقـى لـدى الـحـانِ عُـمْـراً
ضـاعَ مِـنِّـي بـيـنَ الـمـدَارِسِ قِـدْمـا

- ٢٧٩ -

تُـــقـــلِّلُ الـــرَّاحُ تـــكـــبُّـــرَ الـــورى
وهـــي تـــحـــلُّ مُـــشـــكـــلاتِ الـــعـــالَمِ
لـــو ذاقَ إبـــلـــيـــسُ الـــمُـــدامَ مـــرَّةً
أَتـــى بـــأَلْفـــي ســـجْـــدةٍ لآدَمِ

- ٢٨٠ -

تـــارِكَ الـــرَّاحِ لا تـــذُمَّ الـــسُّـــكـــارى
إِنْ أُوفَّـــقْ أَتُـــبْ ويُـــمْـــحـــى الأَثـــامُ
بِـاجْـتِـنـابِ الـطِّـلا افْـتـخـرْتَ وتـأتِـي
بِـــذُنُـــوبٍ لـــهـــا الـــمُـــدَامُ غُـــلامُ

- ٢٨١ -

نُورُ البصِيرةِ نحْنُ في عينِ الحِجى
وكذاكَ نحْنُ القصْدُ من ذا العالَمِ
هذا الوُجُودُ قدِ استدارَ كخاتَمٍ
النَّقْشُ نحْنُ بِفصٍّ ذاكَ الخاتَمِ

- ٢٨٢ -

تحُوكُ لِي يا دهْرُ جِلْبابَ الأسى
كما تشُقُّ لِي رِدَا التَّنعُّمِ
تُعِيدُ لِي رِيحَ الصَّبا ناراً كمَا
تُصَيِّرُ المَاءَ تُرَاباً في فمِي

- ٢٨٣ -

إذا لمْ نَكُنْ في الدَّهْرِ نَبْقى فعَيشُنَا
بِدُونِ الحُمَيا والحَبِيبِ ذَمِيمُ
إلَى مَ اهْتمامِي في قدِيمٍ وحَادِثٍ
وسِيَّانَ بَعْدِي حَادِثٌ وقدِيمُ

- ٢٨٤ -

دَعَا الورْدُ إنِّي يُوسُفُ الرَّوضِ فأَنْظرُوا
كياقُوتَةٍ بِالتِّبْرِ مَمْلُوءَةٍ فمِي
فقُلْتُ: أَبِنْ لِي من عَلامَاتِ يُوسُفٍ
فقالَ: انْظُرَنْ ثَوبِي المُخَضَّبَ بِالدَّمِ

- ٢٨٥ -

حَلَّ فِكْرِي في الكونِ كُلَّ مُعَمَّىً
مِن حَضِيضِ الثَّرى لأوجِ النُّجُومِ
قدْ تَبَيَّنْتُ كُلَّ مَكْرٍ ومِرٍّ
فيهِ إلا سِرَّ الرَّدى المَحْتُومِ

- ٢٨٦ -

أَنَا لستُ أَقْنَطُ من خَالِقٍ
رَحِيمٍ لِعِبْءِ ذُنُوبِي الجِسَامْ
إذا اليومُ متُّ صَرِيعَ الطِّلا
سَيَعْفُو غداً عن رَمِيمِ العِظَامْ

- ٢٨٧ -

لِحُكْمِ القضا وكُلْ أُمُورَكَ ما احْتَوى
كِيانُكَ أَعْصَاباً وجِلْداً وأَعْظُمَا
دعِ المَنَّ من خِلٍّ وإنْ يكُ حاتِماً
ولِلخصْمِ لا تَخْضَعْ وإنْ يكُ رُسْتُمَا

- ٢٨٨ -

إنَّ الأُولى أَضْحوا أَسارى عَقْلِهِمْ
ذهبُوا بِحسْرةٍ فاقِدٍ مُتندِّمِ
إشْرَبْ وعُدْ كالأَغْبِياءِ فإِنَّهُمْ
صارُوا زبِيباً في أَوانِ الحِصْرِمِ

- ٢٨٩ -

رَبِّـــي افْــتَــحْ لِي بـــابَ رِزْقِ وأَرْسِــلْ
لِي قُـــوتِـــي مـــن دُونِ مَـــنِّ الأَنَـــامِ
وأَدِمْ نـــشـــوةَ الـــطِّـــلا لِي حـــتَّـــى
تُـــذْهِـــلَنِـــي مـــا عِـــشْـــتُ عـــن آلامِـــي

- ٢٩٠ -

إنِّـــي وإنْ ذُقـــتُ الـــغـــرامَ وقَـــلَّ لِي
مـــن مُـــبْـــهَـــمِ الأَسْـــرَارِ مـــا لـــمْ يُـــفْـــهَـــمِ
فـــالـــيـــومَ حِـــيـــنَ فـــتـــحـــتُ عـــيـــنَ بـــصِـــيـــرَتِـــي
أَصْـــبَـــحْـــتُ أَعْـــلَـــمُ أَنَّـــنِـــي لِمْ أَعْـــلَـــمِ

- ٢٩١ -

بَـــادِرِ الـــيـــومَ إذْ تُـــطِـــيـــقُ نَـــوالَا
وأَزِلْ عـــن حـــشـــا الـــرِّفـــاقِ الـــهُـــمُـــومَـــا
إنَّ مُـــلْـــكَ الـــجَـــمـــالِ لـــيـــسَ بِـــبـــاقٍ
فـــســـتـــلْـــقـــاهُ بـــغـــتـــةً مـــعْـــدُومَـــا

- ٢٩٢ -

إنْ تَـــكُـــنْ يـــا نـــدِيـــمُ نَـــاراً بِـــصـــخْـــرٍ
فـــســـيـــجْـــرِي إلـــيـــكَ جـــارِي الـــحِـــمـــامِ
غـــنِّ فـــالـــكـــونُ مـــن ثـــرىً وهـــواءٌ
كُـــلُّ أَنْـــفـــاسِـــنـــا فـــجِـــيءْ بِـــالـــمُـــدَامِ

- ٢٩٣ -

إِنَّ ظَـبْـيـاً بِـهِ اشْـتـهـامَ فُـؤَادِي
عـادَ صَـبَّـاً بِـشـادِنٍ مُـشْـتَـهـامـا
كـيـف أَرْجُـو مـن بَـعْـدُ بُـرْءاً لِدَائـي
وطـبِـيـبِـي أَضْـحَـى يُـعـانِـي الـسَّـقـامـا

- ٢٩٤ -

إِنْ رآنِـي الـسَّـاقِـي لِجـدواهُ أَهْـلًا
عـمَّـنِـي فـي فـواضِـلِ الإنْـعـامِ
وإِذا لـمْ أَكُـنْ بِـأَهْـلِ سـقـانِـي
فـوقَ قـدْرِي بِـعـادةِ الإكْـرامِ

- ٢٩٥ -

أَيـا فـلَـكـاً يُـربِّـي كُـلَّ نـذْلٍ
ولـيـسَ يـدُورُ حـسْـبَ رِضـا الـكـرِيـمِ
كـفـى بِـكَ شـيـمَـةً أَنْ رُحْـتَ تـهْـوِي
بـذِي شـرَفٍ وتـسْـمُـو بِـالـلَّـئِـيـمِ

- ٢٩٦ -

أَلأُفْـقُ كـأْسٌ فـوقَـنـا مَـقْـلُـوبـةٌ
كـمْ تَـحْـتَـهـا خُـدِعَ الـلَّـبِـيـبُ الأَحْـزَمُ
أُنْـظُـرْ وِدَادَ الـكـأْسِ مَـعْ كُـوزِ الـطِّـلا
شَـفـةٌ عـلـى شَـفـةٍ وبـيـنـهُـمـا دَمُ

- ٢٩٧ -

سِــرُّ الــحــيــاةِ لــو أَنَّــهُ يــبْــدُو لــنــا
لــبــدَا لــنــا سِــرُّ الــمــمــاتِ الــمُــبْــهــمُ
لــمْ تَــعْــلمــنَّ وأَنْــتَ حَــيٌّ سِــرَّهــا
فــغَــداً إذا مُــتَّ مــاذا تَــعْــلَمُ؟

- ٢٩٨ -

حلَّقْتُ بِالفكْرِ من فوقِ السَّما لأرى الجِنانَ والنَّارَ والألْواحَ والقَلما
فصاحَ داعِي الحِجى فِيكَ الجِنانُ زَهتْ
والنَّارُ شَبَّتْ وفِيكَ اللَّوحُ قدْ رُقِمَا

- ٢٩٩ -

إنَّ الَّذيــنَ تــرحَّــلُوا مــن قــبْــلِنَــا
نــزلُوا بِــأجْــداثِ الــغُــرُورِ ونــامُــوا
إشْربْ وخُذْ هذِي الحقيقةَ من فمِي
كُــلُّ الَّذِي قــالُوا لَنَــا أوهــامُ

- ٣٠٠ -

لــمْ تَــقُــلْ لي مــا قُــلْتَ إلا لــحــقْــدِ
زاعِــمــاً أنَّــنِــي بــلا إسْــلامِ
أنــا أقْــرَرْتُ بِــالَّذِي قُــلْتَ لــكِــنْ
أنْــتَ أهْــلٌ لــمِــثْــلِ هــذا الــكــلامِ؟

ـ ٣٠١ ـ

يا مَنْ غدوتَ «لِجوكَانِ» القضا كُرةً[1]
سِرْ كيف شاءَ ولا تَنْبِسْ بِبِنْتِ فمِ
فمَنْ رمى بِكَ في الميدَانِ مُضْطَرِباً
أَدْرَى وأَعْلَمُ ما يجْرِي مِنَ القِدَمِ

ـ ٣٠٢ ـ

إِلَى مَ وأَنْتَ لِلدُّنْيا حزِينٌ
وطَرْفُكَ دامِعٌ والقَلْبُ دامِي
فعِشْ جذلانَ وارْتَشفِ الحُميا
ونَلْ أَقْصى الهنا قبلَ الحمامِ

ـ ٣٠٣ ـ

إِنَّ القَضاءَ لأَمْرٍ لا يُرَدُّ وما
نَصِيبُ ذي الهمِّ إلا السُّقْمُ والأَلمُ
إِنْ تَقْضِ عُمْرَكَ مَهْمُومَ الفُؤَادِ فلَنْ
تَزِيدَ شَيئاً على ما خَطَّهُ القَلَمُ

ـ ٣٠٤ ـ

لِي نَقْداً سَاقٍ وعُودٌ ورَوضٌ
ولَكَ الوعْدُ في غَدٍ بِالنَّعِيمِ
دَعْ حدِيثَ الجنانِ والنَّارِ مَنْ جاءَ مِنَ الخُلْدِ أَو مضى لِلجحِيمِ؟

(١) الجوكان: كلمة فارسية، وهو بالعربية: المحجن، أي الصولجان الذي تضرب به الكرة في لعبة «الكرة والصولجان»

حرف النّون

ـ ٣٠٥ ـ

فَـلَكُ الـشُّـهُـبِ قـالَ لِي أَفـتَـغْـزُو
لِي حُـكْـمَ الـقـضـاءِ فـي الأَكْـوانِ
لَو غَـدَا لِي فـي الـسَّـيـرِ أَدْنَـى اخْـتِـيـارٍ
لَـمْ تَـجِـدْنِـي أَدُورُ كـالـحَـيـرَانِ

ـ ٣٠٦ ـ

أَحْـسَـنُ مـن زُهْـدِ الـفـتَـى عـن رِيـاً
رَشْـفُ الـحُـمَـيـا واقْـتِـفـاءُ الـحِـسَـانْ
إِنْ كـانَ أَهْـلُ الـحُـبِّ والـرَّاحِ فـي
لَظَـىً فـلَـنْ تَـلْـقـى امْـرَأً فـي الـجِـنَـانِ

ـ ٣٠٧ ـ

إذا كُـنْـتَ تـعْـلمُ سِـرَّ الـدُّنَـى
فـفِـيـمَ وحـتَّـامَ هـذا الـعَـنـا
إذا الـدَّهْـرُ لـمْ يـجْـرِ حـسْـبَ الـمَـرَامْ
فـعِـشْ مـا حـيِـيـتَ حـلِـيـفَ الـهـنَـا

ـ ٣٠٨ ـ

إنْ لـمْ أُطِـعْـكَ إلـهِـي فـي الـحيـاةِ ولـمْ
أُطَـهِّـرِ الـنَّـفْـسَ مـن أدْرَانِ عِـصْـيـانِ
فـلَيـسَـتِ الـنَّـفْـسُ مـن جَـدْواكَ قـانِـطَـةً
إذْ لـمْ أَقُـلْ قـطُّ: إنَّ الـواحِـدَ اثْـنَـانِ

ـ ٣٠٩ ـ

كـمْ فـي الـمَـدَارِسِ والـصَّـوامِـعِ أَنْـفُسٌ
تَـرْجُـو الـجِـنـانَ وتـخْـتـشِـي الـنِّـيرانا
لَكِـــنَّ مَـــنْ عـــرَفَ الإلَه وسِـــرَّهُ
لـمْ يُـشْـغِـلَـنَّ بِـذِي الأُمُـورِ جَـنَـانـا

ـ ٣١٠ ـ

أرَى أجْـداثَــنـا تُـبْـنَـى بِـلِبْـنٍ
غَـداً يـا صَـاحِ إنْ نَـرِدِ الـمَـنُـونَـا
ويُـصْـنَـعُ مـن ثَـرَانَـا بَـعْـدُ لِبْـنٌ
بِـهِ تُـبْـنَـى قُـبُـورُ الآخَـرِيـنـا

ـ ٣١١ ـ

صَـيادُ ذا الـدَّهْـرِ ألـقى الـحَبَّ فـي شَـرَكٍ
فـصَـادَ صَـيـداً وقـدْ سَـمَّـاهُ إنْـسَـانَـا
فـكُـلُّ خَـيـرٍ وشَـرٍّ مِـنْـهُ قـدْ نَـشَـآ
ورَاحَ يـغْـزُو لِهـذا الـخَـلْقِ عِـصْـيـانَـا

- ٣١٢ -

لا تُـؤَمِّـلْ مـا فـوقَ سِـتِّـيـنَ حَـولًا
لَكَ عُـمْـراً ولازِمِ الـسُّـكْـرَ واهْـنَـا
والـزَمِ الـدَّنَّ والـكُـؤُوسَ مُـدَامـاً
قـبْـلَ أَنْ يـضْـنَـعُـوا رُفـاتَـكَ دِنَّـا

- ٣١٣ -

زَمَـنُ الـوَرْدِ ذا وضِـفَّـةُ نَـهْـرٍ
ورِيـاضٌ وبِـضْـعُ حُـورٍ حِـسَـانِ
عَـاطِـنِـي الـكـأسَ فـالـنَّشَـاوى صَـبـاحـاً
حُـرِّرُوا مـن مـسـاجِـدٍ وجِـنـانِ

- ٣١٤ -

عَـقِـيـقُـكَ الـرَّاحُ والـكـاسَـاتُ مَـعْـدَنُـهُ
والـرَّاحُ رُوحٌ مِـنَ الـجَـامِ اصْـطَـفـتْ بَـدَنَـا
وإنَّ كـأسَ زُجَـاجٍ بِـالـطِّـلا ضَـحِـكَـتْ
دَمْـعٌ دَمُ الـقـلْـبِ فـي أَثْـنَـائـهِ كـمَـنَـا

- ٣١٥ -

قـدْ كـانَ يـدْرِي الـلَّـهُ كُـلَّ فِـعَـالِنَـا
مِـن يـومِ صَـورَ طِـيـنَـنَـا وبَـرانَـا
لـمْ نَـرتَـكِـبْ ذَنْـبـاً بِـدُونِ قـضَـائـهِ
فـإذَنْ لِـمـاذا نَـدْخُـلُ الـنِّـيـرَانَـا؟

- ٣١٦ -

إنْ تَـرُمْ أَنْ تَـنَـالَ عُـمْـراً صَـحِـيـحـاً
وفُــؤَاداً لا يــحْــمِــلُ الأَحْــزَانَــا
فـارْتَـشِـفْ صَـافِـي الـطِّـلا كُـلَّ آنٍ
لِتَــنَــالَ الــسُّــرُورَ آنــاً فــآنَــا

- ٣١٧ -

إذا لـمْ يـكُـنْ عِـلْمُ الـيـقِـيـنِ بِـمُـمْـكِـنٍ
لَنَـا وانْـقِـضَـاءُ الـعُـمْـرِ بِـالـشَّـكِّ خُـسْـرَانُ
فـلا يـنْـبَـغِـي أَنْ نَـتْـرُكَ الـرَّاحَ لَحْـظَـةً
وسِـيـانِ حِـيـنَ الـجَـهْـلُ صَـاحٍ ونَـشْـوانُ

- ٣١٨ -

غَـسِّـلُونِـي بِـالـرَّاحِ بَـعْـدَ الـمَـنُـونِ
واذْكُـرُوهـا والـكَـأسُ فـي تَـلْقِـيـنِـي
ولَدَى الــحَــشْــرِ إِنْ أَرَدْتُــمْ لِقَــائـي
مــن ثـرى بَـابِ حَـانَـةٍ فـاطْـلُبُـونِـي

- ٣١٩ -

نَــفَــسٌ بَــيــنَ كُـفْـرِنَـا والـدِّيــنِ
نَـفَـسٌ بـيـنَ شـكِّـنَـا والـيـقِـيـنِ
مَــا أَرَى حَــاصِــلَ الــحَــيَــاةِ سِــواهُ
فـاقْـضِـهِ بِـالـسُّـرُورِ قـبْـلَ الـمَـنُـونِ

- ٣٢٠ -

الـبُـلْبُـلُ قـدْ شَـدَا عـلى الأَغْـصَـانِ
فـاشْـرَبْ صَـهْـبَـاءهـا مَـعَ الـنُّـدْمَـانِ
والـوَرْدُ زَهـا فـقُـمْ وبَـادِرْ عَـجِـلًا
يـومَـيـنِ مِـنَ الـهـنَـاءِ فـي الـبُـسْـتَـانِ

- ٣٢١ -

إذا كـانَ عَـدْلًا قِـسْـمَـةُ الـرِّزْقِ فـي الـورَى
فـلَـنْ يـجِـدُوا فِـيـهِ مَـزِيـداً ونُـقْـصَـانَـا
فـلا تَـكُ فـي فِـكْـرٍ لِمَـا لـمْ يـكُـنْ وعِـشْ
لَعَـمْـرُكَ حُـرَّ الـنَّـفْـسِ مـن كُـلِّ مـا كـانَـا

- ٣٢٢ -

كـسَـرْتَ يـا رَبِّ إبْـرِيـقَ الـمُـدَامِ كـمـا
سَـدَدْتَ لِي بَـابَ عَـيـشِـي حَـيـثُـمَـا كـانَـا
أَنَـا شَـرِبْـتُ وتُـبْـدِي أَنْـتَ عَـرْبَـدَةً
لَيتَ الثَّرَى بفمِي، هلْ كُنْتَ نَشْوانَا[١]؟

(١) ترجم كلٌّ من الصراف والزهاوي كلمة «مستي» : سكران، وهو الصحيح، والصافي النجفي هنا يخفِّف الكلمة مرة أخرى مُتقصَّداً وليس عن خطأ.

- ٣٢٣ -

لَو كُنْتُ رَبَّ اخْتِيارٍ ما أَتَيتُ إلى الدُّنْيا ولمْ أرْتَحِلْ عَنْها ولمْ أَبِنِ

مَـا كـانَ أَسْـعَـدَنِـي لَو لـمْ أَجِـيءْ أَبَـداً
لِلدَّهْـرِ يـومـاً ولـمْ أَرْحَـلْ ولـمْ أَكُـنِ

- ٣٢٤ -

أَلـدَّهْـرُ يـا خَـيـامُ يـبْـرَأُ مـن فـتـىً
يُـمْـسِـي مِـنَ الأَيـامِ فـي أَشْـجَـانِ
إِشْـرَبْ عـلى نَـغَـمٍ زُجَـاجَـةَ قَـرْقَـفٍ
قـبْـلَ انْـكِـسَـارِ زُجَـاجَـةِ الأَبْـدَانِ

- ٣٢٥ -

حـتَّـى مَ فـي هـمٍّ لِمَـا يـأْتِـي وهـلْ
يـجْنِـي جَـمِـيـعُ الـحَـازِمِـيـنَ سِـوى الـعَـنَـا
الـهـمُّ لـيـسَ بِـزَائِـدٍ أَو مُـنْـقِـصٍ
فـي الـرِّزْقِ فـالـتَـزِمِ الـمَـسَـرَّةَ والـهـنَـا

- ٣٢٦ -

عِـشْ هـنِـيـئـاً فـالـدَّهْـرُ لـيـسَ بِـفـانٍ
وسَـتَـبْـقـى الـنُّـجُـومُ ذاتَ اقْـتِـرَانِ
وسَـيـغْـدُو ثَـراكَ لِبْـنـاً فـيُـبْـنـى
فـي قُـصُـورٍ لِلنَّـاسِ أَو إِيـوانِ

- ٣٢٧ -

لَسْتُ أَدْرِي هَلِ الإِلَهُ بَرانِي
لِجِنَانِ الأُخْرَى أَوِ النِّيرَانِ
لِي، نَقْداً: سَاقٍ وروضٌ ورَاحٌ
ولَكَ الوعْدُ في غَدٍ بِالجِنَانِ

- ٣٢٨ -

هدَّ رُكْنَ الإيمَانِ ذَنْبِي وأَنْسى
ذَنْبَ مَنْ رَاحَ يَعْبُدُ الأَوثَانَا
أَنَا أَخْشى ذَنْبِي مَتى وزَنُوهُ
يومَ حَشْرٍ أَنْ يكْسِرَ المِيزَانَا

- ٣٢٩ -

إذا ما جَاءَنَا رمضانُ يُلْقى
بِهِ القيدُ الثَّقِيلُ على حِجانَا
فأَغْفِلْ يا إِلَهِي النَّاسَ حتَّى
يخَالُوا أَنَّ شَوالًا أَتانا

- ٣٣٠ -

حَلَّ السَّمَا ثورٌ وثَورٌ غَدَا
يحْتَمِلُ الأَرْضَ بقَرْنَينِ
أُنْظُرْ بِعَينِ العَقْلِ كيمَا تَرَى
قطِيعَ حَمِيرٍ بَينَ ثَورَينِ

- ٣٣١ -

سَـأَطْـوِيـنْ صَـاحِ أَعْـلامَ الـنِّـفـاقِ غَـداً
وأَقْـصُـدَنَّ بِـشَـيْـبِـي الـرَّاحَ والـحَـانَـا
بَـلَغْـتُ سَـبْـعِـيـنَ حَـولًا كـامِـلًا فـمَـتَـى
ألـقـى الـهـنـاءَ إذا لـمْ ألـقَـهُ الآنَـا؟

- ٣٣٢ -

ضَـمَّ جِـسْـمُ الـزُّجَاجِ رُوحـاً فـحَـاكـى
يـاسَـمِـيـنـاً يُـحِـيـطُ فـي أَرْجُـوانِ
لا لَعَـمْـرِي فـالـجَـامُ جَـامِـدُ مَـاءٍ
ضَـمَّ فـي الـقَـلْبِ سَـائـلَ الـنِّـيـرَانِ

- ٣٣٣ -

قـدْ أَصْـبَـحَ الـحَـانُ بِـنَـا عَـامِـراً
وكـمْ نَـقـضْـنَـا مـن مَـتَـابٍ لَنَـا
مَـا يُـصْـنَـعُ الـعَـفْـوُ بِـلا مَـأثَـمٍ؟
الـعَـفْـوُ يـزْدَانُ بِـآثَـامِـنَـا

- ٣٣٤ -

إنَّ مَـنْ أَدْرَكُـوا الـمَـنَـاصِـبَ ذاقُـوا
جُـرَعَ الـهَـمِّ والأَسَـى ألـوانَـا
وعَـجِـيـبٌ أَنَّ الَّذِي لـيـسَ يـهْـوى
حـرْصَـهُـمْ لا يـرَونَـهُ إنْـسَـانَـا

- ٣٣٥ -

حتَّى مَ صَومُكَ والصَّلاةُ تَنَسُّكاً
فدَعِ المَسَاجِدَ واقْصُدَنَّ الحَانَا
واشْرَبْ فسوف تَرَى رُفاتَكَ تَارَةً
كُوزاً وأُخْرَى أَكْؤُساً ودِنَانَا

- ٣٣٦ -

أَتَمَنَّى دِيوانَ شِعْرٍ ونِصْفاً
من رَغِيفٍ وكُوزَ صَهْبَاءِ حَانِ
وجُلُوساً مَعَ الحَبِيبِ بِقَفْرٍ
ذاكَ خَيرٌ من مُلْكِ ذِي سُلْطَانِ

- ٣٣٧ -

حِينَ جُودُ الإِلَهِ فاضَ بَرانِي
وبِدَرْسِ الغَرَام قِدْماً حَبَانِي
ولَقَدْ صَاغَ من قُرَاضَةِ قَلْبِي(١)
بَعْدَ هذا مِفْتَاحَ كَنْزِ المَعَانِي

- ٣٣٨ -

حتَّى مَ أَبْنِي على سَطْحِ المِياهِ لَقَدْ
سَئِمْتُ دَيراً وعُبَّاداً لأَوْثَانِ

---

(١) القراضة: ما سقط بالقرض، ومنه قراضة الذهب.

مَنْ قالَ: إنِّي من أَهْلِ الجَحِيم؟ ومَنْ
أَتَى مِنَ الخُلْدِ؟ أَو ولَّى لِنِيرَانِ؟

ـ ٣٣٩ ـ

حتَّى مَ تُصْبِحُ لِلأَطْمَاعِ حِلْف عَنَا
حَيرَانَ تَغْدُو بِهذا الكونِ مُفْتَتِنَا
مَضَوا، ونَمْضِي وكَمْ يأْتُونَ بَعْدُ وكَمْ
يمْضُونَ من دُونِ أَنْ يحْظَى امْرُؤٌ بِمُنَى

ـ ٣٤٠ ـ

كُنْ حِمَاراً في مَعْشَرٍ جُهلاءِ
أَيقَنُوا أَنَّهُمْ أُولُو العِرْفانِ
فهُمُ يحْسَبُونَ لِلْجَهْلِ مَنْ لَيسَ حِمَاراً خِلْواً مِنَ الإيمَانِ

ـ ٣٤١ ـ

مَنْ بَرَى أَكْؤُسَ الرُّؤُوسِ وأَبْدَى
عِنْدَ تَكْوِينِها أَدَقَّ الفُنُونِ
كَبَّ كأساً من فوقِ مَائدَةِ الكونِ دِهاقاً قدْ أُتْرِعَتْ بِالجُنُونِ

ـ ٣٤٢ ـ

أَسَفاً لِقلْبٍ ليسَ يُذْكِيهِ الهوى
شَغَفاً ولَيسَ يهِيمُ قطُّ بِشَادِنِ
لا يومَ أَضْيعُ قطُّ من يوم امرئٍ
يقْضِيهِ دُونَ غَرَامِ ظَبْيٍ فاتِنِ

لَو ارْتَكَبْتُ خَطَايا النَّاسِ كُلِّهِمُ
لَكُنْتُ أَرْجُو لِذَنْبِي مِنْكَ غُفْرَانَا
قدْ قلْتَ إِنَّكَ يومَ العَجْزِ تَنْصُرُنِي
لا عَجْزَ أَعْظَمُ لِي من عَجْزِي الآنَا

حرف الهاء

ـ ٣٤٤ ـ

إلَى مَ أَسَـاكَ عـلى الـفـانِـيـهْ
أَنَـالَ امْـرُؤٌ عِـيـشَـةً بَـاقِـيـهْ؟
هِـي الـنَّـفْـسُ عَـارِيـةٌ تُـسْـتَـرِدُّ
فـعِـشْ مَـعْـهـا عِـيشَـةَ الـعَـارِيـهْ

ـ ٣٤٥ ـ

إنْ كانَتِ الأَفْلاكُ ضِدَّ ذَوِي البَصَائِرِ جَارِيهْ
إنْ شِئْتَ قُلْ هِي سَبْعَةٌ أَو شِئْتَ عُدَّ ثَمانِيهْ
وإذا رَحَلْتَ غَداً وخَلَّفْتَ الأَمَانِي بَاقِيهْ
فلْيأكُلَنَّكَ نَمْلُ قبْرِكَ أَو ذِئَابُ البَادِيهْ

ـ ٣٤٦ ـ

إذا مـا صَـحَـوتُ عَـدِمْـتُ الـهـنَـا
ومَـهْـمَـا سَـكِـرْتُ فـقِـدْتُ الـنُّـهـى
ولَكِـنَّ بَـيْـنَـهُـمَـا حَـالَةً
هِـي الـعَـيْـشُ والـقـلْبُ رِقٌّ لَهـا

حرف الياء والألف المقصورة

ـ ٣٤٧ ـ

مُـنْـذُ مَـيَّـزْتُ بَـيْـنَ كَـفِّـي ورِجْـلِي
غَـلَّ هـذا الـدَّهْـرُ الـدَّنِـيُّ يـدَيـا
أَسَـفـاً يـحْـسِـبُونَ فـي الـحَشْـرِ عُـمْـراً
مَـرَّ بِـي دُونَ شَـادِنٍ وحُـمَـيـا

ـ ٣٤٨ ـ

أَيُّها النَّفْسُ لَو نَفضْتِ غُبَارَ الجِسْمِ أَضْحَى فوقَ السَّمَا لَكِ مَأوى
لَكِ عَـرْشٌ فـوقَ الـسَّـمَـاءِ فـعَـيْـبٌ
أَنْ تَـجِـيـئـي وتَـرْتَـضِـي الأَرْضَ مَـثْـوى

ـ ٣٤٩ ـ

مِـنَ الـعـارِ أَنْ تَـسْـعـى لِتَـحْـصِـيلِ شُـهْـرَةٍ
وأَنْ تـشْـتَـكِـي مـن جُـورِ ذا الـفَـلَـكِ الـبَـلْـوى
لَـئِـنْ تَـغْـدُ مـن عِـطْـرِ الـحُـمـيـا بِـنَـشْـوةٍ
يـكُـنْ لَـكَ خـيـراً مـن غُـرورِكَ بِـالـتَّـقْـوى

- ٣٥٠ -

إِنِّــي وإِنْ كُــنْــتُ لِذنــبِــي فــي شــقــا
فــلســتُ يــائــســاً كــكُــفَّــارِ الــورى
أَرْجُــو وإِنْ مــتُّ بِــسُــكْــرِي سَــحَــراً
راحَــا وظَــبْــيــاً فــي جِــنَــانٍ أو لَظَــى

- ٣٥١ -

دَعْ عَــنْــكَ درْسَ الــعُــلُوم أَجْــمــعِــهــا
واشــفِ بِــأَصــداغِ شــادِنٍ ســقــمَــك
واهْــرِقْ بِــكــاسٍ دمَ الــزُّجَــاجِ وطِــبْ
مــن قَــبْــلِ أَنْ يــهــرقَ الــزَّمَــانُ دمَــكْ[1]

(١) هذه الرباعية الأخيرة، كان ينبغي أن يكون مكانها بين الرباعيات المترجمة على حرف الميم، فحدث سهو، ووضعها الصافي النجفي في آخر الرباعيات استدراكاً. كما أشار في آخر ترجمته للرباعيات.

الفهرس

هذا الكتاب

نَحنُ خَلَعنا رداءَ الزُّهدِ على دَنِّ الْخَمْر
وتيمَّمنا بتراب الْحاناتِ
لعلَّنا نجدُ في أبوابِها
ذلكَ العمرَ الَّذي أضعناهُ في الْمَدارسِ

من ترجمة أحمد الصراف

***

يَا مُفتي البلدِ نحنُ أتقى مِنكَ
ومعَ كُلِّ سُكرِنا هذا أصحى مِنْكَ
أنتَ تشربُ دمَ النَّاسِ ونحنُ نشربُ دمَ الكُرومِ
فقلْ مُنصفاً: أيُّنا أفْتَكُ؟

الصياغة الموزونة:

أيُّها الْمُفتي نحنُ أتقَى وأَصْحى
مِنكَ لا تقسو مثلَمَا أنتَ تَقسو
أنتَ تحسُو دمَ الأنامِ وإنَّا
لِدمِ الكرْمِ وهو في الجامِ نحسُو

من ترجمة الزهاوي

***

يدٌ لِي في جَام وأُخرَى بِمُصْحَفِ
وَطوراً أنا الجانِي وطَوراً أنا العَفُّ
أَعِيشُ ومَا لِي تَحْتَ ذا الأُفُقِ مَبْدَأٌ
فلا مُسْلِمٌ مَحْضٌ ولا كافِرٌ صِرْفُ

من ترجمة أحمد الصافي النجفي

